الإمام الألباني

دروس ومواقف وعبر

تقديم

الشيخ العلّامة الفقيه عبدالله بن عبدالعزيز العقيل

حفظه الله تعالى

تأليف

د. عبدالعزيز بن محمَّد بن عبدالله السدحان

تقديم

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأصلِّي وأسلِّم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه، أمَّا بعد:

فإنّ مِن حِفظ الله لدينه أن قيّض لهذه الأمَّة من يجدِّد لها أمر دينها، ويحفظ لها آثار رسولها ﷺ، ويرفع راية السنّة المحمَّدية، ولهذا اختار الله لذلك من خلَف عُدوله؛ ينصرون السنّة ويُجدِّدون للناس أمر دينهم، فكان من أعيان أولئك الأفذاذ: إمام أهل السنّة أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، وشيخ الإسلام تقي الدِّين ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وغيرهم.

وقد كانت خدمة الحديث معروفةً في علماء الهند في العصور القريبة، وارتحل إليهم مشايخنا لتلقِّيه عنهم، مثل: شيخنا علي أبو وادي، وشيخنا الشيخ عبدالله القرعاوي، وكذا أشياخ مشايخنا مثل: الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، وغيرهما، فسافروا للهند وأخذوا علم الحديث عن علماء أجلّاء، مثل: شيخ مشايخنا الشيخ المحدِّث الشهير نذير حسين، وتلاميذه: شمس الحق العظيم آبادي، وعبدالرحمن المباركفوري، وأحمد الله الدهلوي، وغيرهم.

وأخيرًا جاء الشيخ العلّامة محمد ناصر الألباني فخدم السنّة، وحقّق علوم الحديث روايةً ودرايةً، واعتمد الناس على أقواله في نسبة الحديث وتصحيحه وتضعيفه، وغير ذلك، **وبذلك أصبح الإمام الألباني محدِّث العصر بلا مُنازع؛ فإنّا لا نعلم أحدًا أفاد في الحديث من بعد أصحاب الحافظ ابن حجر إلى وقتنا الحاضر مثله**، فقد ألّف المؤلفات العظيمة النافعة، وعلى رأسها «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة»، ومختصري الصحيحين، و«إرواء الغليل»، وهذا الأخير خدم كتب الحنابلة خدمةً عظيمةً لم يُسبق إليها.

ومن حسنات هذا الإمام: أنه أحيَى في الأمة الاهتمام بتمحيص الحديث الصحيح من

الضعيف، سواء في كتب الحديث والفقه وغيرهما، كما أشاع مبدأ التقيُّد بالسنّة والحذر من البدعة، ونصرة العمل بالدليل.. أشاع هذه الأمور في طبقات تجاوزت العلماء وطلبة العلم إلى عموم المثقفين ومحبِّي السُّنّة.

ولمّا كان سماحته بهذه المنزلة؛ كان من حقِّه على طلبته ومُحبِّيه أن يبرُّوه ويُبرزوا مناقبه وأخباره، ويحتسبوا في ذلك خدمةً للسنّة المطهَّرة ورجالها، وقد كثرت ـ بحمد الله ـ الكتابات المنوِّهة بفضله.

وممّن اهتمّ بذلك فضيلة الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان وفقه الله؛ فقد قام بإعداد ترجمة ضافية للشيخ الألباني في مجلد كبير، أجاد فيها وأفاد، واستوعب أبرز ما كُتِب قبله وزاد عليه، حتى أصبح كتابُه جامعًا وشاملًا لمن أراد معرفة أخبار هذا العالم الجهبذ.

وقد أهداني نسخةً منه، واطلعتُ على عدّة مواضع منها، ووجدته قد استوعب في هذه السيرة الجميلة مواقف الإمام الألباني، وما جرى له في أوَّل حياته وأوسطها وآخرها، منذ كان يصلح الساعات في أوَّل عُمره، ثمّ صبره على طلب العلم ورحلاته فيه، وصور ممّا ابتُلي به أيام سجنه، ثمَّ ذكر ما فتح الله عليه من التبحُّر في علوم الحديث الشريف وغيرها، ثم ذكر مؤلفاته النافعة، وذكر أنها بلغت ٢١٨ مؤلفًا ما بين تأليف وتخريج، وسرد أسماءها تباعًا ما بين كبير ومتوسِّط وصغير ممّا تداوله الناس وانتفعوا به في أيام حياته وبعد وفاته، وأخيرًا وصيته المتضمِّنة العديد من الفوائد والاعتبار، ثمّ مرضه الأخير ووفاته ‎:‎ .

وإنِّي أهنِّئ سماحة المترجَم له بما فتح الله عليه من هذه العلوم النافعة، وأهنِّئ فضيلة المترجِم بما يسَّر الله له من جمع هذه الترجمة الحافلة، وأوصيه بطبعها ونشرها، لعلّ الله أن ينفع بها المؤلِّف والكاتب والقارئ والمستمع، وما ذلك على الله بعزيز، وإنّ الله ليُدخِل بالسهم الواحد ثلاثةً الجنة، والله واسعٌ عليم.

كتبه: الفقير إلى الله

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا

حامدًا ومُصلِّيًا مسلِّمًا على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

كتب التراجم

كلام أهل العلم في العناية بمقام التراجم للأئمة الأعلام واضحٌ وجليّ، وذلك لمنزلة أولئك الأعلام؛ لعظيم أثرهم ونفعهم لمجتمعاتهم خصوصًا وللناس عمومًا... لهذا وغيره كثرت كتب التراجم وتنوَّعت أساليب التصنيف فيها ـ كما سيأتي ـ.

شاهد المقال: أنّ تراجم العلماء تبرز الغائب في مقام الشاهد، فيحظى القارئ لتراجمهم بمعايشتهم من خلال معرفته بأحوال أولئك؛ ومن شواهد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر:

قول ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: «لكن ذكرتُ جماعةً من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلتُ عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم؛ ليطّلع على حالهم من يأتي بعدي»(١).

وهذا ياقوت الحموي في مطلع كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» المعروف بـ«معجم الأدباء» يقول: «فهذه أخبار قومٍ عنهم أُخذ علمُ القرآن المجيد والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمرُ السلطان والوزارة، وبعلمهم يتمّ الإسلام، وباستنباطهم يُعرَف الحلال من الحرام»(٢).

وهذا الغبريني (المتوفى عام ٧١٤هـ) يقول في مقدمة كتابه «عنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببِجَايَة»: «وذلك بحيث يعلم طالبُ العلم الأئمَّة الذين بهم يقتدى، وبسلوك سننهم السويّ يهتدى»(٣).

---

(١) «وفيات الأعيان» المقدمة (١/ ٢٠).
(٢) «معجم الأدباء» (١/ ٣٢).
(٣) «عنوان الدراية» (ص١٩-٢٠).

ما ذكره الإمام الحافظ ابنُ حجَر ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس» يعني الإمامَ الشافعي رحمه الله تعالى، حيث قال الحافظ : «الحمد لله الذي جعل نجومَ السَّماء هدايةً للحيارى في البرّ والبحر من الظلماء، وجعل نجوم الأرض ـ وهم العلماء ـ هدايةً من ظلمات الجهل، وفضّل بعضهم على بعض في الفهم والذكاء، كما فضّل بعض النجوم على بعض في الزِّينة والضياء»[1].

إذا عُلم هذا فيقال:

إنّ معرفة أخلاق العلماء ومعرفة سِيَرهم مَكسَب كبير، وتجارة رابحة لطالب العلم، فإذا قرأ طالبُ العلم تراجم أولئك الأئمة الأعلام ازداد بصيرةً وتنوُّرًا في سلوك طريقه، وفي المقابل يعلم مكامن النقص والخلل في ذاته وسيرته.

إنّ معرفة سيَر العلماء والحرص على تدوين أخبارهم ورحلاتهم وجُهودهم سُنَّة ماضية عند أهل العلم المتقدِّمين والمتأخِّرين، يشهد لهذا ويُؤكِّدُه عشرات ـ بل مئات ـ الكتب المتضمِّنة في مجموعها لآلاف التراجم.

وقد تفنَّن أهلُ العلم رحمهم الله في تصنيفهم لكتب التراجم، فمنهم من أفرد ترجمةً مستقلّةً عن إمام معيَّن، مثل الإمام الموفق بن أحمد المكِّي حينما أفرد ترجمةً مستقلة في مناقب الإمام أبي حنيفة[2] رحمه الله تعالى، وفعل مثله الكردي[3] فكتب في مناقب الإمام أبي حنيفة، والصيمري له كتاب «أخبار أبي حنيفة وأصحابه».

وهذا الإمام القاضي عيسى الزواوي أفرد مصنَّفًا مستقلًّا في ترجمة الإمام مالك رحمه الله تعالى.

(١) «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس» (ص٢٥).
(٢) واسم كتابه «مناقب أبي حنيفة».
(٣) واسم كتابه: «مناقب أبي حنيفة».

وأفرد الأئمة: ابن أبي حاتم الرَّازي[١] والبيهقي[٢] وابن كثير[٣] وابن حجر[٤] مصنفات مستقلة في ترجمة الإمام الشافعي .

وهذا الإمام ابن الجوزي أفرد مصنَّفًا مستقلًّا في مناقب الإمام أحمد .

ونحا بعضُ أهل العلم منحًى آخر، فأفردوا كُتبًا مستقلةً في ترجمة طبقة معيَّنة يشتركون في عصر أو قُطر أو عِلم أو مذهب، فهناك من أفرد بعضَ أتباع المذاهب بمصنَّف مستقلّ، مثل:

«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» لأبي الحسنات اللكنوي.

و«الطبقات السنيَّة في تراجم الحنفية» لتقي الدين بن عبدالقادر الدارمي.

و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» للقرشي.

و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض.

و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي.

و«طبقات الشافعية» لابن هداية الحسيني.

و«طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى.

و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب.

و«ذيل» ابن عبدالهادي على «طبقات» ابن رجب.

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفنّ والتخصص: طبقات المفسِّرين، وقد صنف فيها الداودي والسيوطي.

وطبقات المحدِّثين، مثل: «طبقات المحدِّثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ الأصبهاني.

---

(١) واسم كتابه: «آداب الشافعي ومناقبه».

(٢) واسم كتابه: «مناقب الشافعي».

(٣) واسم كتابه: «مناقب الإمام الشافعي». قال الحافظ ابن كثير: «أفردنا له ترجمةً مطوَّلةً في أول كتابنا «طبقات الشافعية»». انظر: مقدّمة المحقق (ص١٨).

(٤) واسم كتابه: «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس».

وطبقات الحفاظ، وقد صنَّف فيها الإمام الذهبي كتابًا سمَّاه: «تذكرة الحفاظ».

وطبقات القرَّاء، وقد صنَّف فيها الإمام الذهبي أيضًا كتابًا سمَّاه: «معرفة القرَّاء الكبار».

وطبقات النحاة، وقد صنَّف فيها السيوطي كتاب «بُغية الوُعاة».

وطبقات الأطباء، وصنَّف فيها ابن أبي أُصيبعة... وهلمّ جرًّا.

وكما سلف آنفًا؛ فمنهم من أفرد علماء قُطر معيَّن، كـ:

«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.

و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر.

و«تاريخ أو أخبار أصفهان» للحافظ أبي نُعيم الأصبهاني.

و«تاريخ حلب» لابن العديم، واسمه «بُغية الطلب في تاريخ حلَب».

و«تاريخ إربل[1]» لابن المستوفي.

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العصر:

«تاريخ الإسلام» للذهبي.

و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر.

و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني.

... إلى غير ذلك من أنواع التراجم.

***

وأخيرًا: فهذا كتابٌ يجمع أخبارًا موجَزة عن مُحَدِّث العَصر الإمام محمد ناصر الدِّين الألباني رحمه الله تعالى، وهذا من باب البرّ به وردِّ شيءٍ من الجَميل تُجاه ما قدَّمه للإسلام والمسلمين.

---

(١) إِرْبِل: بالكسر ثم السكون وباء موحَّدة مكسورة ولام، بوزن «إِثْمِد». انظر: «معجم البلدان» (١/ ١٣٧).

وممّا يحسن ذِكره في هذا المقام: قول سماحة الشيخ ابن باز في جوابه للشيخ محمد الشيباني عندما عزم الشيباني على كتابة ترجمة موسَّعة للإمام الألباني، فقد جاء في خطاب سماحته ما نصُّه:

«... وقد أحسنتُم فيما عزمتُم عليه من كتابة ترجمة له تُوضِّحون فيها جهودَه وأعماله الجليلة، فجزاكم الله خيرًا وسدَّد خُطاكم، ومنحكم التوفيق فيما عزمتُم عليه، وبارك في جهود أخينا وصاحبنا العلّامة الشيخ محمد ناصر الدِّين وزاده من العلم والهدى ونصر به الحقّ، وجعلنا وإياكم وإياه من الهداة المهتدين، إنه جوادٌ كريم»[(١)].

وعودًا على بدء أقول:

في هذا الكتاب سأذكُر أخبارًا ووقائع في حياة محدِّث العصر الألباني رحمه الله تعالى وبعض ما قيل عنه، وسأجعلها مصنَّفة تحت عنوانات؛ ليكون الحديث أكثرَ وضوحًا وأكثر استجماعًا للفائدة، وأما حياة الشيخ وترجمته الزمنية التفصيلية فحرصتُ على أن تكون ممَّا قاله هو بنفسه؛ لأنّ ذلك من السند العالي، وقد أزيد على ذلك، مع العلم أنه قد كُتب عن هذا الإمام كثير في حياته وبعد مماته، ولكن كما سبق آنفًا كتبتُ هذا من باب ردّ الجميل لهذا الإمام لما استفدتُ من كتبه.

والقصد من ذِكر هذه المواقف والأخبار أن يأخذ الإنسان الدروس والعِبَر وأن يتبصَّر فيها، وبخاصة طالب العلم المحبّ لهذا الإمام وإخوانه العلماء من أهل السنّة، فعندما يعرف تلك المواقف يُدرِك كيف تمثَّل الشيخُ السنَّةَ فيها، وكيف أقام الشيخُ سيرتَه ونهجَه على العلم الشرعي المؤصَّل من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح عليهم رحمة الله تعالى.

***

(١) انظر: صورة الأصل في كتاب «الألباني حياته وآثاره» (٢/ ٩٢٥) للشيباني.

ومن باب قول النبيِّ ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» فإنِّي أشكر الله تعالى أولًا، ثم أشكر كل من قدّم إليَّ معلومةً سواء كانت مسموعةً أو مقروءةً... شكر الله للجميع، وأجرى علينا أجر من قرأ وسمع واستفاد.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

وقد تكرَّم شيخي العلّامة الفقيه عبدالله بن عبدالعزيز العقيل فسمع كثيرًا من الكتاب بقراءة تلميذه البارّ محمد زياد التكلة، فشكر الله تعالى للشيخ عبدالله قراءته وتقديمه ولتلميذه البارّ قراءته على الشيخ برحابة صدر.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

١/١١/١٤٢٨هـ

نبذة من سيرته منتقاة مما قاله وكتبه

وُلد ناصر الدِّين في مدينة «أشقودرة» عاصمة ألبانيا عام ١٩١٤ احتضار أوائل القرن التاسع عشر، في أسرة فقيرة بعيدة عن الغنى، متديِّنة يغلب عليها الطابع العلمي، فقد تخرَّج والدُه الحاج نوح نجاتي الألباني في المعاهد الشرعية في العاصمة العثمانية الأستانة قديمًا، والتي تُعرَف اليوم بإستانبول، ورجع إلى بلاده لخدمة الدِّين وتعليم الناس ما درسه وتلقّاه، حتى أصبح مرجعًا تتوافد عليه الناس للأخذ منه.

وبعد أن تولى حكم ألبانيا الملك «أحمد زوغو» سار بالبلاد في طريق تحويلها إلى بلاد علمانية تقلِّد الغرب في جميع أنماط حياته، فطلع عليها بتغيرات اجتماعية كانت صدمةً هزّت أركان تلك البيئة المحافظة المطبوعة بالطابع الإسلامي، فأخذ يسير وَفق خطوات أتاتورك أحَد معاول هدم الخلافة الإسلامية.

فألزم المرأة الألبانية المسلمة بنزع الحجاب قسرًا، وألزم الرِّجال بلبس اللباس الأوروبي ـ كالبنطلون والقبّعة ـ كالحال في تركيا من سقوط الخلافة سنة ١٩٢٢ إلى يومنا هذا.

ومنذ ذلك اليوم بدأت هجرة الذين يريدون دينهم ويخافون سوء العاقبة، فتوجَّس والد[1] الشيخ خيفةً وتوقّع أن يسوء الحال أكثر من ذلك، فقرَّر الهجرة إلى بلاد الشام فرارًا بدينه وخوفًا على أولاده من الفتن، ووقع اختيارُه على مدينة

(١) توفي ـ رحمه الله تعالى ـ نحو سنة ١٣٧٢هـ، ودُفن في مقبرة الدحداح. «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٩) حاشية (٢).

دمشق التي كان تعرَّف عليها من قبل في طريق ذهابه وإيابه من الحجّ، ودفعه إلى ذلك ما ورد في فضل هذه البلاد من الأحاديث ودعاء الرسول ﷺ.

بداية تلقِّيه للعلم:

بدأ الغلام المهاجر من ألبانيا دراسته في الشام، وأول ما بدأ بدخول مدرسة الإسعاف الخيرية الابتدائية بدمشق، وكان مقرُّها بجوار البناء الأثري المشهور بقصر العظم في حيّ البزورية، واستمرَّ على ذلك حتى أشرف على نهاية المرحلة الابتدائية، وفي هذه الأثناء هبَّت أعاصير الثورة السورية بالفرنسيِّين الغزاة، وأصاب المدرسة حريقٌ أتى عليها، فانتقلوا عنها إلى مدرسة أخرى بسوق «ساروجه»، وهناك أنهى الشيخ دراسته الأولى.

ونظرًا لسوء رأي والده في المدارس النظامية من الناحية الدِّينية، فقد قرَّر عدم إكماله الدراسة، ووضع له برنامجًا علميًّا مركّزًا قام من خلاله بتعليمه القرآن والتجويد والصرف وفقه مذهبه الحنفي، وقد ختم على والده القرآن بالتجويد.

كما أنه تلقّى بعض العلوم الدينية والعربية على بعض الشيوخ من أصدقاء والده، مثل الشيخ سعيد البرهاني، إذ قرأ عليه كتاب «مراقي الفلاح» وبعض الكتب الحديثة في علوم البلاغة.

أخذ الشيخ إجازةً في الحديث من الشيخ راغب الطبَّاخ علّامة حلب في زمانه، وذلك إثر مقابلة له بوساطة الأستاذ محمد المبارك الذي ذكر للشيخ الطباخ ما يعرفه من إقبال الفتى على علوم الحديث وتفوُّقه فيها، فلمَّا استوثق من ذلك خصَّه بإجازته تقديرًا واعترافًا[(١)].

- قال رحمه الله تعالى عندما سُئل: هل كان يحسن اللغة العربية عندما هاجر إلى دمشق مع والده وأهله؟

(١) قلت: ومن مشايخ الإمام الألباني أيضًا الشيخ بدر الدِّين الحسني، فقد حضر له الشيخ بعض الدروس في شبابه.

«لا أعرف من اللغة العربية شيئًا، بل كنت لا أعرف من الأحرف العربية شيئًا، من أجل أنه لم يكن هناك عناية من الوالد ؒ في تعليمنا، مع أنه كان إمامَ مسجد، وربما كان شيخ كُتَّاب، فلمَّا جئنا إلى دمشق ما كنّا نعرف شيئًا من القراءة والكتابة، كما يقولون عندنا في سورية: ما نعرف الخمسة من الطمسة! ولا الألف من النفطية! النفطية: هي العصا التي يستعملها شيخ الكُتَّاب حينما يريد أن يصطاد آخِر ولَد يعبث هناك يطوله بها، وكانت المدرسة هناك مدرسةً أهلية لجمعية خيرية اسمها: جمعية الإسعاف الخيري، فهناك بدأتُ تعليمي، وبطبيعة الحال بسبب مخالطة الطلّاب كان تعلمي للّغة العربية ـ أو بالأحرى اللغة الشامية ـ أقوى من الذين لم يكونوا منتمين إلى المدرسة، وأذكر جيِّدًا يبدو لتقدمي في السنّ بالنسبة للطلّاب الابتدائيِّين، فقد جاوزت السنة الأولى والثانية في سنة واحدة، ولذلك حصلت على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات، ويبدو أنّ الله ﷻ قد فطرني على حبِّ اللغة العربية، وهذا الحبّ هو الذي كان سببًا كسبب مادِّي بعد الفضل الإلهي أن أكون متميِّزًا متفوِّقًا على زملائي من السوريِّين في علم اللغة العربية ونحوها.

وأذكر جيِّدًا أنّ أستاذ اللغة والنحو حينما كان يكتب جملةً أو بيت شعر على اللوح ويسأل الطلّاب عن إعراب تلك الجملة أو ذلك البيت يكون آخر من يطلب منه هو الألباني، وكنت يومئذ أُعرَف بـ«الأرناؤوط»، أمَّا كلمة «الألباني» فحينما خرجت من المدرسة وبدأتُ أكتب؛ لأنّ كلمة «الأرناؤوط» تشبه أو تقابل كلمة «العرب»، وكما أنّ العرب ينقسمون إلى شعوب ففيهم المصري والشامي والحجازي... إلى آخره، كذلك الأرناؤوط ينقسمون إلى: ألبان، وإلى الصِّرب من يوغسلافيا، وإلى بوشناق، فإذن بين كلمة «الألبان» وكلمة «الأرناؤوط» عموم وخصوص، فالألبان أخصّ من الأرناؤوط.

فكان أستاذ النحو يخرجني آخِر واحد إذا عجز الطلّاب عن الإعراب ويناديني:

إيه يا أرناؤوط إيش تقول؟ فأصيب الهدف في كلمة واحدة، فيبدأ يُعيِّر السوريِّين بي ويقول: مش عيب عليكم؟! هذا أرناؤوطي؟ وهذا من فضل الله عليَّ»[١].

• ومع دراسة الشيخ فقد كان يتكسَّب، فقد قال: «... وفي الوقت نفسه كنتُ أتعاطى مهنة النِّجارة، والتي تُسمَّى اليوم بالنجارة العربية، وتخرَّجتُ من مُعلِّمَين اثنين في النجارة أحدُهما خالي اسمه إسماعيل : عملتُ معه سنتين، والآخَر سوري يُعرف بأبي محمد أيضًا عملتُ معه سنتين.

وكان عملي معهما في الغالب في تصليح وترميم البيوت القديمة؛ لأنّ البيوت القديمة في الشام كانت من الخشب واللَّبِن، فكانت مع مضيّ الزمن والأمطار والثلوج ونحو ذلك تنهار بعض الجوانب من تلك الدور وتحتاج إلى نجَّار عربي يصلحها؛ فكنت أخرج معه، ففي أيام الشتاء في الغالب كنّا لا نستطيع أن نعمل شيئًا، فأمرّ على والدي وكان يتعاطى هو مهنة تصليح الساعات من بلده.

ذات يوم قال لي ـ وقد رجعتُ من معلِّمي، وقد شعر بأنه لا يوجد عمل في ذلك اليوم؛ لأنّ اليوم كان غائمًا ـ: الظاهر ما في شغل اليوم؟ قلت: نعم ما في شغل.

قال: شو رأيك أنا شايف أنّ هذه الشغلة ما هي سهلة ولا هي مهنة؟ شو رأيك تشتغل عندي؟ قلت له: كما تريد.

قال لي: يالّا اصعد، وكانت دُكانته مرتفعة عن الأرض كان يخشى من الرطوبة.

ومن يومها لزمتُه حتى تخرَّجت في المهنة من عنده، وفتحت دُكّانًا خاصًّا بي...»[٢].

• وقال : «... في العهد العثماني كان يُصلِّي الإمام الحنفي قبل الإمام الشافعي، سواء في المسجد الأكبر ـ المسجد الأموي ـ أو في غيره من المساجد، كمسجد التوبة هذا.

---

(١) من تسجيل «ترجمة الألباني» لأبي إسحاق الحويني. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٨-٩).

(٢) من تسجيل «ترجمة الألباني» لأبي إسحاق الحويني. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٩-١٠).

ثمَّ لمّا تولى رئاسة الجمهورية السورية الشيخ تاج الدِّين الذي هو ابن الشيخ بدر الدِّين الحسني المعروف بأنه كان مُحدِّثًا في عصره، فهو بالنظر إلى أنه كان شافعيَّ المذهب فأصدر أمرَه السَّامي بأن يُصلِّي الإمام الشافعي قبل الإمام الحنفي، وهكذا نفذ ـ كما هو طبيعة الأمر ـ هذا الصادر من ولي الأمر كما يقولون، نفّذ هذا الأمر في كل المساجد، ومنها مسجد التوبة؛ فكان الإمام الشافعي يُصلِّي قبل البرهاني الحنفي.

فلمَّا تفقّهتُ أنا وعرفتُ أنّ الجماعة الثانية لا أصل لها في السنّة.. صرتُ أصلِّي وراء الإمام الشافعي ـ الإمام الأول ـ وإذا بها تَقُوم قِيامةُ والدي بسبب هذه المخالفة! أولًا لمذهبه، وثانيًا لفعله؛ فإنه يتأخّر ليصلِّي مع الإمام الحنفي البرهاني، لكن هو ماضٍ في سبيله وأنا ماضٍ في سبيلي.

ثمَّ سافر الشيخ البرهاني في حجّ أو عُمرة ـ ما أذكر ـ فأناب والدي بأن يُصلِّي مكانَه، فكنتُ لا أصلِّي خلفَه؛ لأنّه لا فرق عندي بين البرهاني وبين والدي؛ لأنّ كلاهما يتأخّر عن الجماعة الأولى، فكنتُ أدَعُ والدي يُصلِّي الجماعة الثانية وأصلِّي أنا مع الإمام الأول.

ثمَّ جاءت فيما بعد ـ كما يقال: ضغثًا على إبالة ـ وقضي لوالدي أن يغيب عن البلد يومًا أو يومين، فطلب منِّي أن أصلِّي بديله ـ يعني الجماعة الثانية ـ فأبيتُ عليه وقلت له: أنت تعرفُ رأيي في الموضوع، وصعبٌ جدًّا أن أخالف رأيي.

توفّرت عدّة قضايا؛ ممّا أثار حفيظة والدي عليَّ.

فذات يوم ونحن على طعام العشاء قال لي بلسانٍ عربيٍّ مبين ـ بعد بيان منه عن الوضع الذّي أعيشه أنا معه من حيث مخالفتي إياه ـ قال: إمَّا الموافقة وإمّا المفارقة!

فقلت له: أمهلني ثلاثة أيام حتى أفكِّر في الأمر.

قال: لك ذلك.

فجئتُ بالجواب: ما دام أنك خيَّرتني فأنا أختار أن أعيش بعيدًا عنك حتّى لا أزعجك بمخالفتي لمذهبك.

وكان كذلك؛ فخرجتُ من عنده ولا أملك درهمًا ولا دينارًا، وأذكر جيِّدًا أنه قدّم إليَّ خمسًا وعشرين ليرةً سورية فقط لمّا خرجتُ من البيت، لكن أنا في هذه المدّة كلّها كنتُ أسَّستُ نواةً من الإخوان السلفيِّين، وكان أحدُهم له حانوتٌ يبيع فيه حبوب القمح والشعير والفول ونحو ذلك، وكان في نفس المكان الذي أنا استأجرتُ فيه دُكّانًا لي، فأقرضني مائتي ليرة سورية حتّى استطعتُ أن أستأجر المحلّ، وكان عند والدي بعض الآلات القديمة التي لا يستعملها وليس بحاجة إليها فأعطاني إياها، فاستقللتُ في العمل.

ومن فضل الله عليَّ أنني كنتُ دقيقًا في مهنتي وناصحًا فيها، فكثرت الزبائن، «وبيقولوا عندنا بالشام: وقال الكريم خذ ـ ربّ العالمين ـ».

... وكنتُ قد جاوزت العشرين من عمري؛ لأنّ كتابي الذي أعزو إليه أحيانًا باسم «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» لمّا أنهيتُه كان عُمري إحدى وعشرين سنةً أو اثنتين وعشرين.

والمقصود: هناك استقللتُ في عملي وفي فكري، وكنّا نُقيم دروسًا في الليل عند بعض الإخوان، وفيما بعد لما اتّسعت دائرة الدعوة استأجرنا مقرًّا فكنّا نلقي فيه دروسًا في الحديث، وفقه الحديث، ومصطلح الحديث... وهكذا»[(١)].

- وسُئل عن كيفية جمعه بين المهنة وتحصيل العلم، فأجاب:

«.. هذا أمرٌ ـ الحمد لله ـ من توفيقات الله ﷻ.

كما قلت: حين كنتُ عند والدي أغتنم فرصة فراغ وعدم وجود عمل عند والدي كنتُ أنطلق إلى السوق وإلى ذلك المصري لأقلِّب ما عنده من كتُب، فيما بعد أصبحتُ حُرًّا طليقًا لمّا استقللت في الدكان، ويبدو أنّ ربَّنا ﷻ فطرني على القناعة، وبخاصة حينما أسَّستُ لي دُكّانًا وأسَّست لي دارًا، فتخلّصتُ من أجرة الدار والدكان.

---

(١) من التسجيل السابق. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص١٨-١٩).

وقلت آنفًا: إني لمّا خرجت من عند والدي واستقللت بدكاني وعملي وقال الكريم خذ ـ يعني كثرت الزبائن ـ فوفرت ما استطعت به أن أشتري قطعة أرض خارج التمليك تكون رخيصة... دار متواضعة، فتخلصت من أجرة السكن، ثمَّ وفّرت شيئًا وأعانني أيضًا بعضهم قرضًا حسنًا فاشتريتُ قطعة أرض بقية دار كان مرَّ عليها الطريق فبقي مكان منها لدكّان، وسكنتُ فيها واستغنيت، فما بقي عليَّ إلّا مقدار ما أَعُول به نفسي وزوجتي ثمَّ أولادي.

لهذا؛ بعد أن استقللت هذا الاستقلال كنتُ أعمل في دُكّاني ساعةً أو ساعتين من الزمن إلى الساعة الثامنة أو التاسعة حينما تفتتح المكتبة الظاهرية أبوابها، فأغلق الباب وأنطلق إلى المكتبة الظاهرية ثلاث ساعات على الأقل قبل الظهر، ثمَّ أصلِّي الظهر هناك جماعةً مع بعض المتردِّدين على المكتبة، فإذا أغلقت أبوابها ذهبت إلى دُكّاني عملتُ فيه نصف الساعة إلى أن يحضر وقت الغداء فأذهب إلى الدار.

وكنتُ اشتريتُ درَّاجةً عادية فأركبها، وللتاريخ أقول: لأوَّل مرَّة رأى الدمشقيون شيخًا بعمامة بيضاء مكوَّرة يركب درَّاجةً عادية، وكنتُ يومئذ متعمِّمًا بناءً على الأفكار المذهبية السابقة وبعض الأحاديث الضعيفة، بل الموضوعة: «صلاة بعمامة تفضُل سبعين صلاةً بغير عمامة».

وكنتُ ألبس أيضًا جُبَّة، لكن مع الزمن عرفتُ أنّ هذه التقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، فطاحت الجبَّة وطاحت العمامة، وأخذتُ ألبس ما يلبس الناس.

المقصود: كنتُ أقنع من العمل بالشيء القليل وأوفِّر سائر وقتي للمكتبة الظاهرية.

ثمَّ في فترة من فترات العمل في الدكان تعرَّف عليَّ رجُلٌ فلسطيني من المهاجرين إلى دمشق، فعرض عليَّ أن يضع ابنًا له ليتعلم المهنة، فهذا كان أيضًا يُعينني، فتوفّر أيضًا بواسطته شيءٌ من الوقت، فبهذه الصورة كنتُ وفّرت وقتًا طويلًا لدراسة العلم ودراسة المكتبة الظاهرية.

وكذلك كان ممَّا يسَّر الله لي بعض المكتبات الخاصَّة التي تبيع الكتب للناس،

فكانت تعيرُني ما ليس عندي، فكنت آخذ الكتاب والكتابين وأكثر من ذلك من المكتبات الخاصة وأدعُها عندي في الدكّان، حتى إذا لم يبق عند المعير نسخة أخرى وجاء شخصٌ يريد أن يشتري التي عندي يرسل لي خبرًا فأرسل إليه النسخة، وقد تبقى النسخة عندي سنين لا أحد يطلبها، خاصَّةً علم الحديث كما تعلم كان أمرًا مهجورًا.

فمكتبة الظاهرية، ومكتبة القصيباتي، والمكتبة العربية الهاشمية كانت أيضًا من الأسباب التي سخّرها اللهُ لي حتى انتفعتُ بكتب أصحابها كما لو كانت من ممتلكاتي»[١].

- وسُئل : أنه كان يذكر في بعض الكتب أنه كان له حجرة مخصصة في المكتبة الظاهرية، فكيف توصل إلى الحصول عليها؟ فأجاب:

«لا أذكر الآن جيِّدًا... إما أن يكون بسبب شعور المسؤولين في المكتبة الظاهرية أني رجلٌ هاوٍ للعلم، فكنت أجلس في القاعة العامَّة فأقول: يا أبا مهدي.. أعطني ـ طبعًا بوصل ـ الكتاب الفلاني المخطوط يعني، فلا أكاد أنتهي منه إلّا أطلب كتابًا ثانيًا وثالثًا ورابعًا... فأحيانًا كان يجتمع عندي كوم من المخطوطات على الطاولة، والطاولة وضعت لأربعة أشخاص: اثنان في جهة واثنان في الجهة الأخرى.

فبحكم هذا الواقع كان لا يستطيع أَحَدٌ من الطلّاب أن يأتي ليشاركني في الجلوس على هذه الطاولة، بلا شكّ هذا يوجِد شيئًا من الاعتراض من الطلبة، خاصةً في أوقات الامتحان.

فكأنّ المسؤولين هناك وجدوا حلًّا للمشكلة... عندهم غرفة مظلمة لا تصلح لتكديس الحطب فيها! فعرضوا عليَّ ذلك وجعلوني في هذه الغرفة، ووضعوا لي

(١) من التسجيل السابق. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٠-٢٢).

ما أحتاج إليه من الكتب كمراجع حتى ما أُتعِب الموظفين هناك: هات الكتاب الفلاني... وخذ الكتاب الفلاني، حتى بعض المخطوطات تركوها عندي.

هذا هو الاحتمال الأول، وهو الأغلب على ظنِّي؛ لأنّ العهد بَعُد عنِّي.

الاحتمال الثاني: أنّ كلِّية الشريعة في الجامعة السورية عقدوا عدّة اجتماعات وقرَّروا أن يضعوا نواةً لموسوعة الحديث، ومع الأسف أقول: لا يجدون من دكاترتهم من يقوم بهذا الأمر، فأرسلوا لي للتداول في الموضوع، فالتقيتُ معهم في الجامعة وعرضوا عليَّ الفكرة وطلبوا منِّي أن أعمل في منهج وضعوه هم، وبعد المداولة في الموضوع اتّفقت معهم على أن أعمل لهم في كلِّ يوم أربع ساعات، وبقية الساعات لعملي الخاصّ، وبشرط أن يسمح لي في المكتبة الظاهرية بالدخول في أيِّ وقت إن شئت من ليل أو نهار.

فقلت لهم: إذا كان المسؤولون عن المكتبة يسمحون بذلك فأنا أعطيكم كلّ يوم أربع ساعات. قالوا: نحن نكلِّم المدير المسؤول هناك.

جاء أظنّ يومئذ ـ لا أذكر ـ مصطفى السباعي أو محمد المبارك وصعد إلى المدير المسؤول وتحدّثوا في الموضوع ثمَّ أرسلوا لي وقالوا: نحن اتّفقنا مع المدير على أن يأمر الحارس أنه كلّما أتيت أنت يفتح لك الباب.

وهكذا وفّرت أربع ساعات لهم؛ فكنت أعمل في مشروع «موسوعة أحاديث البيوع»...

الشاهد الآن: أنّ الحقيقة لا أستطيع أن أقطع هل بهذه المناسبة فرَّغوا لي هذه الغرفة أم من قبل ذلك، وهذا الذي يترجّح عندي: إنما أعطوني هذا الإذن الخاص في الدخول متى شئت من ليل أو نهار.

فهذه قصة الغرفة التي تفرَّدتُ بها دون جميع المطالعين هناك»[١].

---

(١) من التسجيل السابق. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٧-٢٨).

- «كنت أستاذ مادة الحديث في الجامعة الإسلامية ما بين سنة ١٣٨١هـ إلى نهاية سنة ١٣٨٣هـ»[(١)].
- وسُئل: كيف تمَّ اختياركم للتدريس في الجامعة الإسلامية؟ لأنّ المعهود أنّ الدراسة الأكاديمية تحتاج إلى دكتوراه ونحو ذلك، فأجاب : :

«هذه أول مرَّة أُسأل هذا السؤال، والذي يحضرني الآن للجواب أمران اثنان:

الأمر الأول: أنّ الجامعة كانت حديثة عهد بالتدريس الجامعي، وخاصةً في بلاد السعودية.. هذا السبب الأول.

السبب الثاني: هو شهرة بعض المؤلفات ورضاء الجماعة هناك عنها، وفيما يبدو تقديرهم لها حقّ قدرها هو الذي دفعهم إلى أن يُرسلوا إليَّ وأنا ما طلبت ولم أطلب وعشت هكذا، والحمد لله، لا أطلب مهنةً ما، فأنا منذ نعومة أظفاري كنتُ أكسب قوت يومي من كدِّ يميني وعرق جبيني، وأنا في هذا الوقت جاءني طلبٌ من الشيخ محمد بن إبراهيم ـ حيث كان هو مفتي المملكة، وكان رئيس الجامعة ـ يطلب منِّي الموافقة على تدريس مادة الحديث في الجامعة الإسلامية التي ستفتح أبوابها.

فتشاورت أنا مع إخواننا هناك الذين أثق في فهمهم وعلمهم، فقال لي أحدُهم: جرِّب سنةً فإن آنست من تدريسك خيرًا ظللت على الدراسة معهم ما كتب لك.

والحقيقة أنني عندما ذهبت إلى هناك وجدتُ مناخًا رائعًا جدًّا، لديهم استعداد لتقبُّل الدعوة أولًا، والمنهج العلمي الذي أنا فُطِرتُ عليه وظللت عليه ثانيًا»[(٢)].

- قال رحمه الله تعالى: «... إنّ من توفيق الله ﷻ إيَّاي أن ألهمني أن أُعبِّد له أولادي

---

(١) «صحيح الترغيب» (١/ ٦٠) نقلًا عن «حياة العلّامة» (ص١٥).

(٢) من التسجيل السابق. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٣٠-٣١).

كلّهم، وهم: عبدالرحمن، وعبداللطيف، وعبدالرزاق من زوجتي الأولى رحمها الله تعالى. وعبدالمُصوِّر، وعبدالمهيمن، وعبدالأعلى من زوجتي الأخرى، والاسم الرابع ما أظنّ أنّ أحدًا سبقني إليه على كثرة ما وقفتُ عليه من الأسماء في كتُب الرِّجال والرواة، أسأل الله تعالى أن يزيدني توفيقًا، وأن يبارك في آلي: ﴿u v w x y z { | } ~ إِمَامًا﴾[١].

ثمَّ رُزقتُ سنة ١٣٨٣هـ وأنا في المدينة المنوَّرة غلامًا، فسمَّيتُه «محمدًا» ذكرى مدينته ﷺ، عملًا بقوله: «**تسمَّوا باسمي، ولا تَكنَّوا بكُنيتي**» متفقٌ عليه»[٢].

- «... وأولاد الشيخ بالترتيب يكونون كالتالي:

من زوجته الأولى: ١- عبدالرحمن. ٢- عبداللطيف. ٣- عبدالرزاق.

ومن زوجته الثانية: ٤- عبدالمصوِّر. ٥- عبدالأعلى. ٦- محمد.

٧- عبدالمهيمن. ٨- أنيسة. ٩- آسية.

١٠- سلامة. ١١- حسانة. ١٢- سكينة.

ومن زوجته الثالثة: ١٣- هبة الله.

وأمَّا زوجته الرابعة فلم يُنجب منها...»[٣].

- وقال رحمه الله تعالى: «وبهذه المناسبة يحقّ لي أن أقول بيانًا للتاريخ، وشُكرًا لوالِدِي رحمه الله تعالى: وكذلك في الحديث[٤] بُشرَى لنا آلَ الوالد الذي هاجر بأهله من بلده «أشقودرة» عاصمة «ألبانيا» يومئذ فرارًا بالدِّين من ثورة «أحمد زوغو» الذي أزاغ الله قلبه، الذي بدأ يسير في المسلمين الألبان مسيرة سلفه

---

(١) الفرقان: ٧٤.

(٢) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٦٢٩) نقلًا عن «حياة العلّامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص٩-١٠).

(٣) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٨١).

(٤) وهو حديث: «**ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم**». رواه أبو داود (٢٤٨٢).

«أتاتورك» في الأتراك، فنجيت ـ بفضل الله ورحمته ـ بسبب هجرته هذه إلى دمشق الشام ما لا أستطيع أن أقوم لربِّي بواجب شُكرِه ولو عشتُ عُمرَ نوح عليه الصَّلاة والسَّلام؛ فقد تعلمت فيها اللغة العربية السُّورية أولًا، ثمَّ اللغة العربية الفصحى ثانيًا، الأمر الذي مكّنني أن أعرف التوحيد الصحيح الذي يجهله أكثرُ العرب الذين كانوا من حولي، فضلًا عن أهلي وقومي إلّا قليلًا منهم، ثمَّ وفقني الله ـ بفضله وكرمه دون توجيه من أحَد منهم ـ إلى دراسة الحديث والسنّة أصولًا وفقهًا...»[1].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث رقم (٣٢٠٣) (٧/ ٦١٥-٦١٦).

الألباني الساعاتي

مهنة إصلاح السَّاعات أحسب أنها داخلة تحت قول النبيِّ ﷺ: «**أطيَبُ كسب الرَّجُل من عمل يده**»، والإمامُ الألباني امتهنَ هذا الأمر طلبًا للتكسُّب؛ فكانت تلك المهنةُ بابَ خير عظيم له.

يقول الإمام الألباني عن هذا الأمر ـ مجيبًا لمن سأله عن كيفية التوفيق بين تفرُّغه للعلم واشتغاله بتصليح السَّاعات وبيعها ـ قال ما نصُّه: «إنّ ذلك صحيح، ومن توفيق الله تعالى وفضله عليَّ أن وجَّهني منذ أوَّل شبابي إلى تعلّم هذه المهنة؛ ذلك لأنها حُرَّةٌ لا تتعارض مع جُهُودي في عِلم السُّنّة، فقد أَعطيتُ لها من وقتي كلّ يوم ـ ما عدَا الثلاثاء والجمعة ـ ثلاثَ ساعاتٍ زمنيةً فقط، وهذا القدر يُمَكِّنُني من الحصول على القوت الضروري لي ولعيالي وأطفالي على طريقة الكفاف طبعًا، فإنّ من دُعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهُمَّ اجعل رِزقَ آل محمَّد قوتًا**» رواه الشيخان، وسائرُ الوقت أصرفُه في سبيل طلب العلم والتأليف ودراسة كتُب الحديث، وبخاصَّة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية، ولذلك فإنّني أُلازِم هذه المكتبة ملازمةَ موظَّفيها. ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ستِّ ساعاتٍ إلى ثماني ساعاتٍ يوميًّا على اختلاف النِّظام الصيفي والشتوي في الدوام فيها»[(١)].

ومن ضعف نظَر بعضهم ـ بل من جهالته أو حقده عياذًا بالله ـ تَنَقُّص الإمام بهذه المهنة، ولو أنّ هذا قلّبَ بعضَ كُتُب التراجم لرأى أنّ كثيرًا من العلماء كانت

(١) «حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» لمحمد بن إبراهيم الشيباني (ص٤٨-٤٩).

لهم حِرَفٌ يتكسَّبون بها، ألم يقرأ: الزيَّات، الدهَّان، الخيَّاط... بل قبل ذلك كلّه أنبياء الله عليهم السلام؛ فقد كان داود عليه السلام حدَّادًا، وكان زكريَّا عليه السلام نجَّارًا، وللعلم كانت النِّجارة هي المهنة الأولى للشيخ الألباني.

قال الشيخ حمَّاد الأنصاري رحمه الله تعالى: «إنّ الشيخ الألباني درَسَ العلم دراسةً وافيةً، واتّخذ إصلاحَ السَّاعات معيشةً له كما كان يفعل الأئمَّةُ الأوائل، فإنّ كلّ واحد منهم له صنعةٌ لمعيشته، فمثلًا أبو حنيفة كان قمَّاشًا»[١].

قلت: وللفائدة يُنظَر في هذا الموضوع كتاب «الطُّرفَة فيمن نُسِب من العلماء إلى مهنة أو حرفة» إعداد: عبدالباسط بن يوسف الغريب.

لطيفة: قال الإمام الألباني رحمه الله تعالى: «دِقّتي هذه استفدتُها من مهنة الساعات»[٢].

(١) كتاب «المجموع» (٢/٦٢٣).
(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٩٧).

الحادثة التي غيَّرت مجرى تاريخ حياة الألباني

قبل ذِكر تلك الحادثة أصدِّر هذا المبحث بمقدّمة ونتيجة ومثالين:

فأمَّا المقدّمة: فإنّ من المعلوم أن للخير ـ ولو كان يسيرًا ـ ثمارًا حميدةً فإن كان الخير قاصرًا على فرد واحد ففي ذلك خيرٌ له، وإن كان الخير متعدّ إلى أفراد كان الخير مشاعًا بينهم، وقد يفضل بعضهم على بعض ولا ينقص من أجور المفضول شيئًا، وقواعد هذا مقرَّرة في نصوص الشريعة.

وأمَّا النتيجة: فعلى المسلم ألّا يزهد في خير يعمله مهما كان يسيرًا... ﴿ W X Y Z [\ ﴾، وكما قال ﷺ: «**لا تحقرنّ من المعروف شيئًا**».

فرُبَّ كلمةِ خير مسموعة من فيك أو مقروءة من قلمك تنفع فردًا أو قومًا في حياتك أو بعد مماتك، فيجرى عليك من الأجور ـ بسبب تلك الكلمة ـ ما لا يحصيه إلّا الله تعالى، ويبقى باب الأجر لك مفتوحًا ما دام النفع مستمرًّا؛ و﴿ s t u v w x ﴾.

بعد هذا أسوق لك مثالين هما بمثابة مفتاحين صغيرين لبابين كبيرين من أبواب الخير.

أمَّا المفتاح الأول: فكلمة ألقاها شيخٌ على تلاميذ له فجعل الله تعالى من تلك الكلمة شجرةً طيِّبةً نتفيَّأ ظلالها وننعم بثمراتها كما نعم بها من قبلنا وسينعم بها من بعدنا، وإليك الخبر:

مرَّ إسحاق بن راهويه : على ثلّة من طلبة العلم فقال لهم: لو أنّ أحدَكم يجمعُ كتابًا فيما صحَّ من سنّة رسول الله ﷺ، فقال الإمام البخاري : ـ وكان من

أولئك الطلبة وكان حديث السنّ ـ: فوقع ذلك في نفسي. فشرع ـ رحمه الله تعالى ـ في تصنيف ما أشار به إسحاق، فكان نتيجة ذلك كتاب «**الجامع الصحيح المسنَد من حديث رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه**»، وهو المعروف المشهور شهرة الشمس في النهار بـ«صحيح البخاري».

وأمَّا المفتاح الثاني ـ وهو دون الأول ـ: فيتعلق بطالب علم صغير كان في أوَّل أمره يُعني بالتاريخ، فكتب مرَّةً ورقةً وناولها شيخَه ـ وكان بجانب شيخه شيخٌ آخَر ـ فلمّا رأى ذلك الشيخ خطَّ ذلك الفتى قال له: «خطّك هذا يُشبه خطّ المُحدِّثين». قال ذلك الفتى: فحبّب الله إليَّ علم الحديث(١).

فأصبح ذلك الفتى من أئمة الحديث والجرح والتعديل، حتى قال عنه تلميذه السبكي: «أمّا أستاذنا أبو عبدالله فبصرٌ لا نظير له، وكنزٌ هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمامُ الوجود حفظًا، وذهَبُ العصر معنًى ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرِّجال في كلّ سبيل، كأنما جُمِعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثمَّ أخذ يُخبِر عنها إخبارَ مَن حضرها»(٢).

ذلك الفتى الذي بلغ تلك الرتبة هو: الإمام الذهبي.

عودًا على بدء أعود إلى تلك الحادثة التي غيَّرت مجرى تاريخ الإمام الألباني رحمه الله تعالى، ولنترك الإمام نفسه يروي ذلك فذلك أوثق في النقل وأبلغ في السمع.

قال رحمه الله تعالى فيما حدّث به عنه الشيخ محمد المجذوب:

«أوَّل ما أولعتُ بمطالعته من الكتب القصص العربية، كالظاهر وعنترة والملك سيف.. وما إليها، ثمَّ القصص البوليسية المترجمة كأرسين لوبين وغيرها، ثمَّ وجدتُ نزوعًا إلى القراءات التاريخية.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٦).

(٢) «السِّيَر» (١/ ١٦٩) مقدمة.

وذات يومٍ لاحظتُ بين الكتُب المعروضة لدى أحد الباعة جزءًا من «مجلة المنار» فاطّلعتٌ عليه، ووقعتُ فيه على بحث بقلم السيِّد رشيد رضا يصف فيه كتاب «الإحياء» للغزالي، ويُشير إلى محاسنه ومآخذه ...»[١] «... كصوفياته مثلًا، وكأحاديثه الضعيفة والواهية، وبهذه المناسبة ذكر أنّ لأبي الفضل زين الدِّين العراقي كتابًا وضعه على «الإحياء» خرَّج فيه أحاديثه وميَّز صحيحها من ضعيفها...»[٢].

«... ولأوَّل مرَّة أواجه مثل هذا النقد العلمي، فاجتذبني ذلك إلى مطالعة الجزء كلّه، ثمَّ أمضي لأتابع موضوع تخريج الحافظ العراقي على «الإحياء»، ورأيتني أسعى لاستئجاره؛ لأنِّي لا أملك ثمنه، من ثمَّ أقبلتُ على قراءة الكتاب، فاستهواني ذلك التخريج الدقيق، حتى صمَّمتُ على نسخه...»[٣] «... أو تلخيصه بعد ما خططت في ذهني صورًا لنسخ التخريج الذي هو مطبوع على هامش «الإحياء».

بدأت أنسخ الأحاديث، ووضعت خطة هذه منها قائلًا: «إنّ العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة» هكذا في «الإحياء». يقول الحافظ العراقي: وقد نقلته منه ولكني لم أجده هكذا، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «إنه ليأتي الرَّجُل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» انتهى كلام العراقي، ولكن أنا ماذا فعلت؟ وضعتُ شَرطة وأتممت الحديث من الصحيحين، واصطلحت على هذا حتى ما أَنسب إلى الحافظ العراقي شيئًا ليس له، اصطلحت الزيادة التي أنقلها من الأصل الذي عَزَا الحديث إليه أضعه بين الشرطتين، ويومئذ كنت حديثَ عهد بالمطالعة،

(١) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٦).
(٢) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص١٢).
(٣) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٦-٤٧).

ولو استقبلتُ من أمري ما استدبرت لوضعت الأقواس التي جريت عليها في كتبي فيما بعد [ ]، بدل الشرطتين «ـ ـ».

الشاهد: بدأت بالنسخ، ثمَّ وصلت إلى نصف المجلد الأول، ثمَّ خطر في بالي خاطرة وذلك أثناء عملي بالأحاديث تمرّ بي بعض منها لا أفقه ألفاظها؟ وبالتالي لا أتبيَّن المعنى المراد من الحديث كله، فقلت: لماذا لا أشرح كلّ هذه الألفاظ في الهامش، وتكون مذكرة لي ومساعدة على فهم الحديث؟ وبعد أن وصلت إلى نصف المجلد الأوَّل ألقيته، ورجعت أنسخه من جديد على الخاطرة الجديدة، وكلما مررت بحديث فيه كلمة مغلقة عليَّ أستعين بـ«غريب الحديث» لابن الأثير، وبـ«القاموس» وأكتب المعنى في الهامش، حتّى توسَّع الأمر وصار التعليق أكثر من المتن، وهكذا حتى انتهى الكتاب.

وهكذا جهدت حتى استقامت لي طريقة صالحة تساعد على تثبيت تلك المعلومات، وأحسب أنّ هذا المجهود الذي بذلته في دراستي تلك هو الذي شجعني وحبَّب إليَّ المضي في ذلك الطريق، إذ وجدتُني أستعين بشتّى المؤلفات اللغوية والبلاغية وغريب الحديث لتفهّم النص إلى جانب تخريجه، وهذا ما نفعني كثيرًا جدًّا.

والحقيقة كدت أقول: أنا أعجب من لطف الله بعباده، ولكن أشعر بأنّ الله كان يَنقُلني من خطوة إلى أخرى، الآن أقتطف ثمار ما كنت أؤلف وأخطط، وأنا لا أدري ما وراء هذا التأليف وما وراء هذا التخطيط، والآن أقتطف ثمار بعض التآليف، فأجد مادَّة غزيرة في مشاريعي العلمية الأولى، وذلك لوفرة النشاط والرَّغبة الملحَّة في متابعة البحث واستجمال روايات الحديث، وإن كنت ـ والحمد لله ـ لا زلت على النشاط والبحث، ولكن للشيخوخة حقها»[1].

(١) «علماء ومفكِّرون عرفتهم» للمجذوب (ص٢٨١-٢٨٢).

ولقد سُئل الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ عن عُمره عند تلك الحادثة فذكر أنه دون العشرين، إمّا سبع عشرة أو ثمان عشرة سنةً[(١)].

ولم ينس الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ذِكر تلك الحادثة، بل كان يذكرها من باب ردِّ الجميل إلى أهله، بل اسمع إلى أبلغ من ذلك عندما قال:

«... فإذا كان من الحقّ أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي ـ بهذه المناسبة الطيِّبة ـ مسجِّلًا هذه الكلمة ليطّلع عليها من بلغته؛ فإنني بفضل الله ﷻ ـ بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولًا وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانيًا ـ يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيِّد رضا : عن طريق أعداد مجلته «المنار» التي وقفتُ عليها في أول اشتغالي بطلب العلم»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «... والشاهد أنّ «مجلة المنار» هي التي فتحت لي الطريق للاشتغال بعلم الحديث»[(٣)].

وفي خاتمة هذا المبحث أقول:

رحم الله الإمام الألباني فقد كان يشكر الناس ـ بعد شكر الله تعالى ـ فضلهم عليه، ويعزو الفضل إلى أهله، وهذا المنهج ـ وهو «عزو الفوائد إلى أهلها» ـ كثرت فيه النقول عن الأئمة السابقين، فمن ذلك:

أخرج الحافظ ابن الجوزي عن عبدالغني بن سعيد المصري الحافظ قال: «لمّا وصل كتابي الذي عملتُه في أغلاط أبي عبدالله الحاكم أجابني بالشكر عليه، وذَكَر أنّه أملاه على الناس وضمَّن كتابه إليَّ الاعترافَ بالفائدة، وبأنّه لا يَذكرُها إلّا عنِّي، وأنّ أبا العباس محمَّد بن يعقوب الأصمّ حدّثهم قال: حدّثنا العباس

(١) من تسجيل «ترجمة الألباني» للحويني. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص١٢).
(٢) «حياة الألباني» (١/ ٤٠١).
(٣) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٠).

بن محمد الدوري قال: سمعتُ أبا عُبيد يقول: مِن شكر العلم أن تستفيد الشيء فإذا ذُكِر لك قلت: حقِّي على كذا وكذا، ولم يكن لي به علم حتّى أفادني فلان كذا وكذا، فهذا شكر العلم»[١].

وقال النووي : : «ومن النصيحة أن تُضافَ الفائدة التي تُستغرَب إلى قائلها؛ فمن فَعَل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوهمَ ذلك وأوهمَ فيما يأخذه من كلام غيره أنه له فهو جديرٌ أن لا يَنتفِعَ بعلمه ولا يُبارَك له في حال، ولم يزل أهلُ العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها، نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائمًا»[٢].

ومن باب إتمام الفائدة في هذا المبحث فقد تصفّحتُ كثيرًا من مجلدات «مجلة المنار» لإتحاف القارئ بذلك المقال الذي كان وقوف الشيخ عليه وقراءته له نقطة تحوُّل في حياته، فوجدته في المجلد الثاني عشر، في الجزء الثاني عشر، الصادر في يوم الثلاثاء سلخ ذي الحجّة ١٣٢٧هـ، الموافق ١١ يناير (كانون الآخر) ١٢٨٥هـ-١٩١٠م.

والمقال في (ص٩١٢) بعنوان: «الأحاديث الموضوعة في كتاب الإحياء ورواياتها».

وانظر ذلك أيضًا في «فتاوى محمد رشيد» (ص٨٤٩-٨٥٠) فتوى رقم (٣٠٧).

وإليك صورة الصفحة الأولى من العدد المشار إليه، ثمَّ صورة المقال:

---

(١) «المنتظم» لابن الجوزي (٢٩١/٧). وانظر: «تاريخ دمشق» (٧٨/٤٩)، و«الإلماع» للقاضي عياض (ص٢٢٩).

(٢) «بستان العارفين» (ص١٢).

وهناك مقالٌ آخَر مشابهٌ لهذا المقال في «مجلة المنار» أيضًا ذي القعدة ١٣٣٢هـ ق ١٢٩٣ هـ ش، ١٩ أكتوبر ١٩١٤م.

والذي ترجَّح لي أنّ المقال الذي يعنيه الشيخ هو الأوّل.

صور من ابتلائه رحمه الله تعالى

الابتلاء سُنَّة ماضيةٌ في رُسُل الله تعالى وأنبيائِه عليهم الصَّلاة والسَّلام، وهُم أشدّ الناس بلاءً، وهم أعلمُ الناس بالله وأتقى الناس لله.

قال ﷺ: «**أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل**»، والذي يلي الأنبياء عليهم السلام في شدَّة البلاء هم أتباعُهم وبخاصَّة العلماء منهم، وهكذا استمرَّ البلاء على أتباعهم ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وكان ممَّن ناله البلاء الإمامُ الألباني كما نال كثيرًا من أئمَّة الإسلام قبله، ولقد كان ابتلاء الإمام الألباني متنوِّعا؛ تارةً بالسَّجن، وتارةً بإخراجه من البلاد، وتارةً بالتهديد، وتارةً بتشويه السُّمعة، وتارةً بالكذب عليه... إلى غير ذلك.

ومن عجيب توفيق الله تعالى له أنّ ذلك البلاءَ المتنوِّع زادهُ ثباتًا ولمَعَانًا وقوَّةً في الحقِّ مشافهةً ومكاتبةً.. وهذا ـ كما سلف ـ من توفيق الله تعالى أوَّلًا ثم لصدق الشيخ رحمه الله تعالى، أحسبه كذلك والله حسيبُه ولا أزكِّي على الله أحدًا.

ومن المعلوم أنّ ثبات العبد على الصدق في مواطن البلاء من أعظم نِعَم الله تعالى. قال أبو زرعة: قلتُ لأحمد بن حنبل: كيف تخلّصتَ من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ فقال: لو وُضِع الصدقُ على جُرح لبرأ[(١)].

وعودًا على بدء أقول: ما أجمل وأدقّ جواب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عندما سُئل: أيهما أفضل للرجل أن يُمكّن أو يُبتلى؟ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: لا يُمكّن حتى يُبتلى.

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص٣٥٠).

ولعل للإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ نصيبًا من مقولة الإمام الشافعي : ؛ فقد ابتُلي رحمه الله تعالى كثيرًا، ولست بصدد تتبُّع مسيرة حياته رحمه الله تعالى واستقراءِ مواطن البلاء التي حلّت بساحته، وإنما أكتفي بذِكر ما قاله رحمه الله تعالى بنفسه فيما حكاه ونقله عنه الأستاذ محمد المجذوب رحمه الله تعالى، بالإضافة إلى بعض ما جاء في كتاب «حياة العلّامة الألباني بقلمه»، فإنّ جامعه عصام موسى هادي قد أجاد في التقاط كلام الشيخ عن حياته من مؤلفاته.

وقبل ذلك أذكُر كلامًا للإمام الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ له علاقةٌ وثيقة بهذا المبحث، فقد قال الشوكاني في أثناء دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وهذه قاعدة مطّردة في كلِّ عالم متبحِّر في المعارف العلمية، ويفوق أهلَ عصره ويَدِين بالكتاب والسُّنّة؛ فإنه لا بُدّ أن يستنكره المقصِّرون ويقع لهم معه محنة بعد محنة، ثمَّ يكون أمرُه الأعلى وقوله الأولى، ويكون له بتلك الزلازل لسانُ صدق في الآخِرين ويكون لعلمه حظّ لا يكون لغيره»(١).

وأحسب أنّ الإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ ممَّن لهم لسان صدق في الآخِرين، وممّا لاشكّ فيه ولا ريب أنّ لكتبُه حظًّا كبيرًا يفوق كُتب غيره لا مرَّة بل مرَّات، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، ولعل ذلك بعد توفيق الله من أسباب تلك الفتن والبلاء الذي تعرَّض له، وإليك صورًا من ابتلائه رحمه الله تعالى:

- يقول الشيخ ما نصه(٢): «كانت أولى هذه المشاكسات أنّ جماعةً من المشايخ ـ وبينهم مَن كان يتوقع منهم نُصرةَ السَّلَفية ـ قد نظموا عريضةً يَزعُمون فيها أنِّي أقوم بدعوة وهَّابية تُشَوِّش على المسلمين، وجعلوا يجمعون لها توقيعات

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ٦٥).

(٢) وسيرى القارئ الكريم في أثناء الكلام كلامًا للشيخ المجذوب لربط وتناسق الكلام، والكلام المذكور منقول من كلام الشيخ محمد المجذوب رحمه الله تعالى فيما نقله عن الإمام الألباني، وللشيخ كلام في ثنايا ذلك يلحظه القارئ من أول وهلة.

الناس، ثمَّ رفعوها إلى مُفتِي الشام، فأحالها بِدَوره إلى مدير الشرطة الذي استدعاني وناقشني في الأمر، ثمَّ انتهى الموضوع إلى غير شيء. وذات يوم سألني صديق من زُمَلاء الدِّراسة عن حديث يتعلّق بثواب الصيام فأوضحت له ضَعْفَه، وكان هذا قد سَمِعَهُ من خطيب الجمعة يَسْتَشْهِد به على المنبر، فلم يتمالك أن عاد إلى هذا الشيخ الخطيب ليذكُر له ما عَرَفه من ضعف الحديث والمرجع المثبِت لذلك، فما كان من هذا إلّا أن وَقَف خُطبته التالية على الهجوم على طريقة السلف! وراح يتّهم أصحابها بالوهَّابية ويصفها بالضلال، ومضى يُحذِّر الناسَ من مُقَاربتهم! ويدعوهم للحفاظ على أبنائهم من دُعَاتها...

ولم يكن مجموعُ المستمعين إلى تلك الخطبة على سواءٍ في قَبولها أو ردِّها، فحدَثَ بعضُ الهرج والمرج... والشيخ ناصر بينهم يَسْمَع ويرى، ولا يجد مجالًا للكلام، وهكذا واصل الشيخ الخطيب هُجُومَه على الدعوة وأهلها في خُطَب متتالية، حتى خِيفَت الفتنة، وتدخَّل رجال الخفية في الأمر، وأقبل أحدُهم على الشيخ ناصر يحاول مَنعَه من الصلاة في ذلك المسجد بأسلوب ظاهرُه النصيحة وباطنه الوَعيد والتهديد، وكان محالًا أن يقف الخلاف عند هذا الحدّ بعد بُرُوزِه في العرائض وعلى المنابر، إذ راح الخصوم يمارسون كلّ الذرائع التي يُخَيَّل إليهم أنها مُوهِنَةٌ من عزم الشيخ، وأقلّ ذلك دعوة طلبة العلم إلى مقاطعته والحذر من مجالسته».

ويُعَقِّب الشيخ على هذه الأحداث بقوله: «لقد كان لهذا كلّه آثارٌ عكسية لما أرادوه، إذ ضاعفتُ من تصميمي على العمل في خدمة الدعوة حتى يقضي الله بأمره».

- **في سبيل الدعوة:** ومن هذا المنطلق تبدأ مرحلة النشاط الدؤوب في عمل الشيخ، وها أنذا ألخِّص ما أمليته عن ذلك فيما يلي:

يقول الشيخ: «لقد بدأت الاتِّصال بالمعارف والأصدقاء وأصدقائهم،

وجعلتُ من الحانوت ندوةً نجتمع بها، ثمَّ رأينا الانتقال إلى دار أحَد الأنصار، ثمَّ إلى واحدة أخرى أكبر، ومن ثَمَّ استأجرنا إحدى الدُّور لهذه الغاية، وجعل الحضور يتكاثرون، حتّى ليضيق المكان بهم، وبلغ النشاط مستوى عالٍ في قراءة الحديث وشروحه وأسانيده، واستمرَّ هذا دأبنا حتّى أثمرت مساعي المعارضين لهذا الاتجاه فضُيّق علينا، ثمَّ أُلغيت الاجتماعات، وانفضّ السامر، وها نحن أُولَاءِ حتى لم نخلص من هذه المضايقات، نجتمع حين يكون ذلك ممكنًا، وإذا حِيلَ بيننا انقطعنا إلى التأليف والتحقيق اللَّذَين لا نستطيع الانقطاع عنهما».

- ويحدِّثنا الشيخ عن أهمِّ ما واجهه من هذه المضايقات فيقول: «كان من آثار هذا الإقبال الطيِّب الذي لَقِيَتْهُ الدعوة أن رتّبنا برنامجنا لزيارة بعض مناطق البلاد ما بين حَلَب واللّاذقية إلى دمشق. وعلى قِصَر الأوقات التي خصّصت لكلّ من المدن فقد صادفت هذه الرِّحلات نجاحًا ملموسًا، إذ جَمَعَت العديد من الرَّاغبين في علوم الحديث على ندوات شبه دورية، يقرأ فيها من كُتب السنّة، وتتوارد الأسئلة، ويثور النقاش المفيد، إلّا أنّ هذا التجوال قد ضاعف من نقمة الآخَرين، فضاعفوا من سعاياهم لدى المسؤولين، فإذا نحن تلقاء مشكلات يتّصل بعضها برقاب بعض».
- ويذكر فضيلته بعض الأمثلة من هذه المشكلات، فمرَّةً يدعوه وكيل وزارة الداخلية لشؤون الأمن ليبلغه طلب مُفتي إِدْلِب منع الشيخ من دخول ذلك البلد، وإبعاده إلى منطقة الحسكة، ومرَّة أخرى يتلقى دعوة من الشرطة بوجوب مواجهة سماحة مفتي دمشق، فلم يَسَعْهُ سِوَى التوجُّه إليه، وإذا مكتب سماحته حافلٌ بالمشايخ الذين حُشِدوا لهذه الغاية، وأثير بعض النقاش، إلّا أنه لم يستمر طويلًا إذ لم يكن من خطّة القوم استمراره، واكتفى سماحته بأن وجّه للشيخ تهمة إثارة الفتنة، مُستدلًّا على ذلك بحادثة قريبة، خلاصتها أنّ فتًى قد دخل أحَد المساجد للصلاة فلاحظ أنّ عددًا من روَّاد المسجد

لم يلتحقوا بالجماعة بل ظلوا مُنتَظِرين حتّى جاءهم إمامٌ من مذهبهم فانتظموا خلفه في جماعة ثانية، فلم يتمالك الفتى أن أعرب عن استغرابه لهذه الظاهرة، وذكّر أهلَها مخالفتهم للهدي النبويّ في هذه التفرقة، فما كان منهم إلّا أن أهوَوا عليه بالضرب والرَّكل داخل المسجد! ومع أنّ الشيخ لم يكن قد سبق له معرفة بذلك الفتى فقد أبى المشايخ إلّا أن يُحَمِّلوه تبعة عمله؛ لأنه بنظرهم هو المسبِّب لكل نشاط فقهي جديد في هذا البلد! ولا بُدّ أنهم يعلمون أنه لا يُقِرّ تعدّد الجماعات بسبب منافاة هذا التعدّد لصريح السنّة وتطبيقات السَّلف. وتحت التهديد اضطُرّ الشيخ إلى توقيع تعهُّد بألّا يَقْدَم على الخطابة في الناس... وكان ذلك تعهّدًا غيرَ ذي موضوع بالنسبة إلى الشيخ؛ لأنه غير ذي صلة بالخطابة أصلًا.

ويختم المترجِم عرضه بهذا الخبر الغريب، وهو: أنّ نقمة الخصوم قد تجاوزت حدود المضايقات إلى إباحة الدم، وذلك بما أذيع عن فضيلة رئيس رابطة العلماء من أنه أفتى بقتله! وما أدري لماذا أغفل الشيخ خبرَ اعتقاله في القلعة التي سبقه إليها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية وتلميذُه ابنُ القيِّم... فلعله نسيه أو ضيَّع ذكراه خلال الأحداث الكثيرة التي لا يزال يواجهها في سبيل الدعوة، أو لعله أغضى عن ذِكرها؛ لأنه يَعُدّها من التوفيقات الرَّبانية، إذ أتاحت له الاتِّصال بمن لولا ضرورات السِّجن لما فكروا يومًا بلقائه فضلًا عن الدخول معهم في حوار عدَّل الكثير من أفكارهم عن الشيخ وعن السَّلَفية.

- وقال أيضًا: «كما يسَّر الله تعالى لي التفرُّغ لعدد كبير من الأعمال العلمية ما كان يُتَاح لي أن أعطيها الوقت اللّازم لو بَقيت حياتي تسير على النهج المعتاد، فقد قامت بعض الحكومات المتعاقبة بمنعي من الخروج إلى المدن السُّورية في الزِّيارات الشهرية التي كنتُ أقوم بها في الدعوة إلى الكتاب والسُّنّة، وهو نوعٌ ممّا يُسَمَّى في العُرف الشائع بـ«الإقامة الجبرية»، كما أنني قد مُنِعت خلال فترات متلاحقة من إلقاء دروسي العلمية الكثيرة التي كان التحضير لها يأخُذ جزءًا كبيرًا

من وقتي، وهذا كلّه قد صَرَف عنِّي الكثير من الأعمال وحال بيني وبين لقاء عددٍ كبير من الناس الذين كانوا يأخذون من وقتي الشيءَ الكثير»[١].

- وقال أيضًا: «وبينما أنا أستعدّ لإلقاء الدرس الثالث، إذ بي أفاجأ بما يضطرّني اضطرارًا لا خيارَ لي فيه مطلقًا إلى تركها ومَن فيها من العيال، حيث لم يبق لي فيها سكن، مسافرًا إلى مهجري الأوَّل دمشق، وذلك أصيل نهار الأربعاء في ١٩ شوال سنة ١٤٠١هـ، فوصلتُها ليلًا، وفي حالة كئيبةٍ جدًّا، وأنا أضرع إلى الله تعالى في أن يصرف عنِّي شرَّ القضاء وكيد الأعداء، فلبثتُ فيها ليلتين، وفي الثالثة سافرتُ ـ بعد الاستشارة والاستخارة ـ إلى بيروت مع كثيرٍ من الحذر والخوف؛ لما هو معروف من كثرة الفتن والهرج والمرج القائم فيها، والوصول إلى بيروت محفوفٌ بالخطر، ولكن الله تبارك وتعالى سلّم ويسَّر، فوصلتُ بيروت في الثلث الأول من الليل، قاصدًا دار أخ[٢] لي قديم وصديق وفيٍّ حميم، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف، وأنزلني عنده ضيفًا معزَّزًا مكرَّمًا جزاه الله خيرا».

- وقال أيضًا: «فلمَّا استقرَّ في منزله قراري، وارتاح من وعثاء السَّفر بالي، كان من الطبيعي جدًّا أن أهتبل فرصةَ هذه الغربة الطارئة فأتوجَّه بكليتي إلى الدِّراسة والمطالعة في مكتبته العامرة الزاخرة بالكتب المطبوعة منها والمخطوطة النادرة، وفيها أكثر المصادر التي تلزمني، وكثيرًا ممَّا ليس في مكتبتي في دمشق، فرغبتُ منه أن يُطلِعَني على فهرست المخطوطات والمصوَّرات التي في حوزته مسجَّلة على البطاقات، فاستجاب لذلك بكلِّ نفس طيِّبة، وأريحة إسلامية منه معروفة، أحسن الله إليه وجزاه خيرًا»[٣].

---

(١) «مختصر صحيح البخاري» (١/د).

(٢) هو زهير الشاويش كما بيَّنه الشيخ في «بداية السُّول».

(٣) «رفع الأستار» (ص٦).

- وقال أيضًا: «على الرّغم من أنني فوجئت في أثناء ذلك بخبر أزعجني جدًّا، وهو وفاة أخي الكبير محمَّد ناجي أبو أحمد وهو في موسم الحجّ، فقد مضيتُ في إتمامها ـ أي رسالة «بداية السول» ـ مترحِّمًا عليه صابرًا على مُصِيبتي به، فقد ماتَ وهو خيرُ إخوتي وأخلصهم لي، وأشدّهم استجابةً لدعوتي وغيرةً عليها، وحماسًا في الدعوة إليها، فرحمه الله رحمةً واسعةً وصبَّرنا وسائر إخوتي وأولادَه وأحفادَه وأصهرته على مصابهم به، وجعلهم خيرَ خلف لخير سلف، وحشرنا جميعًا معه تحت لواء سيِّد وَلَد آدم محمَّد ﷺ، ﴿ : ; < = > ? @ A B C D E F ﴾، إنّا لله وإنا إليه راجعون، اللهمَّ أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، اللهمَّ اغفر لأبي محمَّد، وارفع درجته في المهديِّين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالَمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه»(١).
- وقال أيضًا: «الفتنة والقتل بدون أيِّ سبب لا يزال مستمرًّا ـ يعني في لبنان ـ حتى لقد كدتُ أن أكون أنا وبعض أهلي من ضحاياها برصاصات غادرة أطلقها علينا بعض القنّاصة من بعض البنايات المتهدِّمة في بيروت بتاريخ ٢ صفر الخير ١٣٩٩هـ أصابت سيَّارتي في ثلاثة مواضع منها، كادت أن تكون قاتلةً، ولكن الله سلّم فلم نُصَب بأذى في أبداننا مطلقًا، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات».
- وقال أيضًا في تعرُّضه للأذى في عَمَّان: «كبست داري من المخابرات وفتّشت تفتيشًا دقيقًا في سبع ساعات وأكثر، وصادروا نحو ستِّين خطابا من مختلف البلاد الإسلامية وغيرها، وكذلك صادروا عديدًا من الأشرطة لي ولغيري من طلّاب العلم بدعوى البحث عن أسلحة ومفرقعات!! والله المستعان»(٢).

---

(١) «بداية السول» (ص٨).

(٢) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث ٣٢١٤.

- وقال أيضًا في حديثه عن الحاسدين: «فليس لي إلّا أن أستعيذَ من شرِّهم بما أمرنا ربُّنا في كتابه: ﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N ﴾، وعند الله أحتسب مصيبتي في هؤلاء الظلَمة البُغاة، والله المستعان ولا حول ولا قوَّة إلّا بالله، وهو حسبي ونعم الوكيل»[١].
- وكتب إليَّ الشيخ محمد زياد التكلة ـ أثابه الله تعالى ـ عن الشيخ عبدالله علوش قال:

«مرّةً جاء الشيخ ناصر ونحن معه ليُصلِّي في أحد جوامع حيّ الميدات، وكان الإمام (فلان) ـ أحد المتعصِّبة وسمّاه لنا ـ فلمّا التفت الإمام ليُكبِّر رأى الشيخ فقال له بصوتٍ عالٍ أمام الناس: يالّا! برَّا!! برّاَا!! برّاَا!!».
- وكتب إليَّ أيضًا: عن بعض تلاميذ الشيخ الألباني أنه ذَكَر له أنّ الشيخ ناصرًا اعتُدي عليه في دمشق بالضرب في الشارع مرَّةً من قبل أحد السُّفهاء المدفوعين.
- ومن الابتلاء الذي أصاب الشيخ الألباني ما يتعلق بالسجن، فإليك الخبر مسبوقًا بمقدّمة:

---

(١) «آداب الزفاف في السنّة المطهَّرة» (ص٥٢).

الألباني في السجن

﴿ b c d e f ﴾[1]...

ذَكَر الله تعالى ذلك عن عيسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام يتحدّث بذلك عن نعمة الله تعالى عليه.

وممّا لا شكّ فيه ولا ريب أنّ من أعظم نِعَم الله تعالى على العبد أن يجعله مبارَكًا أينما كان؛ في كلّ مكان، وفي كلّ زمان، ومع أيِّ إنسان، على أيِّ شأن... ينفع من يُجالسه، ومن يماشيه، ومن يجاوره.. بنصيحة أو ردّ مظلمة، أو دفع مفسدة، أو جلب مصلحة.

وهكذا كان أنبياء الله تعالى عليهم السلام في جميع أحوالهم، ومن ذلك من سُجن منهم ـ كيوسف عليه السلام ـ فقد ذكر الله خبرَهُ في القرآن وكيف أنه كان مبارَكًا على أهل السجن بدعوته، فقال: ﴿ > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V X Y Z [ ] ^ _ ` a c d e f g h i j ﴾[2].

وأولى الناس بنفع الناس ـ بعد الأنبياء عليهم السلام ـ هم العلماء، ومن نظر في دواوين السِّيَر والتواريخ رأى مصداق ذلك.

---

(١) مريم: ٣١.

(٢) يوسف: ٣٩-٤٠.

فقد كان أهل العلم يقدّمون النفع للناس في كلّ مكان، ومن ذلك في السجن على من قدّره الله تعالى عليه.

فالناظر في سيرة الإمام أحمد وابن تيمية ـ مثلًا ـ في حال سجنهما يرى أنّ عطاءهما ونفعهما لم ينقطع، بل كان مستمرًّا.

ومن العلماء الذين تعرَّضوا للسجن الإمام الألباني، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ على مسلك مَن قبله من العلماء في استمرار العطاء والنفع لنفسه ولمن معه.

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسامُ

ولقد سُجن الشيخ مرَّتين، وإليك شيئًا من حال الشيخ الألباني فيما يتعلق بسجنه ممّا حكاه بنفسه:

قال : : «... أخذوني في سيَّارة ونقلوني من مكان إلى مكان، ووضعوني في مركز شرطة على أساس ينقلوني، وما أدري إلى أين؟ مرَّ بي أحَد بني قومي الذين يُسمَّون بـ«الأرناؤوط» فسألني عن سبب وجودي في هذا المكان، فأخبرته بالأمر، ثم ذهب الرجُل وسأل عن المكان الذي سينقلوني إليه، ثم جاء وقال لي: إنهم قرَّروا نفيك إلى الحسكة، يعني شمال شرق سوريا.

فطلبتُ منه أن يذهب إلى ابني في الدكّان ويخبره أن يأتي لي بالشنطة ويضع فيها نسخة «صحيح مسلم» وبرَّاية وقلم رصاص ومحَّاية... إلخ، ويُدركني هنا، وإلّا فليلحقني إلى منطلق السيارات إلى حلب.

وذهب الرجُل إلى ابني، وسارع ابني وأتى لي بكل شيء طلبتُه، وأدركني في منطلق السيَّارات والسيَّارة ترجع القهقرى لتنطلق، فصعد إليَّ وسلّم عليَّ وعانقني وودّعني، وانطلقت السيارة بنا إلى حلب، ومن حلب إلى الحسكة.

الحسكة فيها سجنٌ جديد واسعٌ جدًّا ومرتفع، فأدخلوني إلى عروش طويل جدًّا، وإذا فيه شباب من المسلمين من «حزب التحرير»، ورئيسُهم كان يحضُر دروسي في حلب، سلفي يعني، ثمَّ انحرف مع «حزب التحرير». قلنا: رُبَّ ضارَّة

نافعة، وكنتُ ليلًا ونهارًا في نقاش مع الجماعة، ولكن أنا «جايب» زادي أريد أن أشتغل، وكانت «اللمبة» ملتصقة بالسقف، والسقف عالٍ جدًّا ما أستفيد شيئًا، حكيت مع صاحبنا هذا الذي كان سلفيًّا، اسمه الشيخ مصطفى، وقد مضى عليه في السجن مع الأسف نحو سنتين، وبسبب طول المكث هناك صار بينهم وبين مدير السجن صحبة، ومدير السجن الظاهر كان عنده شيءٌ من الفطرة ولو أنه بعثي، فكان يتجاوب فعلًا مع الشيخ مصطفى ومع المسلمين أولئك ويُساعدُهم بقدر الإمكان، وكانوا مشتركين على الطعام... فاشتركتُ أنا معهم...

المهمّ أنا أريد كهرباء... فتحدّث الشيخ مصطفى مع مدير السجن وقال له: الشيخ الألباني طالب علم ويُريد أن يشتغل؛ لأنه أتى معه بالكتُب.

فقال له مدير السجن: نأتي له بما يريد ولكن على حسابه! فقلت: هذا سهل، يأتي هو بالأغراض ونحن ندفع...

فنزّلت «اللمبة» من فوق إلى فوق رأسي تمامًا، فما أحسستُ الغربة بالسجن إطلاقًا، كما قال ابن تيمية : : سجني خلوة»[1].

وحكى الشيخ : قصّة سجنه هذه في موضع آخَر، فقال:

«قُدِّر عليَّ أن أُسجَن في عام ١٣٨٩هـ الموافق لسنة ١٩٦٩م مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس، فأساق إلى سجن القلعة وغيره من دمشق، ثمَّ أفرج عنِّي بعد مدّة لأساق مرَّة ثانية وأنفى إلى الجزيرة لأقضي في سجنها بضعة أشهر، أحتسبها في سبيل الله ﷻ.

وقد قدَّر الله أن لا يكون معي فيه إلّا كتابي المحبَّب «صحيح مسلم» وقلمُ رصاص وممحاة، وهناك عكفت على تحقيق أمنيتي في اختصاره وتهذيبه، وفرغتُ من ذلك في نحو ثلاثة شهور، كنتُ أعمل فيه ليل نهار، ودون كلل ولا ملل،

(١) من شريط ترجمة الألباني للحويني. انظر: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٣٨-٣٩).

وبذلك انقلب ما أراده أعداءُ الأمَّة انتقامًا منّا إلى نعمة لنا، يتفيأ ظلالَها طلّاب العلم من المسلمين في كلّ مكان، فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات»[١].

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ دائمًا يُردِّد مقولة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتاب الله: ﴿ Z [\ ] ^ _ ` a ﴾[٢].

ومما يحسن ذِكرُه في هذا المقام ـ لمناسبته هذا المبحث ـ ما قاله شيخ الإسلام في رسالة كتبها إلى أصحابه لمّا كان في سجن الإسكندرية، قال : :

«﴿ p q r s ﴾، والذي أُعرِّف به الجماعة ـ أحسن الله إليهم في الدنيا والآخرة، وأتمَّ عليهم نعمته الظاهرة والباطنة ـ فإنِّي والله العظيم الذي لا إله إلّا هو في نِعَمٍ من الله ما رأيتُ مثلَها في عُمري كلّه، وقد فتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جُوده ورحمته ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال، ما يصل الطرفُ إليها، يسَّرها الله تعالى حتَّى صارت مقاعد، وهذا يعرِف بعضَها بالذوق من له نصيبٌ من معرفة الله وتوحيده وحقائق الإيمان، وما هو مطلوب الأوَّلين والآخِرين من العلم والإيمان.

فإنّ اللذّة والفرحة والسُّرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والإيمان به، وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية، كما قال بعض الشيوخ: لقد كنتُ في حال أقول فيها: إنْ كان أهل الجنّة في هذه الحال إنهم لفي عيشٍ طيِّب.

وقال آخَر: لتمُرُّ على القلب أوقاتٌ يرقُص فيها طربًا، وليس في الدنيا نعيمٌ يُشبه نعيم الآخرة إلّا نعيم الإيمان والمعرفة.

ولهذا كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أرِحنا بالصلاة يا بلال**»، ولا يقول: أرحنا منها!

---

(١) «مختصر صحيح البخاري» (١/د).

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٢٨).

كما يقوله من تثقُل عليه الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى © ﴾[(١)]، والخشوع والخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح.

وكان النبيُّ ﷺ يقول: «**حُبِّب إليَّ من دُنياكم النساء والطِّيب**»، ثم يقول: «**وجُعلت قُرَّة عيني في الصلاة**»»[(٢)].

وبمناسبة سجن الشيخ الألباني فهناك وصفٌ جميلٌ ذكره محمد بن إبراهيم الشيباني، فقد قال ما نصُّه:

«وقد كان من نعم الله على الشيخ ناصر أثناء سجنه أن دعا المسجونين إلى ما كان يدعو إليه خارج السجن، وهو الكتاب والسنّة ونبذ الابتداع في الدِّين، والانقياد لقول الله ﷻ وقول رسوله ﷺ، وترك التقليد... فاستجاب لدعوته خلقٌ كثير منهم، فاستفاد من سجنه أنه ألّف فيه «مختصره» على صحيح مسلم بن الحجَّاج رحمه الله تعالى، وهو غير «اختصار مسلم» للمنذِري الذي حقّق أحاديثه الشيخ.

وحثّ الناس في السجن على صلاة الجماعة والجُمعة، وهو أوَّل مرَّة تُقام صلاة الجمعة في القلعة من بعد سجن ابن تيمية : .

فكانت همَّتُه العالية وشغفه بالعلم لا تعرفان الحدود والقيود...»[(٣)].

ومن باب التأكيد على ما سبق تقريرُه في أوَّل هذا المبحث من نفع العلماء حتى ولو كان في السجن، إليك بعض آثار شيخ الإسلام ابن تيمية على الناس الذي سُجن معهم، وتأمَّل كيف كان حالُهم قبل أن يُسجَن وحالهم بعدما سُجن معهم:

«لما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب يلتهون بها عمَّا هم فيه، كالشطرنج، والنرد، ونحو ذلك من تضييع الصلوات.. فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشدَّ الإنكار، وأمرهُم بملازمة الصلاة والتوجُّه إلى الله بالأعمال

---

(١) البقرة: ٤٥.

(٢) «رسالة من سجن الإسكندرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٩-١١).

(٣) «حياة الألباني» (١/ ٢٨-٢٩).

الصالحة، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وعلّمهم من السنّة ما يحتاجون إليه، ورغّبهم في أعمال الخير، وحضّهم على ذلك؛ حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدِّين خيرًا من الزّوايا والرُّبُط والخوانق والمدارس، وصار خلقٌ من المحابيس إذا أُطلِقوا يختارون الإقامةَ عنده، وكثُر المتردِّدون إليه، حتى كان السجن يمتلئ بهم»[(١)].

ومن لطيف ما قرأتُ في هذا الباب: ما جاء في ترجمة عِراك بن مالك، قال عنه العجلي: شامي تابعي ثقة من خيار التابعين، وكان عُمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى لا يعدل بعِراك أحدًا، ولمّا تولى يزيد بن عبدالملك أمرَ بأن يُذهب به إلى دهلك[(٢)]، فجاء بعد صلاة العصر رجُلٌ تخطّى الناس حتى دنا من عِراك بن مالك فلطمه حتى وقع، وكان شيخًا كبيرًا، ثمَّ جرَّ برجله ثمَّ انطلق به حتى حصل في مركب في البحر إلى دهلك، فكان أهلُ دهلك يقولون: جزى اللهُ عنّا يزيد خيرًا؛ أخرج إلينا رجُلًا علّمنا اللهُ الخيرَ على يديه![(٣)].

أرأيت ـ أيها القارئ الكريم ـ كيف أنّ أهل العلم مبارَكين أينما كانوا؟ جعلنا اللهُ جميعًا من المبارَكين أينما كانوا.

---

(١) «العقود الدرِّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» لابن عبدالهادي (ص٢٦٩).

(٢) جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة: بلدة ضيِّقة حرجة حارَّة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحَد نفوه إليها. «معجم البلدان» (٢/ ٤٩٢).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٧٢-١٧٣) بتصرُّف واختصار.

همة عالية وعزيمة صادقة
ونية نحسبها إن شاء الله تعالى خالصة

من عجيب علوّ همّته وصادق عزيمته رحمه الله تعالى أنّ أوَّل عمل قام به في مباحث العلم قد يعجز عنه بعض كبار طلبة العلم، نظرًا لما يحتاجه من جهد بدني ووقتي.

انظر الخبر في مبحث: «الحادثة التي غيَّرت مجرى تاريخ حياة الألباني».

ومن عجيب الأخبار الدالّة أيضًا على همَّته وعزيمته: قصّة الورقة الضائعة التي حكاها بنفسه، قال رحمه الله تعالى:

«.. فقد ابتليتُ بمرض خفيف أصاب بصري منذ أكثر من اثني عشر عامًا، فنصحني الطبيب المختصّ بالرَّاحة وترك القراءة والكتابة والعمل في مهنة تصليح الساعات مقدار ستّة أشهر، فعملت بنصيحته أوَّلَ الأمر، فتركتُ ذلك كلّه نحو أسبوعين، ثمَّ أخذَتْ نفسي تُرَاوِدُني وتُزَيِّن لي أن أعمل شيئًا في هذه العطلة المملّة، عملًا لا يُنَافِي ـ بزعمي ـ نَصِيحَتَه، فتذكّرتُ رسالةً مخطوطةً في المكتبة اسمها «ذمّ الملاهي» للحافظ ابن أبي الدنيا لم تُطبَع فيها أعلم يومئذ، فقلتُ: ما المانع من أن أكلِّف مَن يَنسَخُها لي؟ وحتّى يتمّ نسخها ويأتي وقت مقابلتها بالأصل يكون قد مَضَى زمنٌ لا بأسَ به مِنَ الرَّاحة فبإمكاني يومئذ مقابلتُها، وهي لا تستدعي جهدًا ينافي الوَضع الصِّحِّي الذي أنا فيه، ثمَّ أُحقِّقها بعد ذلك على مَهل وأخرِّج أحاديثها، ثمَّ نطبعها، وكلّ ذلك على فترات لكي لا أشقّ على نفسي! فلمَّا وصل الناسِخ إلى منتصف الرِّسالة أبلغني أنّ فيها نَقْصًا، فأمَرْتُه بأن يُتَابع نَسْخَها حتّى ينتهي منها، ثمَّ مقابلتها معه على الأصل، فتأكّدتُ مِنَ النَّصِّ الذي أشار إليه، وأقدِّره بأربع صفحات في ورقة واحدة في منتصف الكرَّاس، فأخذتُ أفكِّر فيها وكيف يُمكِنُني العثورُ عليها؟ والرِّسالة محفوظة في مجلّد من المجلدات الموضوعة

في المكتبة تحت عنوان «مجاميع»، وفي كلّ مجلد منها على الغالب عديدٌ من الرَّسائل والكتُب مختلفة الخطوط والمواضيع والورَق لونًا وقياسًا، فقلتُ في نفسي: لعل الورقة الضائعة قد خَاطَهَا المجلِّد سَهوًا في مجلّد آخَر من هذه المجلّدات! فرأيتُني مندفعًا بكلِّ رَغبةٍ ونشاطٍ باحثًا عنها فيها على التسلسل، ونسيتُ أو تناسيت نفسي والوضع الصحِّي الذي أنا فيه! فإذا ما تذكّرتُه لم أعدم ما أتعلل به، مِن مثل القول بأنّ هذا البحث لا ينافيه لأنه لا يَصحبُه كتابةٌ ولا قراءة مُضنية!

وما كدتُ أتجاوز بعض المجلّدات حتى أَخَذَ يسترعي انتباهي عناوينُ بعض الرَّسائل والمؤلفات لُمحَدِّثين مشهورين وحُفّاظ معروفين، فأقف عندها باحثًا لها، دارسًا إيَّاها، فأتمنّى لو أنها تُنسَخ وتحقَّق ثمَّ تُطبَع، ولكنِّي كنتُ أجِدُها في غالب الأحيان ناقصةَ الأطراف والأجزاء، فأجدُ الثاني دون الأوَّل مثلًا، فلم أندفع لتسجيلها عندي، وتابعتُ البحث عن الورقة الضائعة، ولكن عبثًا، حتى انتهت مجلدات «مجاميع» البالغ عددُها (١٥٢) مجلدًا، بيدَ أنِّي وجدتُني في أثناء المتابعة أخذتُ أسجِّل في مسوَّدتي عناوينَ بعضِ الكُتب التي راقتني، وشجَّعني على ذلك أنّني عثرتُ في أثناء البحث فيها على بعض النواقص التي كانت قبلُ من الصوارف عن التسجيل، ولمّا لم أعثُر على الورقة في المجلدات المذكورة قلت في نفسي: لعلها خِيطَت خطأً في مجلّد من مجلّدات كُتب الحديث والمسجَّلة في المكتبة تحت عنوان «حديث»! فأخذتُ أُقَلِّبُها مجلدًا مجلدًا، حتى انتهيتُ منها دون أن أقف عليها! ولكنِّي سجَّلتُ أيضًا عندي ما شاء الله تعالى من المؤلفات والرَّسائل..

وهكذا لم أزل أعلِّل النفس وأمنِّيها بالحصول على الورقة، فأنتقل في البحث عنها بين مجلدات المكتبة ورسائلها من عِلم إلى آخَر؛ حتى أتيتُ على جميع المخطوطات المحفوظة في المكتبة، والبالغ عددُها نحو عشرة آلاف مخطوط، دون أن أحظى بها! ولكنِّي لم أيأس بعد، فهناك ما يعرف بـ«الدست» وهو عبارة عن مكدَّسات من الأوراق والكراريس المتنوِّعة التي لا يُعرَف أصلُها، فأخذتُ في البحث فيها بدقّة وعناية، ولكن دون جدوى.

وحينئذ يئستُ من الورقة، ولكني نظرتُ فوجدتُ أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ قد فتح لي من ورائها بابًا عظيمًا من العلم، طالما كنت غافلًا عنه كغيري، وهو أنّ في المكتبة الظاهرية كنوزًا من الكُتب والرَّسائل في مختلف العلوم النافعة التي خلّفها لنا أجدادُنا رحمهم الله تعالى، وفيها من نوادر المخطوطات التي قد لا توجَد في غيرها من المكتبات العالمية، ممَّا لم يُطبَع بعدُ.

فلمَّا تبيَّن لي ذلك واستحكم في قلبي، استأنفتُ دراسةَ مخطوطات المكتبة كلِّها من أوَّلها إلى آخِرِها للمرَّة الثانية على ضوء تجربتي السَّابقة التي سجَّلتُ فيها ما انتقيتُ من الكُتب، فأخذت أسجِّل الآن كلّ ما يتعلق بعلم الحديث منها ما يُفيدُني في تخصُّصي، لا أترك شاردةً ولا واردةً إلّا سجلتها، حتى ولو كانت ورقةً واحدةً من كتاب أو جزءٍ مجهول الهويَّة! وكأنّ اللهَ تبارك وتعالى كان يَعِدُني بذلك كلّه للمرحلة الثالثة والأخيرة، وهي دراسة هذه الكُتب دراسةً دقيقةً، واستخراج ما فيها من الحديث النبويِّ مع أسانيده وطرُقه وغير ذلك من الفوائد.

هذا؛ وقد كان الفهرس نتيجةَ جهد فرديّ، واندفاع ذاتيّ من شخص غير موظّف في المكتبة، ولا مكلَّف منها، ولذلك لم يكن ليتيسَّر له ما يلزمه من التسهيلات لمراجعة المخطوطات ودراستها والبحث عن المجهولات من الأجزاء فيها مثلما تيسَّر عادةً لمن كان موظفًا في المكتبة أو مكلفًا من إدارتها، فكان من الطبيعي أن يَنَالَني بعضُ المشقة في سبيل هذه الدِّراسة، فقد أتى عليَّ من أيام كنتُ أُضْطَرُّ فيها إلى أن أَنْصِبَ السُّلَّمَ فأرقَى عليه ساعاتٍ في دراستها في موضعها دراسةً سريعةً، فإذا اخترتُ شيئًا منها لدراستها دراسةَ فحص وتدقيق طلبتُ مِنَ الموظف المختصّ أن يُنزِلها ويأتي بها إلى المنضدة، بعد تقديمي قائمةً بأسمائها وأرقامها وتوقيعها!»[1].

(١) «فهرس مخطوطات الظاهرية» (ص٤) طبعة دمشق ١٩٧٠م.

ومن صادق وقوة عزيمته أيضًا قوله رحمه الله تعالى متحدِّثًا بنعمة الله عليه:

«.. كنت جمعتُ منذ أكثر من عشر سنوات ألوف الأحاديث في أكثر من أربعين مجلدًا معزوَّةً إلى مصادرها الكثيرة، نقلتُها بخطِّي من مئات المخطوطات المحفوظة في عدّة مكتبات معروفة، مثل المكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب، والمكتبة المحمودية في المسجد النبوي، ومكتبة عارف حكمة في المدينة المنورة، وغيرها من المكتبات التي حوت من نفائس الكتب الحديثية، والفوائد والأجزاء والسيرة والتاريخ والتراجم، ممّا لم يُطبع شيء منها حتّى الآن ...»[(١)].

قلت: وممّا ينبغي أن يُستحضر هنا: أنّ الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كتب تلك الفهارس المتنوِّعة قبل انتشار أجهزة الكمبيوتر التي قرَّبت بعيدًا وجمعت متفرِّقًا بفضل الله تعالى.

- وقال : «أحيانًا يأخذ الحديث منِّي ساعات، وأحيانًا أيامًا، بل أحيانًا أمكث أسبوعًا في حديث واحد»[(٢)].
- وقال : «وأمَّا الحسن بن ثواب فقد أضناني في البحث عنه، حتى وجدتُه فسجدتُ لله شكرًا على توفيقه»[(٣)].
- وقال : «... وقد كنتُ تتبَّعتُ أحاديث حرف الألف من كتابه المذكور «الكنز»، فوجدتُ فيه نحو مائتي حديث ضعيف أو موضوع من أصل (١٤٠٢) حديثًا، ولو أنّ في الوقت متّسعًا لوضعتُ عليه كتابًا أبيِّن فيه تلك الأحاديث وغيرها مما وقع له من الضعاف في بقية أحرف الكتاب»[(٤)].

---

(١) «ضعيف الجامع الصغير» (١/ ٨).

(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٩٩).

(٣) «السلسلة الصحيحة» (٧/ ١٠٠٥-١٠٠٦).

(٤) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٢٣).

- وقال : : «... اشتكت عيني فطلب منِّي الطبيب أن أستريح وأن أتوقف عن الكتابة والقراءة لفترة من الوقت، فقلت: حتى لا يضيع الوقت أعطي بعض إخواننا مخطوطةً صغيرةً ينسخُها لي، فما أن ينتهي حتى أكون قد استرحت. وفعلًا قام الأخ بنسخها وكنتُ أطّلع على ما ينسخ مُعلِّلًا نفسي بأنّ هذه لا تؤثِّر وليست قراءةً تُتعب العين، فأتيتُ على كلمة ما فهمتُها ولم أستطع قراءتها، فرجعتُ إلى المخطوط وإذا بالأخ قد رسمها كما في المخطوط ـ وكان خطّاطًا ـ، فأخذتُ أقلِّب النظر فيها وأفكِّر لعلِّي أهتدي لقراءتها، فما اهتديتُ وشغلتُ فكري، فلمّا حلّ المساء ونمتُ استيقظتُ من المنام وأنا أقول: فردًا فردًا، فردًا فردًا، فما دريتُ هذا المنام أيش؟ فقلت: يا ناصر اكتُب ما حدث حتى لا أنسى المنام وفي الصباح أنظر فيه، وفعلًا في الصباح أخذتُ أفكِّر ثم قلت: لعل له علاقةً بالكلمة، فأحضرتُ المخطوطة وأخذتُ أنظر في الكلمة وأردِّد الكلمة التي قلت حتى اهتديتُ إلى حلِّ الإشكال، فكلمة المخطوطة عبارة عن كلمتين دمجها الناسخ ففصلتهما فقرأتُ الكلمة»[1].
- ومن شواهد علوّ همّته قوله: «... ذلك ما سيتبيَّن بعد فراغي من قراءة «مسند أبي يعلى» كلّه إن شاء الله تعالى. ثمَّ فرغتُ من قراءة «المسند» كلّه»[2].
- ومن شواهد علوّ همّة الشيخ : وعزيمته الصادقة أيضًا أنه في كتابه «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد» عند مبحث: هل لأبي بكر القَطيعي زيادات في «المسند» قام الشيخ بمجهود عظيم يدلّ على همّة عالية وعزيمة صادقة أحسبه كذلك والله حسيبه، وإليك خلاصة ما قام به:

١ - بدأ بكتاب «الفتح الربَّاني» للشيخ البنا ومرَّ على أحاديثه جزءًا جزءًا، وهو في أربعة وعشرين مجلدًا.

---

(١) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص١٢٧-١٢٨).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٥٤٠) نقلًا عن: «حياة العلّامة الألباني : بقلمه» لعصام هادي (ص٣٠).

٢- ثم قال بعد ذلك: «وفي سبيل التأكّد مما وصلتُ إليه بدراستي على الخُطة السابقة فقد رأيتُ أنه لا بُدّ من أن أُتبِعها بخطط أخرى، وهي الرجوع إلى دراسة كتب أخرى، ولو أنّ ذلك يُكلِّفني جهدًا بالغًا، ويأخذ منِّي وقتًا طويلًا، ولا بأس من ذلك ما دُمت أعتقد أنني أخدم سُنّة النبيِّ ﷺ في الردّ على من طعن في صحَّة «مسند الإمام أحمد» ـ رحمه الله تعالى ـ وفي بعض رواته.

فبدأتُ بدراسة «المسند» نفسه، وآثرتُ فيها الطبعة التي حقّقها الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى...»[١].

٣- ثم قال: «... أخذتُ في قراءة المجلد الأول من هذه الطبعة حتى أتيتُ على جميع مجلداتها، والبالغ عددُها خمسةَ عشرَ...»[٢].

٤- ثم قال بعد ذلك: «... فلمّا لم أجد شيئًا من زيادات القَطيعي في المجلدات السابقة الذِّكر ـ وذلك على وجه اليقين إن شاء الله تعالى ـ سِرْتُ في التحقيق على خُطّة ثالثة فتحَ لي طريقَها أنني كنتُ قرأتُ فيما قرأتُ لهذا البحث «المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد» للحافظ شمس الدِّين ابن الجزري، فرأيتُه يذكر فيه (ص٢٩) أنّ زيادات القطيعي في مسند الأنصار ـ يعني: من «مسند الإمام أحمد» ـ، ومسند الأنصار هذا يقع في المجلد الخامس من «المسند» الأمّ من الطبعة القديمة، من (ص١١٣) إلى (٤٥٦)، وهي آخر المجلد، فبدأتُ بقراءة هذه الصفحات كلها، ولكن دون جدوى»[٣].

٥- ثم قال بعد ذلك: «... أخذتُ خطّةً رابعة؛ وهي أنه لا بُدّ من دراسة أسانيد أحاديث بقية المجلدات الستّة من «المسند» لتمام التثبُّت والتحقّق، فبدأتُ

---

(١) «الذبّ الأحمد» (ص٥٨-٥٩).
(٢) (ص٥٩).
(٣) «الذبّ الأحمد» (ص٦٠-٦١).

بالمجلد الثالث (ص٢-٥٠٣)، وثُلُثه الأوَّل والثاني منه (ص٢-٤٠٠) مؤلّف من مسانيد ثلاثة من الصحابة الأنصار المشهورين: الأول: مسند أنس بن مالك، والثاني: مسند أبي سعيد الخدري، والثالث: مسند جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ ... فأتيتُ على هذه المسانيد الثلاثة، ولكن دون جدوى، ثم تابعتُ دراسة بقية المجلد الثالث ولكنِّي لم أجد شيئًا»[1].

٦- ثم قال بعد ذلك: «... فمررت بالمجلد الرابع كلّه (ص٢-٤٤٧)، ثمَّ بما كنت لم أدرسهُ من أول المجلد الخامس (ص٢-١١٣)، ثم أتبعتُه بدراسة المجلد السادس كلّه (٢-٤٦٨)، فلم أجد في كلِّ هذه المجلدات شيئًا من زيادات القطيعي إطلاقًا!»[2].

٧- ثم قال بعد ذلك: «... فما قنعتُ بكلّ ذلك من التحقيق، بل تابعتُ السيرَ على الطريق، فتمنّيتُ أنه لو كان عندي في المكتبة الظاهرية نسخةٌ مخطوطةٌ من كتاب «زوائد المسند» للحافظ نور الدِّين الهيثمي لأقوم بدراستها، زيادةً في التحقيق، ولمّا كنتُ على علم بعدم وجودها استعضتُ عنه بمراجعة كتابه الكبير «مجمع الزوائد» الذي جمع فيه زوائد عدّة كتب مسندة، منها «مسند أحمد»، فمررتُ على جميع مجلداته العشر، فلم أعثُر فيها على شيءٍ من زيادات القَطيعي، اللهمَّ إلّا حديثًا واحدًا أورده في باب التوقيت في المسح على الخفّين ...»[3].

٨- ثمَّ شرع ـ رحمه الله تعالى ـ في التأكّد من ثبوت هذه الزيادة بالرجوع إلى نسخة أخرى من كتاب «مجمع الزوائد» فقال: «... في ظاهرية دمشق نسختان

(١) (ص٦١).
(٢) (ص٦١).
(٣) «الذبّ الأحمد» (ص٦١-٦٢).

منه، ولكنهما مخرومتان، وقد رجعتُ إلى المجلد الأول من كلّ منهما برقم (٢٤٧-حديث) و(٢٥٢-حديث) فلم ترِدْ هذه الزيادة إلّا في الأولى منهما، لكنها لم تقع فيها في صُلب الحديث، وإنما استُدرِكت على الهامش بخطّ مُغايِر لخطّ النسخة، وبجانبها علامة التصحيح...»[1].

٩- ولم يكتفِ بهذا؛ بل أراد التأكّد من أصل حديث ابن عمر فقال: «... وإني لأقطع بوهم مَن ألحق هذه الزيادة بهذا الحديث؛ لمخالفتها للنسخ الأخرى من مخطوطات «مجمع الزوائد» ـ كما عرفت ـ، ولمنافاتها للاستقراء والتحقيق الذي سبق حول زيادات القَطيعي في «المسند»، بل وأُرَجِّح عدم وروده فيه مُطلقًا من رواية أحمد نفسه، أو ابنه عبدالله في «زوائده» عليه؛ للأسباب التالية:

الأول: أنني راجعتُ له مسند ابن عُمر في «المسند» طبعة أحمد شاكر فلم أجده.

الثاني: أنني استعنتُ على الكشف عنه فيه بالفهارس العلمية الموضوعة حديثًا لتيسير الوقوف على أيِّ حديث فيه، والكتب الستّة وغيرها، مثل «مفتاح كنوز السنّة»، و«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»، فراجعتُ في الأول منها مادة الوضوء ـ المسح على الخفين ـ، وفي الآخَر لفظة «يوم»، وراجعتُ كلّ الصفحات التي أشاروا إليها في كلّ المجلدات فلم أعثُر عليه، ثم راجعتُ فهارس الأجزاء المُلحَقة بطبعة أحمد شاكر : التي كان وضَعها في آخر كلّ جزء على الكتب والأبواب فلم أره أيضًا، فعلتُ ذلك احتياطًا لدفع احتمال كونه قد ذُكر في مسند آخَر من مسانيد الصحابة غير ابن عمر، كما يقع ذلك أحيانًا، يرِدُ فيه ـ أحيانًا ـ حديثُ صحابي في مسند صحابي آخَر سهوًا، أو لمناسبة أخرى كما هو معلومٌ عند الدارسين لهذا «المسند» العظيم.

(١) (ص٦٣).

الثالث: أنّي راجعتُ له أيضًا ـ وبصورة خاصّة ـ باب توقيت مدة المسح من «الفتح الرباني» فلم يورده من حديث ابن عمر أصلًا.

الرابع والأخير: أنّ الحديث أورده الحافظ الزيلعي في «نصب الراية» (١/ ١٧٣) من رواية الطبراني في «الأوسط» وحدَه عن ابن عُمر، وهو يَتبعُ في ذلك الشيخ ابن دقيق العيد في «الإمام»، ثمَّ تبعهما الحافظ ابن حجر في «الدراية» (ص٤٠)، والحافظ السيوطي في «الجامع الكبير» (٥/ ٩٦ كنز العمال)، وفي «الزيادة على الجامع الصغير» مخطوط (رقم ٥٠٦٥) من «صحيح الجامع الصغير وزيادته»»[١].

١٠- وبعد هذا قال ـ وحقّ له أن يقول ـ: «... وجملة القول في هذا الفصل الخامس والأخير: أنني لم أجد في «مسند الإمام أحمد» : ولا حديثًا واحدًا من زيادات القطيعي فيه، وذلك بعد البحث الطويل، والصبر المديد؛ فإن كان صوابًا ـ وذلك ما أرجو ـ فالفضل لله ﷻ، وإن كان غيرَ ذلك فهو ـ على كلّ حال ـ دليلٌ قاطعٌ على كذب من قال: إنّ القطيعي أدخل في «المسند» أحاديث موضوعة حتى صار ضِعْفَيه!»[٢].

- ومن شواهد همّة الشيخ : وقوّة عزيمته أيضًا ما حكاه الشيخ باسم فيصل الجوابرة حفظه الله تعالى قال: «وأذكر أنّ الشيخ جلس ليلةً ساهرًا حتى أذّن الفجر في المدينة، وهو في نقاش مع الشباب، وبعد أداء الصلاة في المسجد النبويِّ أراد الشيخ أن يُسَافر إلى مكّة لأداء العمرة، فقلنا له: أنتَ لم تنم. قال: أجدُ بي قوَّة ونشاطًا. فركب السيَّارة وسافرنا معه إلى مكة، وعند السَّاعة التاسعة صباحًا تقريبًا أوقف السيَّارة عند ظل شجرة وقال: سأنام رُبعَ ساعة فقط، فإن لم أستيقظ فأيقظوني. فضمرنا في أنفسنا أن لا نوقظ الشيخ حتى

---

(١) «الذبّ الأحمد» (ص٦٣-٦٤).

(٢) (ص٦٩).

يستريح، وبعد رُبع ساعة من الوقت استيقظ وحدَه فركب السيَّارة وتوجَّهنا إلى مكة فأدَّينا العمرة، ثمَّ ذهبنا إلى بيت صهره ـ الدكتور رضا نعسان ـ فإذا طلبة العلم ينتظرون الشيخ، فجلس معهم كما هي عادة الشيخ في نقاش ومناظرة إلى ساعة متأخِّرة من الليل دون تعب»(١).

- وقال الشيخ باسم أيضًا: «وممّا يدُلّ على صبره وجَلَده في طلب العلم: ما حدّثني به الدكتور محمود الميرة ـ حفظه الله ـ بأنّ الشيخ ناصرًا صعد على السلّم في المكتبة الظاهرية ليأخذ كتابًا ـ مخطوطًا ـ فتناول الكتاب وفتحه، فبقي واقفا على السلّم يقرأ في الكتاب لمدّة تزيد على الستّ ساعات»(٢).
- ومنها ما حكاه الشيخ عصام هادي قال: «كنتُ آتي الشيخ عقب صلاة الفجر بخمس أو عشر دقائق فأجد شيخَنا : مستمرًّا في الكتابة، فأجلس معه، ثمَّ في الساعة السابعة صباحًا يذهب إلى الرَّاحة لمدّة ساعتين، وأحيانًا يذهب الساعة الثامنة، وأحيانًا التاسعة، وأحيانًا يُصلِّي الفجر وينام حسب حاجته : ، المهمّ أنه كان فترةَ الصباح ينام ساعتين ثمَّ يستمرُّ في العمل دون كلل أو انقطاع إلّا لحاجة، وكنتُ أبقى أنا إلى صلاة الظهر، فسألتُ عن وقت الشيخ بعد فقيل لي بأنه يستمرّ في العمل وأحيانًا ينام بعد العصر ثمَّ يستمرّ في العلم إلى منتصف الليل»(٣).
- ومن ذلك ما حكاه الشيخ علي بن حسن قال: «... أثناء حرب الخليج قام بعض الخطباء في بلادنا بنقل حديث طويلٍ استخرجه من كتاب «كنز العُمَّال» فيه ذِكرُ بعض أخبارٍ وأنباءٍ نزَّلها ذاك الخطيب على واقع الحرب والفتنة ذاك الوقت، وشغل الناسَ بها...

---

(١) «مقالات الألباني» (ص ٢١٨).
(٢) «مقالات الألباني» (ص٢٢٠).
(٣) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٩٨).

فبدأتِ الأسئلة عن هذا الحديث تتواردُ على شيخنا من طلبة العلم يستفصلون عن هذا الحديث، ومصدره، ودرجته؟

فكان المصدرُ الذي عزا إليه مؤلِّف كتاب «كنز العُمَّال» هو «تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر : ، وكان أكثرُ الكتاب يومئذٍ مخطوطًا لم يُطبع منه إلّا قريب عُشره.

فبدأ شيخُنا : يقرأ النسخة المخطوطة من «تاريخ ابن عساكر» حرفيًّا، صفحةً صفحةً، وورقةً ورقةً... فأتّصل بالشيخ أسألُه وأستفصل منه فيقول: أبحثُ.. أبحثُ.

حتى دخلتُ عليه وبعد خمسة أيام بحث متتالية ـ والكتاب بين يديه ـ فسألته، فأجابني بنَبْرَةِ المنتصر: لا نامت أعيُن الجُهلاء! وجدتُه ـ بتوفيق الله وحمده ـ.

ثمَّ بيَّن : أنه موقوفٌ وليس مرفوعًا، وأنه لا يصحُّ، وأنه مُصحَّفٌ مُحرَّف!»[(١)].

• وممّا يدُلّ على عزيمة الشيخ رحمه الله تعالى: أنه في أوَّل أمره كان قليل ذات اليد، ومع ذلك ـ وغيره من المعوِّقات ـ لم تقف همّة الشيخ رحمه الله تعالى، بل استمرَّ في المضيّ في فعل ما يُعينه على طلب العلم وكتابته، وإليك هذا الخبر الذي ذكره الأستاذ محمد الشيباني، قال أثابه الله تعالى:

«ومن شدّة العنت والفقر الذي عاشه الشيخ أنه كان لا يملك قيمة شراء ورقة يشتريها ليُسوِّدها بما منّ الله تعالى عليه من علمٍ فيها، فكان يطوف في الشوارع والأزقّة يبحث عن الأوراق الساقطة فيها من هنا وهناك ليكتُب على ظهرها؛ وذلك لأنّ وجه الورقة يكون عادةً مكتوبًا فيه إمَّا دعوة لافتتاح معرَض، أو حفلة زواج، أو دِعاية لمصنوعة من المصنوعات، وقد أطلعني الشيخ على بعض الكتب المخطوطة التي كتبت بهذه الأوراق وأغلبها قد تقطّعت أطرافها

---

(١) من رسالة كتبها وأرسلها إليَّ الشيخ علي بن حسن بالفاكس.

وتساقطت. وقال لي مرَّةً: كنتُ أشتري الأوراق (سقط المتاع) بالوزن لرخصه»[١].

- قال تلميذه عصام هادي: «كان شيخنا حريصًا على اقتناء الجديد من الكتب ممّا يتعلق بالحديث وعلومه، وكان دائم السؤال لإخواننا من طلبة العلم عن جديد المطبوعات، وكان إذا راق له كتابٌ من الكتب طلب شراءه ويأبى إلّا أن يدفع ثمنه قلّ أو كثُر»[٢].
- كتب إليَّ تلميذه سامي خليفة أثابه الله تعالى بها نصُّه:

«كانت رحلات الشيخ كثيرًا إلى الغور «الأغوار» على حدود فلسطين، وهي مناطق ريفية مليئة بالمزارع، ومنذ خروجه من بعد الفجر إلى رجوعه وقت المغرب أو العشاء والشيخ يتكلم من بداية خروجه والإخوة يسألونه في السيارة مسافة ساعتين، ثم يعقد المجلس بالمزرعة وحتى أثناء الطعام ـ رغم أنّ بعض الإخوة من الشباب يستأذنون الشيخ بالمزرعة ليناموا قليلًا بالداخل ـ تبقى المسجِّلات «شغّالة» والشيخ يتكلم، ثم في العودة كذلك الإخوة مستمرُّون في الأسئلة، ثم يدخل الشيخ البيت ليجيب على أسئلة الهاتف من الساعة ٩ إلى الساعة ١١».

- ذكر ابنُه عبداللطيف أنّ والده ـ الشيخ الألباني ـ «كان في النوم يقول: هاتوا كتاب «العلل»... هاتوا كتاب كذا... هاتوا كتاب كذا.. هاتوا «الجرح والتعديل».. ومرَّةً قال أثناء النوم وهو يُحرِّك يدَه كهيئة الكاتب: هاتوا «سُنن أبي داود» تنحلّ المشكلة.

قال: وقال لي مرَّةً ـ أثناء النوم ـ: هات كتاب «الترغيب والترهيب» المجلد الأول، فأتيتُه، قال: افتح، فتحت. قال: عُدّ واحد اثنين ثلاثة أحاديث، هذه في

(١) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٣) حاشية.
(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص١٠٤).

الطول تقريبًا سواء؟ قلت له: لا. قلت: فيه واحد طويل. قال: امشِ. ـ هذا في النوم يقول وهو نائم ـ. قلت: هذا الحديث الثالث طويل. قال: من رواه؟ قلت: فلان. قال: «خَلاص» أعِد الكتاب. هذا في النوم!»[(١)].

- وقال ابنه عبداللطيف أيضًا: «لاحظنا أثرَ الجلوس عليه على ظهره أثناء تغسيله»[(٢)].
- وأختم بهذه الأخبار ـ وهي قليل من كثير ـ التي تُؤكِّد ما سبق تقريرُه من علوّ همَّة الشيخ وقوّة عزيمته:

١ - لمّا ثقل في مرضه الذي مات فيه كان يقول لأهله: احملوني إلى المكتبة، فإذا أدخلوه إليها قال: أجلسوني. قالوا: لا تستطيع. فكان ـ رحمه الله تعالى ـ يضطجع ويأمر بالكتاب فيقرأ عليه.

٢ - لمّا ضعفت يدُه عن الكتابة الطويلة كان يُملي على بعض أبنائه وحفدته ما يخرّجه من أحاديث.

قال الشيخ محمد إبراهيم شقرة حفظه الله تعالى: كان ـ الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ـ لا يهدأ عن البحث، حتى إنه إذا أراد أن يكتب شيئًا قال: اكتب يا عبداللطيف... اكتب يا عبادة... اكتب يا لؤي[(٣)].

٣ - قال الشيخ علي حسن: «أملى الشيخ الألباني قبل وفاته بشهور قليلة ثماني عشرة صفحة في تخريج حديث ضعيف منكر حشد له بين يديه على طاولته عشرات المراجع الحديثية مخطوطة ومطبوعة.

٤ - ذكر الشيخ علي حسن أنّ الشيخ الألباني اتّصل به قبل شهر من وفاته وسأله عن تفسير للقرآن نسي اسمه.

---

(١) ذكر ذلك الشيخ محمد صالح المنجد. «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٦٨).
(٢) المرجع نفسه.
(٣) «صفحات بيضاء» (ص٩٤-٩٥).

٥ - ذكر الشيخ علي خشّان أنّ الشيخ قبل وفاته بأيام كان إذا أفاق من مرضه قال: أعطوني الجرح الثاني. يعني: كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.

٦ - وذكر الشيخ علي حسن أنّ عبداللطيف نجل الشيخ الألباني أخبره أنّ الشيخ رحمه الله تعالى طلب منه قبل نحو ثمان وأربعين ساعةً من وفاته إحضار كتاب «صحيح سنن أبي داود» لينظر فيه شيئًا وقع في قلبه وورد على ذهنه.

من أخلاق الألباني رحمه الله تعالى وكريم سجاياه

*** عطاؤه وبذله وإحسانه إلى الناس:**

ذكر الأخ الفاضل محمَّد الخطيب ـ الذي عمل في بيت الشيخ: ست سنوات ـ ما نصّه:

«.. كم كنتُ أستحثّ الشيخ لبناء مسجد أو إعطاء فقير أو أرملة أو سائل، فكان لا يردُّني في ذلك، والقصص كثيرة في ذلك، منها:

جاء رجل مريض وعلاجه بإبر تكلِّفة الواحدة منها عشرون دينارًا، يحتاج إلى (١٥) إبرة، فطلب منِّي الشيخ الذهاب لبيته والتأكُّد من صحَّة ما قال، فلمَّا علمنا صدقه أعطاني الشيخ المال، واشترينا له الإبر.

وقصَّة أخرى حصلت قريبًا والشيخ في المشفى:

جاءته امرأة تشكو له وقوعَها في براثن البنوك، حيث إنّها وزوجها اقترضا من أحَد البنوك مبلغ تسعة آلاف دينار، وتضاعف عليها المبلغ من الرِّبا بعد وفاة زوجها، فجاءت تستنجد بالشيخ للخلاص من ذلك، فطلب منِّي الشيخ كالعادة التحرِّي في ذلك، وبعد التحرِّي والتأكد من صدق المرأة وافق الشيخ على أن يُقرِضها مبلغ سبعة آلاف دينار، فحضرت المرأة وحضر معها أولادُها فقال الشيخ: هذه ألف دينار هدية، وهذا المبلغ المطلوب، ففرحت المرأة وفرح أولادُها ودَعَوا للشيخ، ودَعَوت أنا بأن يجزي الله الشيخ خيرًا، فنظر الشيخ إلينا وقال: يا إخوان! والله إنّني أتمنَّى أن أُصبِح مليونيرًا حتى أُخرِج الألوف من أمثال هذه المرأة من قيود الرِّبا.

... أمَّا سيارة الشيخ فكانت جمل محامل للإخوة، فكان يحمل بها الإخوة وينقلهم من مكان لآخر، ويقول لي: يا محمَّد، كان يقول لي والدي : لكلِّ شيء زكاة وزكاة السيارة حمل الناس بها. وكان يقول: إتمام المعروف خير من البدء به، وهي حكمة تعلّمناها من الشيخ، وأنعِمْ بها من حكمة، فكان يقوم على قضاء حوائج إخوانه، فيكتفي الأخ بشيء من خدمة الشيخ، فيفرح الشيخ ويصرّ على أن يتمّم له ذلك، ويبادر الأخ بقوله: إتمام المعروف خير من البدء به. فكم والله استفدنا من هذه الحكمة في معاملة إخواننا»[١].

قال تلميذه عصام هادي:

«كان شيخنا : إذا طبع كتابًا من كتبه فإنّ دار النشر تُرسل له عددًا من النسخ، فكان شيخنا : يضع هذه النسخ على رفّ في المكتبة ظاهر ويوزِّع من هذه النسخ على طلبة العلم من تلامذته ومن يعملون عنده في المكتبة، ومع ذلك فكان يبقى من الكتب، فمرَّةً وبينا نحن في المكتبة إذ جاء أحَد المقرَّبين من الشيخ، وبعد جلوسه قال: يا شيخنا لو غطّيتُم هذه الكتُب مخافةَ أن يُحرجكم أحَد في الطلب منها، فتبسَّم شيخُنا ثمَّ قال: يا عصام، إذا عرفتَ طالبَ علم أو أحدًا يستفيد من هذه الكتب فخذ منها وأعطه»[٢].

وقال عصام أيضًا:

«قلت لشيخنا: بعض الإخوة يودّ أن يطبع كتابًا من كتبك ويوزِّعه لوجه الله على طلبة العلم، فقال شيخنا: أيّ كتاب ممّا تعودُ ملكيتُه لي وأراد أحَدٌ أن يطبعَه ويوزِّعه على الناس دون أن يتكسَّب من ورائه ما عندي مانع»[٣].

وقال الشيخ محمد بن الأمين بوخبزة المغربي حفظه الله تعالى:

«وكان بلغني أنّ بعض دَجاجلة طنجة زارَ دمشقَ مع مُرِيديهِ وفي نيّته أن يَرْزَأ

---

(١) «مجلة الأصالة» (ص٢٣).
(٢) «محدِّث العصر» (ص١٣٥).
(٣) «محدِّث العصر» (ص١٠٦).

الشّيخَ بعضَ مالِه، فذهب إلى منزل الشّيخ وأمرَ مُرِيدِيه أن يخلعوا المسابحَ من أعناقهم لأنّ الشّيخ وهّابيٌّ لا يقبل هذا! ففعلوا ودخلوا على الشّيخ وتذاكروا ونَافَقُوه بالتّقيّة، ثمّ طلب منه شيخُهم الدّجّال القَرْمَطِيّ أن يُسْلِفَه نحوَ أربعمائة ليرة دَيْنًا مردودًا؛ لأنّهم نفدت نفقتهُم، فأسلفهم الشّيخُ، وزار المغرب مرّتين ولم يَأتِهِ الدّجّالُ حتّى للسّلام عليه والاعتذار، بل أضرب عن الزّيارة والسّؤال، فلذلك سألتُ الشّيخ بتطوان: هل زارك فلانٌ بطنجة وردَّ عليكَ مالَك الذي أسلفتَه؟ فأجاب بالنّفي وأنّه لم يَسأل عنه وهو بطنجةَ حتّى لا يُحْرِجَهُ. فانظر إلى أخلاق هذا الوهّابيّ كما يلمزونه، وأخلاق هذا القطب الصّوفيّ كما يدّعي؟!»[1].

* تَوَاضعُــه:

كان ـ رحمه الله تعالى ـ على جانب كبير من التواضع، يتأثر إذا مُدِح، بل يبكي كما هو مشهور عنه في غير موقف، وما زياراته لبعض طلّابه في بيوتهم وتفقّده لهم ـ كما سيأتي ـ إلّا دليلًا على تواضعه رحمه الله تعالى.

ولمّا أراد أحَد تلاميذه أن يقوم بعمل ترجمةٍ له وكرَّر الطلب من الشيخ رفض الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ ذلك معلِّلًا بأنّ حياتَه ليس فيها ما يستحقّ ذلك.

ذكر الشيخ الحويني أنه كلّما قابل الشيخ الألباني قبّل يدَه، فكان الشيخُ ينتزعها بشدّة ويأبى، فذكر الحويني أنه قرأ في بعض أبحاث الشيخ في «السلسلة الصحيحة» أنّ تقبيل يد العالِم جائز، فقال له الشيخ: وهل رأيتَ بعينيك عالمًا قطّ؟ فقال الحويني: نَعَم، أرَى الآن. فقال الشيخ: إنّما أنا طُوَيلِب علم، إنّما مَثَلي ومَثَلُكم كقول القائل: إنّ البُغَاثَ[2] بأرضِنا يَسْتَنْسِرُ[3].

---

(١) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدّين الألباني : » بقلم الشيخ العلّامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدّم له: د. جمال عزّون.

(٢) البُغاث ـ الباء مثلّثة ـ: طائر أغبر، ومعنى المثل: مَن جاورنا عزّ بنا. «القاموس المحيط».

(٣) «الإمام الألباني» (ص١٢٠).

ومن عظيم تواضعه قوله : : «... وهاأنا ذا بعد أن سلخْتُ من عُمري قُرابة الستِّين عامًا ماشيًا في رِكاب هذا العلم الشريف، أعودُ بالنظر والتهذيب والتقريب فيه، وكأنِّي لا زلتُ على أوَّل مَدْرَجته...»(١).

* طلب منه بعض الأغنياء السكن في أحَد الأحياء الرَّاقية فأبى ورغب السكن في حيٍّ عادي أو إلى الفقر أقرب(٢).

* كان يخدم أضيافه بنفسه، يصبّ لهم ويقطع لهم(٢).

*** ورعــــــــه:**

ذكر عنه محمَّد الخطيب ـ الذي عَمِل في بيت الشيخ ـ فقال:

«وكان وَرِعًا، حيث حصل أن توسَّط مرَّةً لشخص تَعَرَّف عليه في إحدى الشركات، بعد أيَّام طَرَق الرَّجُل باب الشيخ مُحْضِرًا «تَنكَة» زيتون، فقال لي: هذه هديَّة للشيخ، وكان الشيخ نائمًا، فلمَّا استيقظ أخبرتُه، فقال: لا يحلّ لنا أكلُها، فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَن شَفَعَ شفاعةً وأُهْدِيَ له هديةٌ فَقَبِلها فقد أتى بابًا من الرِّبا**»، وأعطيناها للفقراء».

وقال الشيخ محمد بن الأمين بوخبزة المغربي في «ذكرياته مع الشيخ الألباني»: «وأذكر من شواهد ورع الشيخ ـ الألباني ـ وتوقّفه أنه في الزِّيارة الأولى لتطوان مررنا على حيٍّ تِجاريّ وفيه دُكّان لبيع الطُّيُوب والعُطور، فوقف على بعض أنواعها التي تُقَصَّر بالمغرب وأُعجب به وسأل عن ثمنها وخرجنا، ثمَّ جلسنا مع بعض الإخوان في دُكّانه فلحقنا بعضُ من كان معنا ـ ممَّن حضر وقوفَ الشيخ على العُطور ـ وناول الشيخَ قارورةً من ذلك العِطر الذي أعجبه فأبى أن يأخُذَه، فرغب الرَّجُل إليه أن يعُدّه هديّةً فأبى»(٣).

---

(١) من ضمن كلمته التي أُلقيت عنه : بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للدِّراسات الإسلامية.

(٢) من ضمن كلام حدّثني به الشيخ خالد العبد المحسن أحَد فضلاء أهل الكويت.

(٣) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدِّين الألباني : » بقلم الشيخ العلّامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدّم له: د. جمال عزّون.

وكان الشيخ : لا يأخذ من أحَدٍ شيئًا ناوله إياه بشماله إطلاقًا، ويقول لذلك المُعطي: الله يهديك، الله يهديك.. ويُكرِّر ذلك حتى يتنبَّه المُعطي إلى ذلك فيُناوله باليمين[(١)].

وفي هذا أيضًا حُسن الأسلوب في التعليم.

وفي أثناء عمله في دُكّانه لتصليح الساعات كان يُعطي صاحب الساعة وصلًا بموعد التسليم، فلم يرضَ أحدُهم بموعده وطلب أن يُقدِّمه على غيره، فقال له الشيخ رحمه الله تعالى: «أنا مسلم»[(٢)].

* عدم انتقامه لنفسه:

وشواهد ذلك كثيرة، منها:

«... قال له بعض الإخوة: يا شيخنا، عندنا رجُلٌ يُعاديك ويتكلم فيك فهل نهجُره؟

فقال : هل يُعادي شخصٌ الألباني أم أنه يُعادي العقيدة التي يحملها ويدعو إليها الألباني ـ عقيدة الكتاب والسنّة ـ؟ فإذا كان يُعادي عقيدة الكتاب والسنّة فإنه يُحاوَر ويُصبَر عليه، فإذا رأيتَ بعد أنّ من المصلحة والأنفع هجره فيُهجَر، وأمَّا إذا كان يُعادي شخص الألباني وهو يتّفق معنا على خطّ الكتاب والسنّة فلا»[(٣)].

وقال الشيخ عصام هادي: «ذهب شيخنا ـ الألباني ـ مرةً لتصليح سيَّارته، وبينما هو في «الكراج» إذ تقدّم منه شابّ فسلّم عليه وقال: يا شيخنا، أنا طالبٌ في المعهد الشرعي وعندنا الدكاترة يتكلّمون عليك ويطعنون بك وخصوصًا فلان

(١) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.
(٢) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.
(٣) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٩٤).

وفلان! فقال شيخنا: يا أخي، كفى بالرجل كذبًا أن يُحدِّث بكلّ ما سمع، وإذا هبَّت رياحُك فاغتنمها، سل عمَّا يُفيدُك في دينك!»[(١)].

* شكره رحمه الله تعالى لمن أعانه على خير:

ومن أمثلة ذلك:

شكره لوالديه على أن كانا سببًا فيما حصل له من الخير العظيم. قال رحمه الله تعالى: «... وبهذه المناسبة يحقّ لي أن أقول بيانًا للتاريخ وشكرًا لوالديَّ...» إلى أن قال: «وأن يكتب أجر ذلك لأبي وأمِّي»[(٢)].

وقال : «... فإذا كان من الحقّ أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيِّبة مسجِّلًا هذه الكلمة ليطّلع عليها من بلغته، فإنّني بفضل الله ﷻ بما أنا فيه من الاتِّجاه إلى السَّلَفية أوَّلًا، وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانيًا يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيِّد رضا : ، عن طريق أعداد مجلّته «المنار» التي وقفتُ عليها في أوَّل اشتغالي بطلب العلم»[(٣)].

قال في مقدمة «إرواء الغليل»[(٤)]: «... ومع أنّ الفضل في تأليفه يعود إلى الأخ الفاضل الأستاذ زهير الشاويش، وكان حريصًا على نشره بين الناس».

قال في مقدمة رسالته «خطبة الحاجة»[(٥)]: «... ويعود الفضل الأوَّل بنشرها إلى الأخ الفاضل الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير «مجلة جمعية التمدن الإسلامي» بدمشق، حيث نشرت في «مجلة التمدّن الإسلامي» الغرَّاء أقدم مجلة إسلامية باقية في سورية، وكان لجهودها خلال خمس وثلاثين سنةً الأثرُ الطيِّب

---

(١) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٢٠).

(٢) «السلسلة الصحيحة» تحت (حديث ٣٢٠٣).

(٣) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٠١).

(٤) (١/ ٨).

(٥) (ص٦).

المحمود في تعميم الثقافة الإسلامية، زادها الله توفيقا وسؤددًا، وكتب الصحَّة والعافية للأخ العظمة لمتابعة جهاده وإشرافه المبارك الميمون».

وقال في موضع آخر أيضًا: «... ولا بُدّ لي أخيرًا من أن أشكر من كان سببًا لطبع هذه المقالات مرَّةً أخرى في هذا الكتاب، وأن أشكر بصورة خاصة القائمين على «مجلة التمدُّن الإسلامي»، وفي مقدّمتهم الأستاذ أحمد مظهر العظمة، فقد كان لهم الفضل الأول في نشرها في مجلتهم، حتى عرف الناس قدرَها فرغبوا في نشرها في كتاب مفرَد»[1].

وقال : : «وختامًا أقول: لا بُدَّ لي ورسول الله ﷺ يقول: «**مَن لم يَشكُر الناسَ لم يَشكُرِ الله**» من أن أقدِّم شُكري البالغ إلى القائمين على المجمع العلمي والمكتبة على ما قدَّموه لي من تسهيلات في سبيل إخراج هذا الفهرس... فجزاهم الله خيرًا»[2].

وقال : في مقدّمته لتحقيق كتاب «الآيات البيِّنات»: «فإنِّي في سفرتي الأخيرة بالجامعة الإسلامية ـ على عادتي كلّما سافرت إليها ـ لدراسة ما يتجمَّع فيها من نفائس المصوَّرات عن نوادر المخطوطات الحديثية وغيرها، المحفوظة في مختلف مكتبات بلاد الدُّنيا، وذلك بهمَّة وجهود فضيلة الشيخ عبدالمحسن العبَّاد نائب رئيس الجامعة الإسلامية حاليًّا، ومن قبله فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرَّئيس العام الآن لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية جزاهما الله تعالى عن العالم والإسلام خيرًا، ووفقهما وغيرَهما من المسؤولين لمتابعة السَّير في هذا المشروع الهامّ العظيم»[3].

وقال : في مقدمة «السلسلة الصحيحة»[4]: «وفي الختام لا يفوتني أن أقوم

(١) آخر مقدّمة «السلسلة الضعيفة» (١/ ٩).
(٢) «حياة الألباني» للشيباني (٢/ ٦٦٥).
(٣) «الآيات البينات» (ص٥-٦).
(٤) المجلد السادس.

بواجب الشكر لابنتي الكبرى أمّ عبدالله؛ فإنّ لها الفضل في تيسير تصحيح تجارب هذا المجلد... وكذلك الأخ علي الحلبي فقد استفدتُ من ملاحظاته...».

وقال : في مقدمة «السلسلة الضعيفة»[1]: «... ولهذا رأيت أولئك الفضلاء يشجّعونني على الاستمرار في النشر، ولا أدلّ على ذلك من إقبال الكثيرين منهم ومن غيرهم من الطلّاب على الاشتراك في «مجلة التمدّن الإسلامي» للاطِّلاع على الأحاديث الضعيفة فيها ـ وقد كتب بذلك بعضهم إليَّ ـ ليكونوا على بيِّنة من أمرها فلا يقعوا مرَّةً أخرى في الكذب على رسول الله ﷺ، أو على الأقل في عزو ما لم يصحَّ نسبتُه إليه ﷺ من الحديث.

ولذلك فقد حثّني كثيرٌ من أولئك الفضلاء على نشر تلك الأحاديث في كتاب مفرَد عن المجلة ليقف عليه من لا اطِّلاع له على المجلة فيعُمَّ النفع بها، وليسهل الرجوع عند الحاجة إليها، ولطالما كنتُ عازمًا على الاستجابة لرغبتهم لولا بعض الموانع، فلما زالت وتيسَّر لي ذلك بادرتُ إلى تحقيقها، شاكرًا لهم حسن ظنِّهم بأخيهم».

ومن أخلاق الشيخ أيضًا:

* مداومتُه على الصلاة على النبي ﷺ كلّما ذَكَره، مع كثرة ما يمرّ ذِكره بحُكم غَلَبة الصَّنعة الحديثية عليه : .
* ترسُّله في الكلام وحُسْن فصله بين الجُمَل مهما طال المجلس، وقد سمعتُ وحضرتُ له عدّة مجالس أحدُها في منزلي.
* فصاحتُه، وممّا تميَّز به الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: عنايته باللغة العربية نطقًا وكتابةً؛ فمع كثرة أشرطة الشيخ الصوتية ومؤلفاته الكثيرة فإنك تسمع وتقرأ عناية الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ باللغة العربية عنايةً تامةً.
* حسن استماعه للمتكلم وعدم مقاطعته: رأيتُ هذا منه وسمعت هذا عنه.
* حرصه على ردِّ السَّلام بالصيغة الكاملة.

---

(١) (١/٧-٨).

تورّع الشيخ عن القول بلا علم
واعترافه بعدم العلم

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[١]... على هذا المنهج سار الفحول من أهل السنَّة عليهم رحمة الله، ومن سلك مسلكهم.

وقد قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله تعالى: كان رسولُ الله ﷺ إمامَ المسلمين وسيِّد العالمين يُسأل عن الشيء فلا يُجيبُ حتى يأتيه الوحي من السماء[٢].

وقد نُقل في هذا الباب أخبارٌ كثيرةٌ عن السلف وأتباعهم في قول «لا أدري» والتوقّف في الجواب، ومن ذلك:

١- ما ذُكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية : حينما عَرَض عليه ابنُ كثير أثرًا عن عليّ رضي الله عنه عند قوله تعالى: ﴿ f g h i ...﴾ في سورة النساء[٣] فاستشكله وتوقّف فيه.

٢- توقف الإمام الذهبي في عُمر سلمان الفارسي رضي الله عنه بعد أن رجع عن قوله الأول حيث قال: «وما أراه بلغ المائة، فمن كان عنده علمٌ فليُفِدنا»[٤].

٣- وساق الذهبي أيضًا أثرًا مشكِلًا في «السِّيَر» ثمَّ قال بعده: «ما فهمتُه»[٥].

---

(١) الإسراء: ٣٦.
(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٦٤-٦٥).
(٣) الآية: ٢٣.
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٥٦).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٦).

٤- ذكر الإمام ابن حزم في مفتتَح كلامه في كتابه «حجَّة الوداع» أنّ كثيرًا من الناس لما تكاثرت عليهم روايات حجَّة الرسول ﷺ ظنَّها بعضُهم متعارِضة وترك بعضُهم النظرَ فيها لما تعذر عليه التوفيق، ثم قال ما نصُّه:

«فلما تأمَّلناها وتدبَّرناها ـ بعون الله ﷻ وتوفيقه إيَّانا لا بحولنا وقوَّتنا ـ رأيناها كلَّها متَّفقةً ومؤتلفةً منسرِدةً متَّصلة بيِّنَةَ الوجوه واضحةَ السبل لا إشكال في شيءٍ منها، حاشا فصلًا واحدًا لم يَلُحْ لنا فصلُ الحقيقة فيه أيّ النقلين هو منهما، فنبَّهنا عليه، وهو: أين صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر أبمنى أم بمكة؟ فلعلّ غيرَنا يلوحُ له بيانُ ذلك، فمن استبان له ما أشكل علينا منه يومًا ما فليُضِفهُ إلى ما جمعناه ليقتني بذلك الأجر الجزيل من الله تعالى»[1].

وقد سار الإمام الألباني : مسيرةَ أولئك الأئمَّة فتوقّف فيما ليس له به علم، بل وصرَّح بذلك، بل وطلب الإفادة ممَّن يعلم كغيره من العلماء الذين سبقوه، ومن شواهد ذلك:

١- ما ذكره في «مختصر كتاب العلوّ» للذهبي (ص١٩٣) عندما استشكل عليه بعض رواة سند من الأسانيد قال ما نصُّه: «فمن كان عنده علمٌ فليتفضَّل به علينا نكُنْ له من الشاكرين».

٢- وفي كتابه «تحذير الساجد» (ص١٨١) عندما تكلّم : عن حُكم الصلاة في المساجد التي فيها قبورٌ، وهل الصلاة باطلة أو مكروهة، قال رحمه الله تعالى: «... وإنّ القول بالبطلان محتمل، فمن كان عنده علمٌ في شيء من ذلك فليتفضّل ببيانه مع الدليل مشكورًا مأجورًا»[2].

٣- عندما تكلم على صحة قول: «إنّ الله تعالى على ما يشاء قدير» قال في آخر بحثه: «هذا ما عندي من علم؛ فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأت فمنِّي وأستغفره تعالى

---

(١) «حجّة الوداع» لابن حزم (ص١٣، ص٢٨).

(٢) «تحذير الساجد» (ص١٨١).

من كل ذنب، ومن كان عنده فضل علم فليتفضّل به شاكرين له»[(١)].

٤- قال تلميذه الشيخ عصام هادي: «سألته عن مسألة فقال: لا أدري وذكِّرني بها غدًا لعل الله يفتح علينا فيها بشيء. فسألتُه من الغد فقال: ما فتح اللهُ عليَّ فيها بشيء»[(٢)].

٥- وعندما سُئل عن بعض مسائل الصرف في الأوراق النقدية ذكر أنّ ذلك من المسائل المشكِلة، وأنه يودُّ أن تبحث مع علماء المملكة أمثال ابن باز وقال: ذلك مما أشكل عليَّ[(٣)].

٦- كتب لي الشيخ سامي خليفة ـ وقد عمل في مكتبة الشيخ ستّ سنوات ـ قال: «بينما أنا أنسخ لشيخنا كتابه المتعلِّق بترتيب «ثقات ابن حبان» والمسمَّى «تيسير انتفاع الخلّان..» وصلتُ عند ترجمة «فزع شهيد القادسية» وإذا بابن حبَّان يقول بأنه «لا يعرفه وإنما ذكره ليعرف لا ليعتمد على ما يرويه»، فاستوقفتني تلك العبارة فقمتُ بإطلاع شيخنا عليها طالبًا رأيه فيها، فقال شيخنا: ضعها لي ملاحظة على ورقة وسوف أقوم بدراستها ـ إن شاء الله ـ. ثمَّ أخبرني شيخُنا أنه قد فرح بتلك الفائدة والتي تفيد بأن ليس كلّ من أورده ابن حبَّان في «ثقاته» هم ثقاتٌ عنده، وإنما يُورِد أناسًا ليُعرَفوا.

زد على ذلك تراجعاته ـ رحمه الله تعالى ـ عن أحاديث صحَّحها ثم تبيَّن له ضعفُها أو العكس، وكلّ ذلك داخلٌ في مبحث عدم القول بلا علم؛ لأنّ التراجع عن الخطأ رجوعٌ إلى العلم.

وانظر مبحث «سرعة رجوعه إلى الحقّ» وما بعده لتزداد يقينًا في ورع هذا الإمام وحرصه على لزوم الصواب ومجانبة الخطأ متى تبيَّن له ذلك.

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٧/٣٥٣).

(٢) «محدِّث العصر» (ص١٠٥).

(٣) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٣٣).

رجوعه إلى الحق عندما يتبين له

وهذا من عظيم أخلاقه رحمه الله تعالى، وتحت هذا المبحث أمورٌ:

منها: سرعة رجوعه إلى الحقّ:

الرُّجوع عن الخطأ ـ بل الاعتراف به ـ من علامات الدِّيانة الصادقة، وتلك من سِمَات العُلَماء الربَّانيين، والإمام الألباني من أسرع الناس تراجعًا عن الخطأ، ومن أسرعهم مبادرةً إلى الصواب مهما كثُرت الأخطاء أو التراجعات، ومن جميل كلامه : في هذا المقام قوله:

«فرحم الله عبدًا دلّني على خطئي وأهدى إليَّ عيوبي؛ فإنّ من السَّهل عليَّ ـ بإذن الله وتوفيقه ـ أن أتراجع عن خطإٍ تبيَّن لي وجهُه، وكتُبي التي تُطبع لأول مرَّة وما يجدّد منها أكبر شاهد على ذلك»[١].

وعودًا على بدء أقول:

قد يقول قائل ـ من باب القدح أو من باب الاستفهام ـ: إنّ تراجُعات الشيخ كثيرة، وجواب ذلك من وجهين: مجمل ومفصَّل:

أمَّا المجمل: فكلّ بني آدمَ خطّاء؛ فمنهم من يعترف ويرجع، ومنهم من يُصرّ ويستكبر... ومبدأ الرُّجوع عن الخطأ إلى الصواب والاعتراف بذلك منقبةٌ لصاحبه تُذكَر له فيُشكر بها، وعلماء السنّة ـ رحم الله تعالى أمواتهم وأحياءهم ـ أسرع الناس رجوعًا إلى الحقّ إذا تبيَّن؛ لأنّ حياتهم ودعوتهم كلّها إلى الحق.

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٦).

وأمَّا الوجه المفصَّل فيقال: إذا أخذنا بمبدأ التناسب الطردي فإنّ كثرة تراجُعات الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ تُعتَبر قليلةً بالنسبة إلى كثرة مؤلّفاته وما أَودع فيها من مسائل العلم، وبخاصَّة من الكلام على الأحاديث التي تجاوزت الآلاف عددًا، ناهيك عن كلامه عن الرُّواة وغير ذلك.

ومن المعلوم بدهًا ـ كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك ـ أنّ الإمام إذا كان كثيرَ التصنيف فقد تكون الأخطاءُ عنده أكثرَ من غيره، ولكنّها تُعتَبر قليلةً بالنسبة لكثرة مصنَّفاته أو مرويَّاته، ومن شواهد ذلك:

ما ذكره الذهبي في ترجمة يحيى بن الضُّرَيس، فقد كان من بحور العلم، وكان عنده عن حمَّاد عشرةُ آلاف حديث، ثمَّ نقل الذهبي عن وكيع أنه قال: «هو ـ يعني يحيى بن الضريس ـ من حفّاظ النَّاس وقد خلّط في حديثين»، قال الذهبي: «لو خلط في عشرين حديثًا في سَعَة ما روى لَمَا عُدَّ إلّا ثقةً»[1].

ومنها: ما ذكر الخطيب البغدادي أنّ أبا عُبَيد القاسم بن سلّام انصرف يومًا من الصَّلاة ومرَّ بدار إسحاق الموصلي، فقالوا له: يا أبا عُبَيد! صاحبُ هذه الدار يقول: إنّ في كتاب أبي عُبيد «الغريب المصنَّف» ألفُ حَرْفٍ خطأ! فقال: «كتابٌ فيه أكثرُ من مائة ألف حرف يقع فيه ألفٌ ليس بكثير، ولعلّ إسحاق عنده رواية وعندنا رواية ولم يعلم فخطّأنا والرِّوايتان صواب، ولعله أخطأ في حروف وأخطأنا في حروف فيبقى الخطأ يسيرًا»[2].

ومن لطيف القول هنا ما ذكره الشيخ عبدالله الدويش رحمه الله تعالى، فإنه لمّا تكلم عن الأخطاء التي ظهرت له في بعض كلام الشيخ الألباني قال ـ الشيخ الدويش ـ:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥٠٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤١٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٠٢).

«وهي تُعدّ قطرةً في بحر في مقابل خدمته للسنّة ونشرها»[١].

وبكل حال؛ فمن ذا الذي يَسلم من الخطأ؟! ورحم اللهُ الإمامَ الشافعيَّ حين قال مقولته المشهورة: «لقد ألّفتُ هذه الكتُب ولم آلُ فيها، ولا بُدّ أن يُوجَد فيها الخطأ؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ X W V U T S R Q P O ﴾[٢]، فما وجدتُّم في كتُبي هذه ممّا يُخَالِف الكتابَ والسُّنّة فقد رجعتُ عنه».

ومع ذلك كله؛ فإنّ تلك الأخطاء من العلماء لا تُوجِبُ الطعن فيهم ولا الحطّ من منزلتهم، وما أجمل ما استفتح به الإمامُ أبو أحمد العسكري كتابَه «تصحيفات المحدِّثين» عندما قال: «وبدأتُ بذِكر جملةٍ من أخبار المصحِّفين، وبعض ما وَهِمَ فيه العلماء غيرَ قاصدٍ للطعن على أحَدٍ منهم، ولا الوضع منه، وما يَسلمُ أحَدٌ من زلة ولا خطأ إلّا مَن عصم الله».

بعد هذا أسوق هنا نماذج لبعض ما كان من شأن هذا الإمام رحمه الله تعالى فأقول:

من وجوه رجوعه عن خطئه:

وإنما قلتُ «وجوه رجوعه» ولم أقل «وجه رجوعه» لأنِّي رأيتُ بالاستقراء والتتبُّع وجوهًا متنوِّعةً تدلّ على وَرَع هذا الإمام وبالِغ حِرْصِه على طلب الحقِّ من كلِّ أحَد، وسترى مِصْدَاقَ ذلك من خلال الوُجُوه التي سأذكرها، وقد يفوتُني بعضُها، وقبل ذلك أقول:

إنّ اعتراف العالِم بخطئِه ورُجوعَه إلى الصَّواب من أعظمِ أنواع التعبُّد لله تعالى، ففي ذلك مصالحُ كثيرةٌ منها:

- مرضاة للرَّحمن ﷻ.
- مَسْخَطَة للشيطان.

---

(١) ذكر ذلك عنه عبدالعزيز المشيقح في مقدمة كتاب الشيخ الدويش «تنبيه القاري» (ص أ).

(٢) النساء: ٨٢.

- إحياءُ سُنّة العلماء الرَّبَّانيِّين.
- دليل على الورع واتِّباع الحقّ.
- تنبيهُ الناس إلى الصَّواب، وأنّ العلماء ليسوا معصومين خلافًا لبعض الفرق الضالّة المضلّة التي تزعُم عصمة علمائها.
- تربية عملية لطلّاب العلم على الرُّجوع عن الخطأ.

وعودًا على بدء يقال:

من وجوه رجوعه إلى الحقّ: شكرُه لمن نبَّهه على خطإٍ ومبادرتُه بالرُّجوع إلى الصواب:

- يقول في مقدِّمته على «شرح العقيدة الطحاوية»: «ثمَّ تبيَّن لي أنّني وَهِمْتُ في تَوهِيم المؤلِّف رحمه الله تعالى؛ فإنّ اللفظ المذكور قد أخرجه الترمذي في تمام الحديث: «**اتّقوا الحديث...**»، ورواه ابن جرير أيضًا، وقد خرَّجتُه على الصواب في تحقيق «المشكاة» رقم الحديث ٢٣٤، والفضل في هذا الاستدراك يعود إلى أحَد المصحِّحين في المكتب الإسلامي جَزَاهُ الله خيرًا. محمَّد ناصر الدِّين الألباني»[(١)].

  والحديث: «**اتّقوا الحديث عنِّي إلّا ما علمتُم، ومن قال في القرآن برأيه...**».
- ويقول في مقدِّمة كتابه «صحيح الترغيب والترهيب»: «... والحديث الأوَّل منها يعود الفضل في تنبيهي لضعفه إلى الشيخ الفاضل بكر بن عبدالله أبو زيد...».
- ومن ذلك قوله في موضع آخر: «... دلّني عليه عبدالله الدويش : وجزاه خيرًا»[(٢)].

---

(١) «الطحاوية» (ص٢٩).

(٢) انظر: تحقيق كتاب «السنّة» لابن أبي عاصم (حديث رقم ٨٤٨).

- وقال أيضًا: «... كما أفادنيه الدكتور محفوظ الرَّحمن... جزاه الله خيرًا»[١].
- ويقول في كتاب «صفة صلاة النبيِّ ﷺ»: «وهو خطأ نبَّهَنا عليه فضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في خطاب تفضّل بإرساله إليَّ بتاريخ ١٤٠٩/٢/٢٠ جزاه الله خيرًا»[٢].
- ويقول في مقدّمته لكتاب «صفة الصلاة»: «... وختامًا لا بُدّ لي من شُكر فضيلة الشيخ التويجري على اهتمامه بالكتاب وحرصه على نُصح القرَّاء والطلّاب، ومحاولته الكشف عن أخطاء الكتاب حسبَ رأيه، وإلّا فهو مخطئٌ في كلِّ ذلك إلّا ما سبقت الإشارة إليه من المسائل الأربع، وأرى من تمام الشكر أن أعترفَ بإصابته الحقَّ فيها، أنّني رجعتُ إلى رأيه فيها، وهي...».
- ويقول في موضع آخر: «وأمّا قول البوصيري: «... حديث المطّلب بن أبي وداعة..» فهو خطأ تقدّم التنبيه عليه في كلام المعلّق المذكور، وقد كنتُ وقعتُ أنا أيضًا فيه حين ألّفتُ كتابي «أحكام الجنائز وبدَعُها» منذ نحو خمس وعشرين سنةً ثمَّ نبَّهني عليه الدكتور الفاضل عبدالعظيم جزاه الله خيرًا»[٣].

ومنها: رجاء القرَّاء أن يصحِّحوا ما يَقَعون عليه من الأخطاء مع إخباره بذلك إن تيسَّر:

يقول في مقدّمته لكتاب «مختصر الشمائل المحمدية»: «... هذا وقد يجد القارئ الكريم في هذا المختصر شيئًا من الخطأ أو التقصير، والسبب الأول ـ كما هو ظاهر ـ أنّ ذلك من طبيعة الإنسان الذي كُتِب عليه أن لا يكون معصومًا، زد على ذلك أنّني قمتُ به وأنا بعيدٌ عن كتُبي ومراجعي، فالمرجو ممَّن وقف على شيءٍ من ذلك أن يصحِّحه وأن يخبرنا به إن تيسَّر ذلك له، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

---

(١) انظر: تحقيق كتاب «السنّة» لابن أبي عاصم (حديث رقم ١٢٣٨).
(٢) (ص١٤٩).
(٣) «السلسلة الصحيحة» (١٦٤/٧).

وقال في مقدمته لكتابه «الأجوبة النافعة»: «... وأيضًا؛ فأنا شخصيًّا بحاجة إلى من يُنبِّهني إلى ما قد يبدو منِّي من خطأ أو وهم، مما لا ينجو منه إنسان، فإذا نشرتُ آرائي تمكّن أهلُ العلم من الاطِّلاع عليها، ومعرفة ما قد يكون من الوهم فيها، وبيَّنوا ذلك كتابةً أو مشافهةً، فشكرتُ لهم غَيرَتهم وجزيتُهم خيرًا»[1].

عند كلامه على حديث: «**لتركبنّ سنن مَن كان قبلَكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع وباعًا بباع، حتّى لو أنّ أحدَهم دخل جُحر ضبٍّ لدخلتم، وحتى لو أنّ أحدهم ضاجع أمَّه بالطريق لفعلتم**»، قال: «رواه الدولابي في «الكنى»، وقال الحاكم (٤/ ٤٥٥): «صحيح»، ووافقه الذهبي.

ثمَّ قال الألباني: «تنبيه: قوله: «**أمّه**» هكذا وقع في كلّ المصادر التي تقدَّم عزوُ الحديث إليها: ابن نصر، الدولابي، البزار، وهو الصواب، ووقع في «مستدرك الحاكم»: «امرأته»، وهو خطأ من أَحَد رُوَاته أو نُسَّاخه فاتني أن أنبِّه عليه في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (٤٩٤٣)، فقد أورد السُّيوطي من رواية الحاكم فقط بلفظه، فليعلّق عليه مَن كان عنده نُسخةٌ منه أو من «الجامع الصغير» أو «الفتح الكبير»، مع العلم بأنّ الشاهد الذي سبقت الإشارة إليه من حديث ابن عمرو هو باللفظ الأول الصحيح وهو في «صحيح الجامع» أيضًا برقم (٥٢١٩)، وقد وقع منِّي خطأ، وهو حذف الجملة المتعلقة بهذا اللفظ، ووضع مكانها نقط «...» كما جريتُ عليه في هذا الكتاب إشارةً منِّي إلى أنّ المحذوف ضعيف، وكانت زلّة منِّي أسأل الله يغفرها لي، فإنّ العكس هو الصواب كما علمت، وعليه فليصحّح لفظ «صحيح الجامع» بإعادة الجملة المحذوفة، والله تعالى وليّ التوفيق».

ومنها: الاعتراف بالخطأ والمبادرة بالتراجع:

- يقول في مقدّمة «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»: «... ولمّا كان قد صدر

---

(١) «الأجوبة النافعة عن أسئلة مسجد الجامعة» (ص١١).

من تلك الأحاديث أكثر من أربعمائة حديث، فقد رأيت أن أطبعها في أجزاء متسلسلة، يحوي كلّ جزء منها مئة حديث أو أكثر إن اقتضى الأمر، وكلّما تمَّ نشر مئة أخرى منها في المجلة طبعتُها في جزء آخَر، وجعلت كلّ خمسة أجزاء منها في مجلد واحد. وكذلك أضفت إلى كلامنا على بعض الأحاديث المنشورة في المجلة حتّى الآن أمورًا أخرى، مثل تعديل أسلوب الكلام عليها، وزيادة تحقيق فيها، ونحو ذلك من الفوائد، وقد أغيِّر حكمي السابق على الحديث بحكم آخَر بدَا لي فيما بعد أنه أعدل وأرجح، كأن أقول: «ضعيف جدًّا» بدل «ضعيف» أو العكس، و«ضعيف» بدل «موضوع» أو العكس ونحو ذلك، وهذا وإن كان نادرًا فقد رأيتُ أن أنبِّه إلى أمرين:

الأول: كي لا يظن أنّ ذلك التغيير خطأ مطبعي.

الثاني: أن يَعلم مَن شاء الله أن يعلم أنّ العلم لا يقبل الجمود فهو في تقدُّم مستمرّ من خطأ إلى صواب، ومن صحيح إلى أصحّ، وهكذا، وليعلموا أننا لا نُصِرُّ على الخطأ إذا تبيَّن لنا».

وتأمَّل رعاك الله في قوله رحمه الله تعالى: «كي لا يظنّ أنّ ذلك التغيير خطأ مطبعي» أليس هذا من عظيم الورع والتواضع والاعتراف بالخطأ؟

- وقال : عن حديث رقم (٥٢١٩) من «صحيح الجامع الصغير»: «وقد وقع منِّي فيه خطأ، وهو حذف... وكانت زلّةً منِّي أسأل اللهَ أن يغفرَها لي... فإنّ العكس هو الصواب... وعليه فليُصحَّح لفظ «صحيح الجامع» بإعادة الجملة المحذوفة، والله تعالى وليُّ التوفيق»[(١)].
- وقال : بعد تقريره أنّ الإنسان كلّما ازداد علمًا مع الزمن كلما ازداد معرفةً بجهله:

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣/٤٢٢) تحت حديث رقم (١٣٤٨).

«... وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنّ من البدهي جدًّا أن تنكشف لي بعض الأوهام والأخطاء التي لا يخلو منها إنسان، وبخاصة ما كان منها متعلِّقًا بالحديث وطرُقه التي قد لا تنكشف إلّا مع الزمن وظهور مطبوعات جديدة منه، كيف لا وقد مضى على تأليف الكتاب نحو ثلاثين عامًا، وطبع عدّة طبعات دون أن يُتاح لي إعادةُ النظر فيه إلّا في هذه الطبعة المبارَكة إن شاء الله، ولذلك بادرتُ إلى تصحيح ما يسَّر اللهُ لي منها، والتصريح بالمهمّ منها كما سبق، ولم يسَعني كتمانُها كما قد يفعل ذلك غيري من المؤلِّفين خشيةَ القالة والغمز واللمز!!»[١].

- وقال : أيضًا: «... فإنّني في بعض الأحيان قد يبدُرُ منِّي أثناء حديثي عباراتٌ في أشخاص، أو كلماتٌ في أعيان أو هيئات، ما قلتُها إلّا غَيرةً على الدِّين واهتمامًا بأحكامه، لا تحريضًا على أحَد ولا إثارةً لأحقاد، وليس هذا غريبًا من أمثالنا نحن الخلَف والمحاطين بظُلُمات من الفتن... فمثل هذه الكلمات لا يجوز أن يُبنَى عليها اتِّهامٌ لقائليها، ولكنّا قد ابتُلينا في العصر الحاضر بأناس يتتبَّعون العثرات والمتشابهات، ويُعْرِضون عن المُحكَمات الواضحات المؤكِّدات لما قُلنا، بقصد إيقاع الفتنة بين الإخوة المؤمنين، أو بينهم وبين بعض أولياء الأمور، ولذلك رأينا أن نُعدِّل بعض الكلمات التي تبيَّن لنا ـ بعد دراسة محتويات كثيرٍ من الأشرطة المنسوخة ـ أنها من ذاك القَبيل، وأنّ الأولى عدمُ النطق بها، ثمَّ لْيَمُتِ المُفسِدون في الأرض غيظًا...»[٢].

وبعد هذا أُرشِدك إلى كتابين ترى فيهما عشرات الأمثلة من تراجعات الشيخ رحمه الله تعالى.

---

(١) تحقيق «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٨) ط. دار المعارف.

(٢) من مقدمة الشيخ : على كتاب له تحت الطبع باسم «مجموع فتاوى الشيخ الألباني»، نقل هذا الكلام منها الشيخ علي بن حسن الحلبي في كتابه «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» (ص٥٠-٥١).

الأول: «تراجع العلّامة الألباني فيما نصَّ عليه تصحيحًا أو تضعيفًا» لأبي الحسن محمد حسن الشيخ.

والثاني: «النصيحة في بيان الأحاديث التي تراجع عنها الألباني في الصحيحة».

فإن قال قائل: لماذا كثرت هذه التراجعات؟ فجوابه: أولًا تلك منقبة لا مثلبة، وثانيًا تعتبر قليلةً ـ بل أقلّ من القليل ـ في جنب آلاف الأحاديث التي اعتنى بتخريجها.

ومن شواهد رجوع الشيخ عن قوله متى ما تبيَّن له أنّ الصواب في خلافه:

أنه لمّا كتب الشيخ جميل الرحمن رحمه الله تعالى ـ أحَد قادة المجاهدين الأفغان ـ كتابًا يسأل فيه عن دخوله في مجلس شورى الأفغان.. كان السؤال موجَّهًا إلى المشايخ الثلاثة ابن باز والألباني وابن عثيمين، فلمّا عُرض على الشيخين ابن باز وابن عثيمين وافقا على دخوله للمصلحة الشرعية، ولمّا عرض على الشيخ الألباني مَنَع من دخوله في أول الأمر، وبعدما نُقل إليه تعليل الشيخين ـ ابن باز وابن عثيمين ـ قال: هما أعلم وأحكم وأنا أوافقهما[1].

(١) حدّثني بذلك الشيخ خالد العبدالمحسن من فضلاء أهل الكويت، وكان كثير التردُّد على الشيخ الألباني وله حظوة عند الشيخ، وهو الذي حمل كتاب الشيخ جميل الرحمن ـ رحمه الله تعالى ـ إلى المشايخ الثلاثة.

عبادته ورقة قلبه

كان الشيخ : من أحرص الناس على أن تكون عبادتُه موافقةً للسُّنّة في صفتها، وفي عددها، وفي وقتها، حريصًا على تطبيق السُّنّة في مأكله ومشربه وملبسه، وفي معاملاته... ويشهد بذلك من جالسه، أو زاره، أو حضر دروسه، ولقاءاته العامرة، حتّى قال العلّامة محمد بن صالح العثيمين : : «فالذي أعرفه من الشيخ من خلال اجتماعي به ـ وهو قليل ـ أنه حريصٌ جدًّا على العمل بالسُّنّة، ومحاربة البدعة، سواء كانت في العقيدة أم في العمل».

وكان يُكثِر من التنفّل صلاةً وصيامًا.

كان سريعَ التأثّر والبُكاء ولا سيما عند سماع القرآن أو تلاوته، أو سماع الأحاديث النبوية التي فيها الوعد والوعيد، أو عند سماعه نبأ موت بعض علماء الحديث والسُّنة، أو عندما يذكر له رؤيا خير رُئِيت له، وعند مدحه والثناء عليه.

لقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ يحرص على صيام الاثنين والخميس صيفًا وشتاءً، إلّا أن يكون مسافرًا أو مريضًا.

وكان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لا يزال يُصَلِّي ركعتين ركعتين حتى يصعد الإمام المنبر.

وكان يحجّ ويعتمر كلّ عام ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وربما اعتمر في السَّنَة الواحدة مرَّتين، وقد حجَّ أكثرَ من ثلاثين حجَّة.

حُدِّثتُ أنّ رجلًا عابدًا مجاورًا في الحرم المدني اشتهر عنه الصلاح والزهد وكان صاحب سُنّة وكثير النُّصح شاهدَ مرَّةً أشخاصًا أكثروا الكلام في الحرم فنصحهم بأن يستغلّوا أوقاتهم بالقراءة والذِّكر، وطاب لهم كلامُه الصادق

فاستمرَّ يحدِّثهم فتسامع من حولهم بكلامه وحلاوته، فتكاثر الجمع وهو يتكلم بنبرة تدلّ ـ إن شاء الله تعالى ـ على صِدق نيَّته، وبينما هو يتكلم سكت فجأةً وأخذ يَنظُر إلى أحَد الجالسين ويعتذر بعدم علمه بوجوده، فما كان من ذلك الجالس الذي كان متأثِّرًا إلّا أن طلب بإلحاح أن يستمرَّ ذلك المجاور في وعظه ونصحه لكن الواعظ جلس، ولم يكن ذلك الرَّجل الذي طلب من الواعظ الاستمرار إلّا الشيخ الألباني رحمه الله تعالى أثناء وجوده في المدينة عندما كان مُدَرِّسًا في الجامعة الإسلامية.

وكتب إليَّ الشيخ محمد زياد التكلة ـ أثابه الله تعالى ـ قال:

«سألت الشيخ محمد عيد العباسي عن عبادة الشيخ الألباني فقال: كنّا نصلِّي التراويح مع بعض الإخوة، فيقوم الشيخ الألباني ويُصلي بنا صلاةً طويلةً نحو ثلاث ساعات، يطبِّق خلالها أدقّ السنن، ويُطيل الركوع والسجود، ويكون الركوع نحو ٨ أو ٩ دقائق، وكان إذا جلس بين كلِّ ركعتين يستغفر ويُسبِّح.

ومرَّةً تقدّم إليه الشيخ علي خشّان وهو كذلك وسأله عن مسألة، فقال له: الآن وقت العبادة، ووقت العلم غير هذا.

قال: وكان الشيخ من إطالته التهجُّد نخشى ـ كما في الحديث ـ أن يفوتنا الفلاح، وهو السَّحور، وكنّا نحسّ في الصلاة خلفه بالطمأنينة والخشوع والسكينة».

عبراته تسبق عباراته

للإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ قلبٌ رَقيق تكشف رِقّتُه بوُضوح بعض المواقف المؤثِّرة؛ فقد كان : سريعَ العَبرة، غزير الدمعة، وخاصَّةً إذا أثنى عليه أحَدٌ، أو سمع أو قرأ حديثًا فيه ترهيب أو تخويف، وكثيرًا ما كانت دموعُه تخالط كلماته فتقطعُ حرفَها، ولا يكادُ يُبين عن كلماته إلّا بعد انقطاع دموعه.

ومن شواهد ذلك:

- حدّثته امرأةٌ جزائريَّة فذكرت أنّها رأتهُ يَسْأَل عن الطريق الذي سَلَكَه النبيُّ ﷺ فدُلّ عليه، فسار على خطواته لا يُخْطِئُها، فلم يحتمل كلامَها وأجهش بالبكاء.
- وأنشد مرَّةً بيتًا من الشعر:

أهلُ الحديث همُ أهل النبيِّ وإنْ لم يَصحَبوا نفسَه أنفاسَهُ صحِبوا

ثم قال رحمه الله تعالى: «نسأل الله أن يحشُرنا معهم»، ثم فاضت عيناه بالدمع[1].

- وقال الشيخ عصام هادي: «ولمّا دخل شيخنا : المشفى وزُرته، فسألتُه عن حاله فحمد الله، ثمَّ قال: للآن قد عُمل لي أكثر من عملية تنظير ولم يتبيَّن سبب المرض، وهذه العمليات تؤلمُني جدًّا، ولكنني أستعين عليها بذِكر الله وتذكّر ما جرى مع إخواننا في سبيل الله فأقول: ماذا أُصِبنا نحن بجانب ما أصيبوا به، ثمَّ بكى : »[2].

---

(١) «صفحات مشرقة» (ص١٤٢).

(٢) «محدِّث العصر الإمام محمد ناصر الدِّين الألباني كما عرفتُه» لعصام موسى هادي (ص٧٧).

- ولما ذَكر له الشيخ محمد إبراهيم شقرة حفظه الله تعالى في أثناء مرضه الذي توفي فيه أنّ شدّة البلاء على قَدْرِ قوَّة إيمان الشخص وعلمه تبسَّم رحمه الله تعالى ودمعت عيناه، وقال ذلك الأثر المشهور: اللهُمَّ اغفر لنا ما لا يعلمون، واجعلني خيرًا ممّا يظنون، ولا تؤاخذني بما يقولون(١).

(١) بحثتُ ـ مع الاعتراف بالتقصير ـ عن هذا الأثر، وتحصّل لي ما يلي:
أولًا: روى هذا الأثر ابن دُرَيد ـ رحمه الله تعالى ـ إمام اللغة والأدب في كتابه «المجتبى» (ص٣٦) فقال:
«أخبرنا محمد بن الحسن قال: أخبرنا أبو حاتم، عن الأصمعي قال: كان أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ إذا مُدِحَ قال: «اللهمَّ أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، اللهمَّ اجعلني خيرًا ممَّا يَحسَبُون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون»».
ومن طريق ابن دريد ـ رحمه الله تعالى ـ أخرجه ابن عساكر ـ رحمه الله تعالى ـ في «تاريخ مدينة دمشق» (٣٠/٢٣٢)، وكذلك أيضًا رواه ابن العديم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «بُغية الطلب في تاريخ حَلَب» (٩/٤٠٠٥).
وأخرجه علي بن الفرج الصقلي في «الحكايات والأخبار» (١٥١/ب) من طريق الصولي، نا أبو العيناء، نا الأصمعي قال: «كان أبو بكر...» بحروفه.
وقد ذكره النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/١٩٠) بلفظ مقارب جدًّا، وكذا ذكره السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تاريخ الخلفاء» (ص٩٧)، وعزاه إلى ابن عساكر عن الأصمعي ـ رحمهم الله تعالى ـ، وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمَّال» (١٢/٧٦٥) للعسكري في «المواعظ».
والشاهد: أنّ تلك الأسانيد إلى الصدِّيق ـ رضي الله تعالى عنه ـ كلها عن ابن دريد إلى الأصمعي ـ رحمهما الله تعالى ـ، والأصمعي ـ رحمه الله تعالى ـ وُلد سنة بضع وعشرين ومائة كما قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٧٦)، أي بعد وفاة الصدِّيق ـ رضي الله تعالى عنه ـ بأكثر من مائة سنة!
ثانيًا: جاء هذا الأثر عن عدي بن أرطأة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: «كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكِّي قال: «اللهمَّ لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون»». أخرجه البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في «الأدب المفرد» باب ما يقول الرجل إذا زُكِّي، برقم (٧٦١)، وصحَّحه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة ـ رحمه الله تعالى ـ في «المصنَّف» رقم (٣٥٧٠٣)، والبيهقي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شُعَب الإيمان» (٤/برقم ٢٢٨)، وكذا ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/برقم ٤٩٣)، وسكت عنه.
ثالثًا: وجدتُ الأثر في زيادات نُعيم ابن حماد ـ رحمه الله تعالى ـ على ما رواه المروزي ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «الزهد» (ص١٤) رقم (٥٧)، ولفظه:
أخبرنا إبراهيم بن نشيط، عن ابن عمر مولى عفرة ـ كذا، والصواب: عُمر مولى غُفرة ـ أنه قال: «قل إذا زُكِّيتَ بما ليس فيك: اللهمَّ اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، فإنك تعلم ولا يعلمون». =

- قال الشيخ سمير الزُّهَيري ـ وهو من طلّاب الشيخ رحمه الله تعالى ـ: «اجتمعتُ ذات يوم في عَمّان ببعض طلّاب العلم، وكالعادة في مثل هذه المجالس ذُكِر الشيخ وإذا بأحَد الحُضور يحمل على الشيخ حملةً شَعْوَاء لاختلاف المنهج، ولم أشعُر بجدوى مناقشة الرَّجل لعدم إنصافه أولًا، وثانيًا لغضبه الشديد الذي أخرجه عن حدّ الاعتدال. فقلت له: إذا كنتَ ترى الشيخ بهذه الصورة ـ وهو ليس كما ترى ـ فلماذا لا توجِّه له النُّصح مباشرةً فهو خيرٌ من غِيبَتِك له ووقيعتك فيه؟ فقال: الألباني لا يقبل النصيحة. فقلت: هل جرَّبتَ؟ فقال: أنا لم أره قطّ ولكن هذا متواترٌ عنه. فقلتُ في نفسي: سبحان الله! هذا رجل تأثّر كلّ هذا التأثر بمشايخه دون أن يبحث هو عن الحقّ أو أن يلتقي بالشيخ وهما في بلد واحد ومضى عليهما سنوات عدّة!! ثمَّ كان أن رتّبتُ أمسيةً علميةً مع الشيخ في بيتي، ودعوتُ جموعًا من طلّاب العلم، ومنهم ذلك المخالف في ذلك الوقت، ولم أُعْلِم الشيخَ بشيء من ذلك، واستأثر صاحبُنا بأغلب المجلس، وناقشَ الشيخ وجادله وعلَا صوتُه واحتدّ، حتى إنّني بدا عليَّ الغضب والإحراج، ولما عَرَف ذلك الشيخُ في وجهي التفت إليَّ مبتسمًا قائلًا: لا عليك، ووالله لم تُفَارِق البسمة وجهَ الشيخ، ومازال يردّ عليه بالحجَّة من الكتاب والسنّة، مع طول بال وسَعَة صدر كعادته : . وفي نهاية المجلس قام الرَّجُل وقال للشيخ: أنا أحمدُ اللهَ ﷻ أنك تغيَّرت وأنني لقيتُك بعد هذا التغيُّر! فقال الشيخ: وهل أنت التقيتَ معي

= وأخرجه جعفر الفريابي في كتاب «صفة المنافق» (ص٧٥) من طريق ابن المبارك أخبرنا إبراهيم بن نشيط، سمعت عمر مولى غفرة به.

وعُمر هو ابن عبدالله مولى غُفْرة ـ بضمّ الغين المعجمة وسكون الفاء ـ بنت رباح أخت بلال بن رباح، يُكنى أبا حفص، وهو ابن خالة ربيعة بن أبي عبدالرحمن. مدني عامّة حديثه مرسل، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة.

رابعًا: وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٠) من طريق الإمام أحمد بن حنبل: ثنا أبو المغيرة، ثنا صفوان بن عمرو قال: كان يزيد بن ميسرة فيما بلغنا يقول: «إذا زكّاك رجُلٌ في وجهك فأنكِر عليه واغضَب ولا تُقرّ بذلك وقل: اللهمَّ لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون».

قبل اليوم؟ فقال الرجل: لا. فأشار الشيخ إلى أحَد إخوانه من الشام ممَّن صحبوه في الدعوة السَّلَفية ـ وكان ضيفًا في تلك الأيام على الشيخ في عَمَّان ـ وقال: أنا لم أتغيَّر وهذا صَحِبَني أكثرَ من عشرين سنةً في الدعوة، ويعرف عنِّي هذا، وعلى كلٍّ جزاكَ اللهُ خيرًا، وأمَّا أنا فأطلب منك المسامحة إن كنتُ أخطأتُ عليك في شيء، وأسأل الله عَجَّلَكَ أن يغفر لي إن كنتُ أخطأت في حقِّ أحَدٍ من المسلمين، ثمَّ بكى : . فما كان من صاحبنا إلَّا أن بكى هو الآخَر، وأخذ يقبِّل يدَ الشيخ ورأسه، ولم أعرفه بعد ذلك إلَّا سلفيًّا متَّبعًا محبًّا للشيخ معظِّمًا له»[1].

قلت: اللهَ تعالى أسأل أن يجعل الإمام الألباني ممَّن قال الله فيهم: ﴿ 3
4 5 6 7 | 9 : ; ﴾[2].

- حدَّثه بعضُهم أنَّ أحَدَ إخوانه رأى رُؤيَا منامية فيها أنه رأى النبيَّ ﷺ فسأله: إذا أشكل عليَّ شيءٌ في الحديث مَن أسأل؟ فقال النبيُّ ﷺ: سَل محمَّد ناصر الدِّين الألباني. قال: فما أن انتهيت من حَديثي حتى بكى بكاءً عظيمًا وهو يردِّد: اللهُمَّ اجعلني خيرًا ممَّا يَظنّون، واغفر ما لا يعلمون».
- وعندما أخبره تلميذه الشيخ علي الحلبي بوفاة سماحة الشيخ ابن باز : لم يتمالك نفسَه بالبُكاء، فدمعت عيناه دمعات حارَّة وتكلم عنه ـ رحمهما الله ـ بكلمات بارَّة.
- ذكر الأخ الفاضل محمَّد الخطيب ـ الذي عمل في بيت الشيخ: ست سنوات ـ ما نصّه: «كنتُ مرَّةً أعملُ للشيخ على سطح بيته وأُصلِح بعض الأمور، فحملت قضيبًا طويلًا أرفعه من مكان لآخَر، فغلبني القضيب وأنا أعلى السَّطح فكدتُ ـ لولا فضل الله ـ أن أهوي من أعلى السطح، فعَلِمَ الشيخُ بالخبر، فحمد الله على سلامتي، وسارع ساجدًا لله سجدةَ شكر، وذرفت عيناه بالبكاء، وأخرج من جيبه مئةَ دينار أعطاني إيَّاها».

---

(١) «محدِّث العصر» لسمير بن أمين الزهيري (ص٤٢-٤٤).
(٢) آل عمران: ١٣٤.

- حدّثه بعضُهم أنّ والدَه يَسُبّ الرَّبّ والدِّين والعياذ بالله، فبكى الشيخ لما سمع من جُرأة من ينتسب إلى الدِّين على بعض هذه القبائح والعظائم في حقّ الله، وحَكَمَ على والده بأنه مُرتدّ كافر.
- مدحه أحدُهم وهو يُقَدِّم لإحدى محاضرات الشيخ قائلًا: «الشيخ العلّامة»، فبكى الشيخ وقال: «لا أجِدُ أن أقول إلّا ما قاله صدِّيق الأمَّة: اللهُمَّ اجعلني خيرًا مما يَظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون». وكان دائمًا يقول: «ما أنا إلّا طُوَيلب ـ تصغير طالب ـ علم».
- وأخبره بعضهم عن مشكلة حصلت معه وأنه في ورطة، فما هو إلّا أن دمعت عينا الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ودعا بأن يُفرِّج اللهُ كُربته؛ فكان ذلك[١].

(١) «صفحات بيضاء» (ص٤٩-٥٠).

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

أحسب أنّ الإمام الألباني رحمه الله تعالى يصدق عليه الوصف بأنه أمَّارٌ بالمعروف نهَّاءٌ عن المنكر؛ وذلك لكثرة أمره ونهيه، ومن رأى ما نثره في بعض كتبه ـ فضلًا عن جميعها ـ سيرى مصداق ذلك.

هذا بالقلم؛ وأمَّا بالكَلِم فقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ معروفًا بذلك المنهج، فلا يتأخّر عن إنكاره لمنكر رآه ولو تهاونَ به الكثير.

وأسوق إليك شيئًا ممّا وقفتُ عليه في كتب بعض من ترجم له:

- قال : عن والده: «... كان يأتي للمساجد التي فيها قبور كعامَّة المشايخ، فأنا كنتُ أقول له: هذا يا والدي لا يجوز، وهذا فيه كذا.. وفيه كذا... إلى آخره»[١].
- وقال أيضًا عن بعض شيوخه: «.. ولقد كنتُ أذهب مع بعضهم ـ وأنا صغيرٌ لم أتفقّه بالسُّنّة بعد ـ إلى قبر الشيخ ابن عربي لأصلِّي معه عنده! فلمّا أن علمتُ حُرمة ذلك باحثتُ الشيخَ المشار إليه كثيرًا حتّى هداه الله تعالى، وامتنع من الصلاة هناك، وكان يعترف بذلك لي، ويشكرُني على أن كنتُ سببًا لهدايته، رحمه الله تعالى وغفر له، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله»[٢].
- وكان الشيخ : لا يأخذ من أحَدٍ شيئًا ناوله إياه بشماله إطلاقًا، ويقول لذلك المُعطي: الله يهديك، الله يهديك.. ويُكرِّر ذلك حتى يتنبَّه المُعطي إلى ذلك فيُناوله باليمين[٣].

---

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٠).

(٢) «تحذير الساجد» (ص١٢٩) نقلًا عن «حياة العلّامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص١٦).

(٣) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.

- وقديمًا في أثناء عمله في دُكّانه لتصليح الساعات كان يُعطي صاحب الساعة وصلًا بموعد التسليم، فلم يرضَ أحدُهم بموعده وطلب أن يُقدِّمه على غيره، فقال له الشيخ رحمه الله تعالى: «أنا مسلم»[(١)].
- كان إذا حجَّ أو اعتمر لا يكُفّ عن أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر، حتى وهو في طوافه، وفي سعيه»[(٢)].
- قال الشيخ سمير الزهيري: شاهدتُه ذات مرَّة ـ وهو مريض ـ ودخل عليه أحَد المعالجين ـ وكان حليق اللحية ـ، وبعد أن أعطى الدواء للشيخ وهمَّ بالانصراف قال: ادعُ اللهَ لي يا شيخ، فقال : : جمَّلك اللهُ بما جمَّل به الرِّجال.
- قال: .. وكنّا ذات يوم في محاضرة له بأحَد المنازل، وكان صاحب الدار إذا دخل أو خرج لم يُلقِ السلام ظنًّا منه أنّ ذلك ممّا يُشوِّش على الدرس، فأقبل عليه الشيخ وسأله: لماذا لا يُسلِّم إذا دخل وإذا خرج، وتحوَّلت المحاضرة إلى أدب السلام عند الدخول وعند الخروج، وآداب الاستئذان، ونحو ذلك.
- رأى رجُلًا يأكل بشماله فقال له: لا تأكل بشمالك، فإنّ الشيطان يأكل بالشمال. ثمَّ سرد الأحاديث في ذلك.
- صلى ذات يوم صلاة الجمعة، فذكر الخطيب من جملة ما ذكَر حديث: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا**»، وزاد فيه لفظ: «**المرصوص**». فبعد أن انتهت الصلاة قام الشيخ وأقبل على الملأ وبيَّن عدم وجود هذا اللفظ في رواية الحديث، وحضّ على رواية الأحاديث كما جاءت دون زيادة.
- قال الشيخ عصام هادي: «ذهب شيخنا ـ الألباني ـ مرةً لتصليح سيَّارته، وبينما هو في «الكراج» إذ تقدّم منه شابّ فسلّم عليه وقال: يا شيخنا، أنا طالبٌ في

(١) كتب لي بذلك الأخ سامي خليفة.
(٢) «محدِّث العصر» لسمير الزهيري (ص٣٠-٣١).

المعهد الشرعي وعندنا الدكاترة يتكلّمون عليك ويطعنون بك وخصوصًا فلان وفلان! فقال شيخنا: يا أخي، كفى بالرجل كذبًا أن يُحدِّث بكلّ ما سمع، وإذا هبَّت رياحُك فاغتنمها، سل عمَّا يُفيدُك في دينك!»[١].

- وكان بعض الناس يبدأ سؤاله للشيخ قبل إلقاء السلام، فكان ـ رحمه الله تعالى ـ يأمُره بالسلام قبل أن يسأل، وبعد أن يُجيب على سؤاله يقول: لا تنسَ أن تُسلِّم عليَّ[٢].

(١) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٢٠).
(٢) هذا الخبر حدّثني به وكتبه لي الأخ سامي خليفة، وقد قمتُ بصياغته.

محافظته على وقته

كان ولا يزال أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ أحرصَ الناس على أوقاتهم؛ لعلمهم بعظيم شأن العلم وتحصيله، وأنّ إهمال شيء من الأوقات بلا فائدة معناه ضياع شيء من العمر وفوات شيء من الخير.

ومن تتبَّع أخبار سير العلماء ونظر في تراجمهم عرف مصداق ذلك، ومن هذا الباب ما ذكره ابنُ عساكر : في ترجمة الإمام سُلَيم بن أيوب الرَّازي : «أنه كان يُحاسِب نفسَه على الأنفاس، لا يدَعُ وقتًا يمضي عليه بغير فائدة، إمّا ينسخ أو يدرس أو يقرأ أو ينسخ شيئًا كثيرًا».

قال ابن عساكر: «ولقد حدّثني عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني أنه نزل يومًا إلى داره ورجع فقال: قد قرأتُ جزءًا في طريقي. قال: وحدّثني المؤمل بن الحسن أنه رأى سُليمًا حفي عليه القلم فإلى أن قطّه جعل يُحرِّك شفتيه فعلم أنه يقرأ بإزاء إصلاحه القلم لئلّا يمضي عليه زمان وهو فارغٌ، أو كما قال»[1].

وقد ذكر الإمام السمعاني : في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» أنّ المحدِّث إذا قال: حدّثنا فلان، ثمَّ أعاد المستملي (المُبَلِّغ) ما قاله المحدِّث بصوت عالٍ، فإنّ المحدِّث يأخذ بالتسبيح والاستغفار في أثناء رفع المستملي صوته ليكتُب الطلّاب كلامَ المحدِّث.

وكان الإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ من أولئك العلماء الذين عُرِفوا بالمحافظة على أوقاتهم، وشواهد ذلك كثيرةٌ في كلامه وكلام مَن صاحَبَهُ وتتلمذ عليه.

---

(١) «تبيين كذب المفتري» (ص٢٦٣). وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٦٤٦).

* قال رحمه الله تعالى في أثناء حديثه عن مهنة تصليح الساعات:

«ومن توفيق الله تعالى وفضله عليَّ أن وجَّهني منذ أوَّل شبابي إلى تعلّم هذه المهنة؛ ذلك لأنها حُرَّة لا تتعارض مع جهودي في علم السنّة، فقد أعطيت لها من وقتي كلّ يوم ـ ما عدا الثلاثاء والجمعة ـ ثلاث ساعات زمنية فقط.

وهذا القدر يمكّنني من الحصول على القوت الضروريّ لي ولعيالي وأطفالي، على طريقة الكفاف طبعًا، فإنّ من دُعائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**اللهُمَّ اجعل رزق آل محمَّد قوتًا**» رواه الشيخان.

وسائر الوقت أصرفُه في سبيل طلب العلم، والتأليف، ودراسة كتُب الحديث، وخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية، ولذلك فإنني ألازم هذه المكتبة ملازمة الموظّفين فيها لها! ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ستّ ساعات وثماني ساعات يوميًّا على اختلاف النظام الصيفي والشتوي في الدوام فيها»[(١)].

* «وإنّ كل من رآه في المكتبة آنذاك يعرف مدى اجتهاده وحرصه على الاستفادة من وقته، حتى إنّ الكثيرين من الناس كانوا يحملون عليه لكثرة انهماكه في المطالعة التأليف أثناء زيارتهم له في المكتبة، وبالطبع كان للشيخ عُذره لأنه لا يريد إضاعة الوقت بالترحاب والمجاملة، وكان يجيب عن بعض الأسئلة التي تُوَجَّه إليه وهو ينظر في الكتاب دون أن يرفع بصره إلى مُحدِّثه بأوجز عبارة تؤدِّي الغرض»[(٢)].

قال أحَد تلاميذه: «لم نرَ عالمًا قطّ يحرِصُ على وقته في العِلم والبحث والتأليف والمدراسة والمناقشة مثل الشيخ يرحمه الله، وكان كلّما زُرناه في بيته، أو خرجنا معه في رحلة، أو جاء إلينا، أو اجتمعنا به عند بعض إخواننا.. كان يبدأ أوَّلًا بالاطمئنان عنّا واحدًا واحدًا، ويجامِلُنا، وما كانت تخلو جَلساته من دُعابة تُدخِل

(١) «حياة العلّامة الألباني رحمه الله تعالى بقلمه»، جمع وإعداد: عصام موسى هادي (ص٨-٩).

(٢) «ترجمة موجَزة لفضيلة المحدِّث الشيخ أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني وأضواء على حياته» بقلم: د. عاصم عبدالله القريوتي (ص٧).

جَوًّا من المرح والسُّرور على جُلَسائه، ثمَّ بعدها يقول: ماذا عندك يا أبا أنس؟ ماذا عندك يا أبا فلان؟ فكانت مجالسه ـ يرحمه الله ـ كلّها جِدًّا وعِلمًا ومناقشةً ومدارسةً، والمزاح قليل في حياته ـ ولو كان حقا ـ والوقت نفيسٌ في حياته»[(١)].

وقال أيضًا: «ولقد رأيتُ أنّ الشيخ لا يَهدِرُ من وقته شيئًا، باستثناء أوقات الرَّاحة والحاجات التي لا بُدّ منها، وربَّما طالع وكتَبَ وألّف أكثرَ من خمس عشرة ساعةً في اليوم والليلة، وربما أكثر من ذلك، ولقد بارك الله في وقته وعُمره، فهذا إنتاجُه العلميّ أكبرُ شاهدٍ على ذلك ولله الحمد»[(٢)].

«... وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يُجِيبُ عن بعض الأسئلة التي تُوَجَّه إليه، وهو يَنظُر في الكتاب دون أن يَرفَعَ بَصَرَهُ إلى مُحَدِّثِه بأوجَزِ عبارة تؤدِّي الغَرَض»[(٣)].

وكان رحمه الله تعالى قد جعل وقتًا لاستقبال الاتِّصالات الهاتفية من الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة، فاتّصل عليه أحدُهم قبل الساعة التاسعة بدقيقة فقال له الشيخ: هذا الوقتُ لي، اتَّصل بعد دقيقة[(٤)].

و«كان يذهب إلى المكتبة الظاهرية ويبقى فيها اثنتي عشرة ساعةً لا يَفتُر عن المطالعة والتعليق والتحقيق إلّا أثناء فترات الصَّلاة، وكان يتناول طعامَهُ البسيط في المكتبة في كثير من الأحيان، حتى إنّ إدارة المكتبة وافقت على تخصيص غُرفة خاصَّة للشيخ ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، ووافقت على منحه مفتاحَ المكتبة، فكان يَدخُل قَبل الموظَّفين صباحًا في بعض السِّنين، وهم ينصرفون إلى بيوتهم ظُهْرًا ثمَّ لا يعودون، ولكن الشيخ يَبقَى في المكتبة ما شاء الله البَقَاءَ، فربما يُصَلِّي العِشاء ثمَّ ينصرف»[(٥)].

---

(١) «الإمام المجدِّد» (ص٤٨).
(٢) «الإمام المجدِّد» (ص٤٨).
(٣) «ترجمة موجَزة» (ص٧).
(٤) كتب إليَّ بذلك سامي خليفة.
(٥) «ترجمة موجَزة» (ص٦-٧).

ولمّا اشترى قطعة أرض رخيصة الثمن ـ وكان ذلك على قدر طاقته ـ ليبني عليها منزلًا، كانت تلك الأرض الرَّخيصة بعيدةً عن المكتبة الظاهرية التي كان يتردَّد عليها، وكان المشي إلى المكتبة على قدميه سيأخُذ منه وقتًا طويلًا، فضلًا عن التَّعَب، فكَّر ـ رحمه الله تعالى ـ في الأمر فقال: «اشتريتُ درَّاجةً لأركبها، وكان ـ لأوَّل مرَّة ـ الدِّمَشقيون يَرَوْنَ مثل هذا المشهد: أنّ شيخًا مُعَمَّمًا يركب درَّاجة! فلذلك تعجَّبوا من ذلك المشهَد، وكان هناك مجلة تسمى «المضحك المبكي» يُصدِرُها رجلٌ نصراني، فذكر هذا المشهَد ضمن النكت الظِّراف، وكنتُ لا أبالي بهذه الأمور الصغيرة، فكلّ الذي يهمُّني هو الوقت»[١].

واستدعى الشيخ أحَد النجَّارين إلى بيته وطلب منه تغيير اتِّجاه فتحة باب المكتبة من الجهة اليُمنى إلى الجهة اليُسرى! فتجاوب النجَّارُ من جهة واستغرب من جهةٍ أخرى!! فأجاب الشيخ على تعجُّبه واستفساره قائلًا: إذا كان البابُ يُفتح على الجهة اليُسرى فإنّ هذا يُطوِّل عليَّ الطريق إلى مكتبي عدّة خطوات! وأنا أنزل إلى المسجد خمس مرَّاتٍ في اليوم والليلة، زيادةً على خروج أو خروجين لبعض حاجات المنزل وشؤوني الخاصَّة.. فكم يضيعُ عليَّ من الوقت بالتراكم نتيجة هذه الخطوات الإضافية التي يُمكن تلافيها واختصارها؟! فإذا حوَّلت فتحة الباب إلى الجهة الأخرى استفدنا هذا الوقت المهدور على قيمته وكِبَر أهمِّيته[٢].

وقال بعض تلاميذه: «قلت لشيخنا: يا شيخَنا، بعضُ الإخوة يشكون أنك جعلتَ وقتًا مخصَّصًا لاستقبال المكالمات، وأنك أحيانًا تُغلِق الهاتف في وجه السَّائل. فقال شيخُنا: أمَّا عن الوقت فلولَا ذلك ما كَتَبْتُ سَوَادًا في بياض، وأمَّا عن إغلاق الهاتف فأنا لا أُغلِقُه مبتدئًا وإنما أقول له: ما في مجال، فيريد الأخ أن يُحَاوِرَني أو أسألُه عن شيءٍ فيَحِيدُ فأطلُب منه عَدَمَ الحَيْدَةِ فيأبى، فعند ذلك أُغلِق

(١) «صفحات بيضاء» (ص٢٩-٣٠).

(٢) كتب إليَّ بذلك الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد.

الهاتف آسِفًا لعدم إضاعةِ وقتي ووقتِ السَّائلين»[١].

وممَّا كتب إليَّ وحدّثني به الأخ سامي خليفة قال: «وضع الشيخ كشّافًا متّصلًا بالكهرباء موجَّهًا إلى موضع يده عند الكتابة ليستعمله مباشرةً حالَ انطفاء الكهرباء».

وممّا حدّثني به الشيخ خالد العبد المحسن: أنه دخل على الشيخ في مكتبته فرأى حبلًا ممدودًا وقد علّق عليه مجموعات من الأوراق المخطوطة، كلّ مجموعة مثبتة بجانب أختها، فسأل الشيخ عن سبب ذلك فأجابه بأنّ ذلك يختصر عليه الوقت في الحصول على المجموعة المقصودة في أسرع وقت.

وممّا كتب به إليَّ الأخ سامي خليفة أيضًا قال: «كان ـ الشيخ ـ يطلُب منِّي أن أُناولَه كتابًا فيه ترجمة مُعيَّنة، فإذا أحضرتُ الكتاب قمتُ بتقليب صفحاته قبل تسليمه له حتى أعثُر على مطلوبه، فعاتبني قائلًا: أنت مُعطّل عن عملك وأنا مُعطّل عن عملي؛ لأنّي أنتظرُك، فأعطني الكتاب لأبحث واذهب أنت لعملك».

وقال بعض تلاميذه أيضًا: «كنتُ أجلس مقابل الشيخ والطاولة بيني وبينه، وكان أمامي بعضٌ من الكتُب مرتَّبة على الطاولة... فكان شيخُنا إذا احتاج كتابًا منها يقول: ناولني الكتابَ الفلاني، فآخُذ الكتاب من أمامي وأعطيه إيَّاه بالعكس، فقال لي: إذا أعطيتَني إيَّاه بالعكس أحتاج إلى أن أحوِّل الكتاب، وهذا يأخُذ جزءًا مِنَ الوقت، فلماذا لا تُعْطِينِي إيَّاه جاهزًا للنظر فيه؟»[٢].

ولم تقف همَّتُه عند هذا فحسب، بل اسمع إلى قوله عندما تحدّث عن سجنه:

«قدّر عليَّ أن أُسجن في عام ١٣٨٩هـ الموافقة لسنة ١٩٦٩م مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس، فأُساق إلى سجن

(١) «محدِّث العصر» لعصام موسى هادي (ص٨٨).

(٢) «محدِّث العصر» (ص١٣٣).

القلعة وغيره من دمشق، ثم أُفرِج عنِّي بعد مدّة لأساق مرَّةً ثانيةً وأنفى إلى الجزيرة لأقضي في سجنها بضعة أشهر، أحتسبها في سبيل الله ﷻ.

وقد قدّر الله أن لا يكون معي فيه إلّا كتابي المحبَّب «صحيح مسلم» وقلم رصاص وممحاة، وهناك عكفتُ على تحقيق أمنيتي في اختصاره وتهذيبه، وفرغتُ من ذلك في نحو ثلاثة أشهر، كنتُ أعمل فيه ليلَ نهار، ودون كلل ولا ملَل، وبذلك انقلب ما أراده أعداء الأمَّة انتقامًا منَّا إلى نعمة لنا، يتفيَّأ ظلالها طلّاب العلم من المسلمين في كلِّ مكان، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات»[١].

ولمّا أُجبِر على الخروج من الأردن إلى سوريا وبعد استخارته واستشارته سافر إلى بيروت قال:

«... فوصلتُ بيروت في الثلث الأوَّل من الليل قاصدًا دار أخٍ لي قديم وصديق وفيّ حميم، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف، وأنزلني عنده ضيفًا مُعزَّزًا مكرَّمًا جزاه الله خيرًا.

فلمَّا استقرَّ في منزله قراري، وارتاح من وعثاء السفر بالي، كان من الطبيعي جدًّا أن أهتبل فرصة هذه الغربة الطارئة فأتوجَّه بكُلِّيتي إلى الدراسة والمطالعة في مكتبته العامرة الزاخرة بالكتب المطبوعة منها والمخطوطة النادرة، وفيها أكثر المصادر التي تلزمُني وكثير ممَّا ليس في مكتبتي في دمشق.

فرغبتُ منه أن يطلعني على فهرست المخطوطات والمصوَّرات التي في حوزته مسجَّلةً على البطاقات، فاستجاب لذلك بكلّ نفس طيِّبة وأريحية إسلامية منه معروفة، أحسن الله إليه وجزاه خيرًا»[٢].

وأمَّا قصة الورقة الضائعة وما بذله الشيخ من جهد ـ مع أنه مأمور بالراحة لمدة ستة أشهر ـ فأمرٌ عجب[٣].

---

(١) «حياة العلّامة الألباني رحمه الله تعالى بقلمه» (ص١٤).
(٢) «حياة العلّامة الألباني رحمه الله تعالى بقلمه» (ص١٨-١٩).
(٣) انظرها (ص٥٤-٥٦).

ولما استعار ـ لعدم قُدرته على الثمن ـ كتاب العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» قال رحمه الله تعالى:

«... وأخذتُ الكتاب وأنا أكادُ أطير فرحًا، وذهبتُ إلى الدُّكَّان فكنت أغتنم فرصة غياب والدي بعد الظهر فأخلو بكتابي، وخططتُ خطّة لنسخ «المغني» تخريج «الإحياء»، فبدأتُ أنسخ، واشتريتُ ورقًا واتّخذتُ لي مسطرةً، وهي عبارة عن مقوَّى كرتون يخيط بخطوط متوازية من الوجهين»[١].

وعندما كان يعمل في دُكّانه ـ إصلاح الساعات ـ قال رحمه الله تعالى:

«... تعرَّف عليَّ رجُل فلسطيني من المهاجرين إلى دمشق، فعرض عليَّ أن يضع ابنًا له ليتعلم المهنة... فهذا كان أيضًا يُعينني.. فتوفّر أيضًا بواسطته شيءٌ من الوقت، فبهذه الصورة كنتُ وفّرتُ وقتًا طويلًا لدراسة العلم ودراسة المكتبة الظاهرية»[٢].

ومن عجيب حرصه على وقته في اشتداد مرضه ما قالته ابنتُه أمّ عبدالله أثابها الله تعالى: «.. ثم زاده المرض وهنًا ـ جعله الله طهورًا ـ فانقطع فترةً رغم أنه ما فتئ يحاول الاستفادة من أيِّ سانحة يجد فيها بعض النشاط، حتى ولو كانت خمس دقائق، لا بل حتى لو كانت جملة أو كلمة كان قد وقف عندها، فيجلس ليُتمَّها متحاملًا على ضعفه وأوجاعه...»[٣].

وممّا كتب إليَّ الشيخ محمد زياد التكلة ـ أثابه الله تعالى ـ قال:

«حدّثنا الشيخ محمد عيد العباسي غير مرَّة قال: كنّا طلبنا من شيخنا درسًا، فقال لنا: ما عندي وقتٌ مطلقًا، إلّا إذا رغبتم أن تأتوا إلى الدكّان وألقي عليكم وأنا أصلح الساعات. فكنّا نزوره ويُلقي علينا الدرس ويجيب عن أسئلتنا وهو يقوم بعمله».

(١) «الإمام الألباني حياته ـ دعوته ـ جهوده في خدمة السنّة» (ص١٢).
(٢) «الإمام الألباني» (ص٢٢).
(٣) مقدمة «السلسة الضعيفة» (٦/ ٣).

الترتيب في حياة الشيخ

أحدُهما في وقت قليل ينجز كثيرًا.. وآخَر في وقت كثير ينجز قليلًا.. والسرّ في ذلك شيءٌ رآه الأوَّل فوطئه بقدميه ومرَّ عليه، ورآه الثاني فوطّأه بقدميه ونام عليه... ذلك الشيء اسمه: الفوضوية.

وتأجيل الأعمال عن مواقيتها يولِّد تراكمها، وتراكمها يورِّث تداخلها، والتأجيل والتراكم والتداخل تحجب بركة الوقت؛ تارةً حجب نقصان، وتارةً حجب حرمان.

والناظر في حياة بعض الناس يرى أن الفوضوية قد ضربت أطنابها في كثير من أمورهم؛ ممَّا أهدر عليهم كثيرًا من أوقاتهم، فضلًا عن تراكم الأشغال وانشغال البال.

ولمّا كان أهل العلم أعلم الناس بقيمة الوقت كانوا أولى من غيرهم بالعناية بأوقاتهم وأشغالهم.

ومن خلال قراءتي وسماعي عن الشيخ الألباني : ظهر لي عنايته بالترتيب في جميع أموره، وذلك ـ بعد توفيق الله تعالى ـ ممّا حفظ له كثيرًا من الأوقات التي تضيع على غيره.

والترتيب في حياة الشيخ ليس مقصورًا على أمر دون آخَر، بل هو في جميع أموره كما أسلفتُ آنفًا.

وممّا يحسُن ذِكرُه هنا قوله رحمه الله تعالى:

«دقّتي هذه استفدتُها من مهنة الساعات»[(١)].

---

(١) «محدّث العصر» لعصام هادي (ص٩٧).

وسأذكر أمثلةً توضِّح عنايته بالترتيب:

١ - اتِّخاذه «دوارًا» أمام مكتبه يضع فيه الكتُب المهمَّة التي يكثُر تناوُلها، مثل «تهذيب الكمال»، و«تهذيب التهذيب»، و«التاريخ الكبير»، و«الجرح والتعديل»... وغير ذلك من كتُب التراجم؛ ليسهُل عليه تناوُل الكتب دون القيام من مجلسه، وسأله عنه تلميذه عصام هادي فقال الشيخ : : «للإنصاف هذا ليس من ابتكاري، فقد رأيتُه عند الشيخ أحمد شاكر، لكن بحجم أصغر، وأنا كبَّرتُه»[(١)].

٢ - سأله عصام هادي قال: «يا شيخنا، بعض الإخوة يَشْكون أنك جعلتَ وقتًا مُخصَّصًا لاستقبال المكالمات، وأحيانًا تُغلِق الهاتف في وجه السائل.

فقال الشيخ : : «أمّا عن الوقت فلولا ذلك ما كتبتُ سوادًا في بياض. وأمّا عن إغلاق الهاتف فأنا لا أغلِقُه مبتدئًا، وإنما أقول للسائل: ما في مجال، فيُريد أن الأخ أن يحاورَني، أو أسألُه عن شيء فيَحِيد، فأطلبُ منه عدمَ الحَيدة فيأبى، فعند ذلك أُغلق الهاتف آسفًا لعدم إضاعة وقتي ووقت السائلين»[(٢)].

٣ - وكان رحمه الله تعالى قد جعل وقتًا لاستقبال الاتِّصالات الهاتفية من الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة، فاتّصل عليه أحدُهم قبل الساعة التاسعة بدقيقة فقال له الشيخ: هذا الوقتُ لي، اتَّصل بعد دقيقة[(٣)].

٤ - كانت مكتبة الشيخ : غايةً في الترتيب؛ فكلّ كتاب له رقم، والرَّف الذي عليه له رقم، والخزانة التي هو فيها لها رقم، وكانت جميعُ الكتُب فيها والتي تردُ إليها مفهرَسة على كرَّاس، فكان الشيخ ـ أو أيّ أحَد أراد كتابًا ـ يستدلّ عليه بسُرعة، ومن غير إضاعة للوقت في البحث عنه، حتى المخطوطات لها أيضًا فهرسٌ.

---

(١) «محدّث العصر» لعصام هادي (ص١٩).
(٢) «محدث العصر» (ص٨٨).
(٣) كتب إليَّ بذلك سامي خليفة.

وكان الشيخ : يغضب إذا ما وضع أحَدٌ كتابًا في غير محلِّه، وكان يقول للإخوة: مَن لم يعرف مكان الكتاب فليضعه على الطاولة[(١)].

٥- عند تدريسه لبعض الكتب اتخذ لنفسه منهجًا للتدريس، فمثلًا عند تدريسه كتاب «زاد المعاد» لابن القيِّم كان أولًا يقرأ على الطلبة المقطع من كتاب «الزاد» ثم يُعلِّق عليه بما عنده من علمٍ سابق أو من تعليقات يستحضرها قبل أن يحضر للدرس، وكان درسُه ما بين ثلاثة أرباع الساعة والساعة الكاملة، ثمَّ بعد ذلك نصف ساعة للإجابة على الأسئلة[(٢)].

٦- وممَّا كتب إليَّ وحدّثني به الأخ سامي خليفة قال: «وضع الشيخ كشّافًا متّصلًا بالكهرباء موجَّهًا إلى موضع يده عند الكتابة ليستعمله مباشرةً حالَ انطفاء الكهرباء».

(١) ذكر ذلك عصام هادي في «محدث العصر» (ص١٣٤).
(٢) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٨).

دعابته ومزاحه

لأهل العلم الرَّاسخين دُعابةٌ لا تَجْرَح هَيبَتهم، ومزاحٌ لا يَخدِش وَقارَهم، وطرائف لا تدخل دائرة المحظور الشرعيّ، وهذا من فقههم للنصوص واقتدائهم بنبيِّهم ﷺ.

والإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كان ذا دُعابة ومزاح، وما ألطف مزاح العالِم ودُعابته، وأسوق إليك خبرين أوَّلهما هذا الخبر الطريف بين الإمامين الكبيرين الألباني وابن باز رحمهما الله تعالى:

- كان أحَد طلبة العلم مَرَّةً راكبًا مع الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني : ، وكان الشيخ ناصر يُسرِعُ في قيادته للسيَّارة، فقال ذاك الطالب: يا شيخ، هذه سُرعة ولا تجوز، والشيخ ابن باز أخبر أنّ ذلك من إلقاء النفس إلى التهلُكة ـ أو كلامًا قريبًا من هذا ـ، فضحك الشيخ الألباني وقال: هذه فُتيَا مَن لم يُجرِّب فنّ القيادة! فقال الطالب: يا شيخ، سأنقُل هذا الكلام إلى الشيخ عبدالعزيز. فقال الشيخ الألباني: انقُله. قال الطالب: فقابلتُ الشيخ عبدالعزيز : في مكّة وأخبرتُه بكلامي مع الشيخ الألباني وأخبرتُه بكلام الشيخ لي، فضحك وقال: هذه فتوى مَن لم يُجرِّب دفع الدِّية!
- وأذكر في حجّ عام ١٣٩٨هـ أنّني دخلتُ مع بعض الإخوة على الإمام الألباني في خيمته في منى، وناقشه أحدُهم في حُكم التلفاز، فكان مضمون كلام الشيخ: لو أنّ القائمين على التلفاز لا يُخرِجون فيه إلّا الجائز شرعًا فلا أرى بأسًا بجواز إدخاله في البيوت. فقال له الذي يُناقشه ـ وهو في نوع انفعال

بعدما أغلق عليه الإمام جميع الأبواب ـ: لكن يا شيخ، التلفاز صنعة كفّار! فتبسَّم الإمام وقال ـ بلهجته الشاميَّة ـ: «شو! لو صنع المسلمون تلفزيون بتشوفه؟». فسكت ذلك الرَّجُل سكوتًا مُطبقًا ثمَّ ضحك الشيخ وضحك الحاضرون، وشكر الشيخ ذلك الرجل على حرصه.

مواقف في حياة الشيخ :

لا تخلو حياة الإنسان من مواقف متنوِّعة، فيها مفارقات وموافقات تجمع بين الطرافة واللطافة والتعجب وغير ذلك، وحياة العلماء فيها كثير من هذا القبيل ممّا يحكونه أو يحكى لهم أو يحكى عنهم ذلك؛ لأنّ جميع طبقات الناس يقصدونهم ويتبعون أخبارهم، ومن أولئك الأئمة الإمام الألباني رحمه الله تعالى.

- قال رحمه الله تعالى: «... يُذكِّرني هذا بقصة طريفة في بعض المدارس في دمشق، فقد كان أحَد الأساتذة المشهورين من النصارى يتكلم عن حركة محمد بن عبدالوهَّاب في الجزيرة العربية ومُحاربتها للشِّرك والبدع والخرافات، ويظهر أنه أطرى في ذلك، فقال بعض تلامذته: يظهر أنّ الأستاذ وهَّابي!!»[(١)].
- وقال أيضًا: «صلّيتُ مرَّةً بالناس إمامًا في صُبح الجمعة في إحدى قُرى الزبداني، فقرأتُ بعد الفاتحة ما تيسَّر من أوَّل «الكهف»؛ لأنِّي لا أتقن حفظ «السجدة»، فلمَّا كبَّرتُ للرُّكوع هوَى المصلّون كلّهم إلى السجود! توهُّمًا منهم أنني كبَّرتُ لسجدة التِّلاوة! لكن الذين كانوا من خلفي مباشرةً انتبهوا إلى أنني في الرُّكوع، فنهضوا وشاركوني فيه، وأمَّا الذين كانوا خلف المنبر لا يرونَني فقد استمرُّوا ساجدين حتّى سمعوا قولي: سمع اللهُ لمن حمِدَه، فقطعوا الصلاة وأحدَثوا ضجَّة! وبعد أن سلّمتُ من صلاتي وَعظتُهم وذكّرتُهم بما يجب عليهم من الخشوع في الصلاة والانتباه لما يُتلَى عليهم من آيات الله، وأن لا يذهب فكرُهم فيها إلى الزرع والضرع!»[(٢)].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث رقم (١٧).

(٢) «حياة العلّامة الألباني رحمه الله تعالى بقلمه» تأليف: عصام موسى هادي (ص٤٥-٤٦).

- وقال أيضًا: «اشتريتُ درَّاجةً لأركبها، وكان ـ لأوَّل مرَّة ـ الدِّمشقيُّون يَرَون مثل هذا المشهد: أنّ شيخًا مُعمَّمًا يركب درَّاجة! فلذلك تعجَّبوا من ذلك المشهَد، وكان هناك مجلةٌ تُسمَّى «المُضحِك المُبكي»[(١)] يُصدِرُها رجُلٌ نصراني، فذكر هذا المشهد ضمن النُّكَت الظِّراف، وكنتُ لا أُبالي بهذه الأمور الصغيرة، فكلّ الذي يهمُّني هو الوقت»[(٢)].
- كان في منزله في عمّان شجرة تين، وكان يأخذ ثمر التين منها وهو جالسٌ في شُرفة المنزل، وذلك عن طريق عصا طويلة من ابتكاره؛ وذلك أنه جعل العصا مقسّمة متداخلة بحيث يتحكّم في طولها وقصرها حسب اختياره، ووضع في نهايتها كأسًا مدبَّبةً حادّةً، بحيث يسقط فيها التين إذا مسَّه برأس تلك العصا.
- كان في منزله طيورٌ وكان مكان الطيور يبعُد عن شرفته قُرابة عشرين مترًا، وقد وضع ماسورةً ـ أنبوب نقل السوائل ـ طرفها عند شرفته ونهايتها في مكان الطيور، فكان يضع الحبّ في رأس الماسورة فينزل إلى الطيور، وإذا أكل شيئًا من الحبّ أو اللوز وما شاكله جعل ما بقي من فضلاته في رأس الماسورة لينزل إلى الطيور.
- كان مرَّةً يقود سيارتَه فسقطت السيارة في مكان منخفض، فقال بعض الناس الذين شاهدوا الحادث: يا ساتر! فأجابه الشيخ من داخل السيَّارة: «قل يا ستِّير!»[(٣)].
- قال ابنه: «وكان مرَّةً يتكلم وهو نائم، فاقتربتُ منه لأسمع كلامه فتحَ عينَه فجأةً وقال: تتجسَّس عليَّ؟ وضحك»[(٤)].

---

(١) مجلة هزلية تصدر في دمشق لصحفي اسمه حبيب كحالة، ينشر في كلّ عدد منها صورة تبقى تلك الصورة الأسبوع كلّه حديثَ البلد. باختصار وتصرُّف من «ذكريات الطنطاوي» (١/١٥١-١٥٢).

(٢) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني» (ص٣٠).

(٣) هذا الخبر والخبران اللذان قبله حدّثني بها وكتبها لي الأخ سامي خليفة، وقد قمتُ بصياغتها.

(٤) المرجع السابق.

- وذكر الشيخ : هذه القصة التي حصلت له قديمًا لما كان في دمشق: «منذ بعض سنين جاءني أحدُ الخطباء في بعض مساجد دمشق ومن الوُعَّاظ المتجوِّلين، فذكر لي أنه ألّف كتابًا أورد فيه أحاديث انتقاها من كتُب السنّة، وأنه طلب من بعض الأغنياء المحسنين أن يُساعده على طبع الكتاب. قال: فقال له ذلك المحسِن: إذا كان الأستاذ ناصر الدِّين الألباني يوافق على طبعه فأنا أساعدُك على ذلك، ثمَّ طلب موافقتي فأبيتُ حتّى أطّلع على الكتاب، فأرسله إليَّ، فلمّا تصفّحتُه وجدتُ فيه أشياء عجيبة مستنكرة، من ذلك أنه عزى قول عيسى عليه السلام الذي رواه مالك بلاغًا إلى «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة مرفوعًا إلى النبيِّ ﷺ قال: قال عيسى..!

فلما رأيتُ هذا عجبتُ منه أشدّ العجب؛ لتيقّني بأنّ مثل هذا الحديث لا أصل له في «صحيح مسلم» ولا في غيره من الكتُب الستّة، اللهمَّ إلّا الجملة الأولى منه فهي عند الترمذي من حديث ابن عُمر بسند ضعيف كما بيَّنتُه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (٩٢٤) أو ما بعده.

فاتّصلتُ به هاتفيًّا وذكرتُ له رأيي في الكتاب، وما فيه من مآخذ وأخطاء، أشدّها هذا العزو، ثمَّ قلتُ له: فمن أين لك هذا؟ فسكت بُرهةً ثمَّ قال: اصبر قليلًا حتى آتي بالكتاب، ثمَّ هتف إليَّ قائلًا ـ ويا لهول ما قال ـ: إنّ الإمام مالكًا هو الذي عزى الحديث لمسلم في كتاب البرّ والصلة.. الخ!! فقلت: ما هذا أيها الشيخ! ألَا تعلم أنّ بين مسلم ومالك مفاوز وأنّ مسلمًا متأخِّر عن مالك؟! فإنّ من شيوخ مسلم الإمام أحمد، ومن شيوخ هذا الإمام الشافعي، ومن شيوخ الشافعي مالك، فكيف يعزو مالكٌ الحديثَ إلى مسلم وهو قد مات قبله بسنين؟!

ثمَّ سكت متحيِّرًا وتكلّم بكلمات فهمتُ منها أنّ مالكًا قال ذلك في كتابه «الموطأ»! فقلت: هذا مستحيل، وسأدرس الموضوع وأبيِّن لك الحقيقة إن شاء الله تعالى.

فعُدت إلى المكتبة الظاهرية وراجعتُ «الموطأ» بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، فكان ذلك هو السبب لاكتشاف تلك الخطيئة الفاحشة التي أنبتت أفحش منها، بسبب جهل الناس بالحديث وقلّة عنايتهم به، حتى في المدارس الشرعية والكلِّيات»[١].

- وفي قصة أخرى قال : : «لقد جوعت نفسي في أواخر سنة ١٣٧٩ أربعين يومًا متتابعًا، لم أذق في أثنائها طعامًا قطّ، و لم يدخل جوفي إلّا الماء! وذلك طلبًا للشفاء من بعض الأدواء، فعوفيتُ من بعضها دون بعض، وكنتُ قبل ذلك تداويت عند بعض الأطباء نحو عشر سنوات دون فائدة ظاهرة، وقد خرجت من التجويع المذكور بفائدتين ملموستين:

الأولى: استطاعة الإنسان تحمّل الجوع تلك المدّة الطويلة، خلافًا لظنّ الكثيرين من الناس.

والأخرى: أنّ الجوع يفيد في شفاء الأمراض الامتلائية، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى، وقد يُفيد في غيرها أيضًا كما جرَّب كثيرون، ولكنه لا يفيد في جميع الأمراض على اختلاف الأجسام، خلافًا لما يُستفاد من كتاب «التطبيب بالصوم» لأحَد الكُتّاب الأوربيين، و فوق كل ذي علم عليم»[٢].

- وذكر الشيخ علي بن حسن هذا الموقف لمّا سافر مع الشيخ في آخر عُمرة اعتمرها، فقال ـ فيما كتبه إليَّ ـ:

«... وقد كنّا مسافرين في سيَّارتين: الأولى: سيارة شيخنا وزوجته وولده، والثانية: أنا مع بعض إخواننا.

فلمّا وَصلنا ـ يوم الخميس ـ مدينةَ «مَعَان»، وهي آخر المدُن الأردنية قبل

---

(١) «نقد نصوص حديثية» (ص٣٨) نقلًا عن «حياة العلّامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص٣٨-٤٠).
(٢) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٤١٩).

وصولنا إلى الحدود السعودية من جهة «حالة عمّار ـ تبوك»، وبعد خروجه منها بما لا يزيد عن عشرين كيلومترًا، فإذا بشيخنا ـ وهو سائقُ السيَّارة الأولى سيّارته ـ يقفُ فجأةً على يمين الشارع، فوقَفنا خلفَه ونزلنا مُسرعين نستخبرُ الأمرَ مستغربين! فقال : : لقد نسيتُ جواز سفَري في عمَّان! وأريد أن أرجع لإحضاره!

فحاولنا معه جاهدين أن نرجعَ نحنُ أو بعضُنا وأن يبقى هو هناك حتى نرجعَ، فأبى إباءً شديدًا وأصرَّ أن يرجع هو!

وهكذا كان؛ فرجع هو إلى عمَّان لإحضار جواز سفره، وأكملنا نحن مسيرَنا إلى الدِّيار السعودية، وبِتنا يوم الخميس ليلة الجمعة في أحَد فنادق تبوك مُنتظرين وصولَ شيخنا ليلًا، فلم يصل.

فنِمْنا مُخَمِّنين أنه تأخّر لسبب مَّا، وقد يصل نصفَ الليل أو بعده، فنتيقّن من ذلك فجرًا، ولم يكن يومئذٍ هواتف متنقِّلة.

ففوجئنا فجرًا أنّ الشيخ لم يصل! فاتّصلنا بمنزله فلم يُردّ، وكرَّرنا وحاولنا ولا جدوى!

فاتّصلنا بجاره الوفيّ وصاحبنا العزيز الأخ الفاضل: أبي عبدالله عزّت خضر ـ حفظه الله وأسرتَه وأولادَه ـ، ففوجئ بمُجرياتِ ما أخبرناه به، وكان ذلك صبيحةَ يوم الجمعة، وأخبرنا أنه سيذهب إلى بيت الشيخ ليطمئنّ ويُعلِمَنا الخبرَ.

لم نصبر طويلًا.. وعاودنا الاتّصال ببيت الشيخ؛ فإذا به : يُجاوبُنا، فاستعلمنا ـ مُستغربين ـ عمَّا جرى، وقد وَعَدنا أمس أن يعود في اليوم نفسه، فقال: أرادَ اللهُ أن يَعْجُمَ[1] عودَ الألباني! قد عُدتُ فِعلًا!!

---

(١) في «لسان العرب»: «عَجَم الشيءَ يَعْجُمُه عَجْمًا وعُجومًا: عَضّه ليَعْلَم صلابَتَه مِن خَوَرِه».
وفي «الصِّحاح»: «عجمت عودَه أي: بَلَوت أمرَه وخبرت حاله». =

فزادنا تعجُّبًا واستغرابًا، فقال: عُدتُ، وفي المركز الحُدودي اكتشف الشرطيُّ المسؤول هناك أنّ جواز سفري قد انتهت مُدّتُه ولا بُدّ من تجديده!

فاسترجعنا وحوقلنا، فقال شيخُنا مُهوِّنًا علينا: وغدًا السبت ـ بإذن الله ـ سأُجَدِّد جواز السفر وأُجدِّد المسير إلى العمرة إن شاء الله.

فقلنا له: ننتظرُك في تبوك، قال: لا، بل اسبقوني أنتم إلى المدينة النبوية..

ففعلنا مُكرَهين، وفي مساء اليوم التالي ـ أو الذي يليه ـ وصلَ شيخُنا إلى المدينة النبوية[1].

= وفي خطبة للحَجّاج الثقفي قال: إنّ أميرَ المؤمنينَ نَكَبَ كِنَانَتَه فعَجَم عِيدانَها عُودًا عُودًا فوجَدَني أَمَرَّها عُودًا وأصلبَها مَكسِرًا فوجَّهني إليكم. أي: أنه قد عضّها بأَضْراسِه ليَخْبُرَ صَلابتَها، يعني: أنه جرَّب الرِّجال فاختارني منهم.

وانظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٣٢٧).

(١) رسالة أرسلها إليَّ الشيخ علي بالفاكس، وقد اختصرتُ بعض ألفاظها.

التثبت في قبول الأخبار

قبول الأخبار على عواهنها وعدم التروِّي والتثبُّت من صحَّتها، ومن ثمَّ بناء الأحكام والتصوُّرات عليها.. مخالفٌ ـ بل مصادم ـ لقوله تعالى: ﴿ / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾[(١)].

وهذه الآية الكريمة جامعة مانعة في بيان أصول التثبُّت وما يترتّب من الفساد عند عدمه.

وأولى الناس بهذا المنهج طلبة العلم، ناهيك عن أئمة العلم.

وإليك هذا الكلام من الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في شأن كتاب مصنّف في الردّ عليه، ومع ذلك لم يقطع الشيخ بحقيقة مؤلِّف الكتاب، بل توقّف في نشر ردِّه عليه حتى يتّضح الأمر، زد على هذا اعترافه بأنّ صاحب الكتاب قد أصاب في بعض ما كتبه في الردّ عليه.

قال رحمه الله تعالى:

«وبهذه المناسبة أقول: لقد اطّلعتُ منذ ثلاث سنين على الجزء الأول من كتاب بعنوان: «الألباني شذوذه وأخطاؤه»، بقلم: أرشد السلفي، طبع المطبعة العلمية ـ ماليكاؤن (ناسك) الهند، ثم على الجزء الثاني منه؛ فتصفّحتها فتبيَّن لي أنّ مؤلِّفه من متعصِّبة الحنفية، وله اطِّلاعٌ لا بأس به على كتُب الحديث ورجاله، ولم نعرف شخصه، بل غلب على الظنّ أنّ هذا الاسم مُزَوَّرٌ لا حقيقة له! ولذلك دارت الظنون

(١) الحجرات: ٦.

حول بعض المشهورين بعدائهم الشديد للسنّة وأهلها، **ولكن لمّا كان لا يجوز الحكم بالظنّ أمسكنا عن الجزم بهويته،** ثم بدأتِ الأخبار تتوارد من هنا وهناك أنه هو الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي المذكور!

فإذا ثبت هذا؛ فإنه يؤسفُني أن يحشر نفسه في زُمرة أعداء السنّة، في الوقت الذي يتظاهر بخدمتها وتحقيق كتُبها، ولا يُظهر لي شخصيًّا إلّا كل وُدّ واحترام حينما كنّا نلتقي به في المكتب الإسلامي في بيروت، وكان يومئذٍ على تصحيح تجارب كتاب «مصنّف عبدالرزّاق»!!

وإلى أن نتيقّن أنه هو؛ فإنه لا بُدّ لي من أن أشير إلى أنّ الردّ المذكور محشوّ بالبهت والافتراء عليَّ، وبالجهل بعلم الحديث ومصطلحه، والطعن في أهله، كالإمام أحمد وابن تيمية وغيرهما، مع التعصُّب الشديد للمذهب الحنفي.

وهذا ـ بالطبع ـ لا يعني أنه لم يُصب في شيء مطلقًا ممَّا انتقدني فيه! فما منّا من أحَد إلّا رَدَّ ورُدَّ عليه إلّا النبيّ ﷺ، كما قال الإمام مالك : .

ولديَّ الآن مُسَوَّدَةُ الردّ على الجزأين المذكورين؛ فإذا انكشف الغطاء وتيقنَّا أنهما للشيخ الأعظمي استخرنا الله في تبييضهما، عسى الله أن يُيسِّر لنا نشرهما»[(١)].

ومما قد يدخل في هذا المبحث: أنه لما ذكر كتاب «منهاج الصالحين» لعزّ الدين بليق، قال ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصّه:

«... فقد درست كتابه دراسةً دقيقةً لمناسبة عرضت، وتتبَّعتُ أحاديثه حديثًا حديثًا، فهالني كثرة ما فيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حتى جاوز مجموعها الأربعمائة حديث...»[(٢)].

وقال بعض تلاميذه: «... وبينما كان شيخُنا يقرأ الكتاب أتى على ردٍّ لي على

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١٠/القسم الثاني/٧٧١-٧٧٢).
(٢) من مقدمة «السلسلة الصحيحة» (٤/و).

إسماعيل الأنصاري والسقّاف، حيث نقل السقّاف عن إسماعيل الأنصاري توهيم شيخنا في عزوه لحديث، فرددتُ عليهما مبيِّنًا صواب شيخنا وخطأَهما، فقال لي شيخنا: هل وقفتَ على كلام الأنصاري من كتابه؟ فقلتُ: لا؛ لأني بحثتُ عن الكتاب ولم أجدهُ واكتفيتُ بنقل السقاف. فقال شيخنا: لا يصلُح هذا؛ إمَّا أن تقف على كلام الأنصاري بنفسك وتتأكّد من كلامه، وإمَّا أن تحذف ذِكر الأنصاري وتقتصر في ردِّك على السقّاف»[1].

ومن لطيف التوثق في الخبر قوله ـ الألباني ـ رحمه الله تعالى في كتابه «صحيح أبي داود» (الأمّ):

«ولمّا منّ الله تعالى عليَّ في العام الماضي (١٣٦٨) بالحجّ إلى المسجد الحرام، ثمَّ بزيارة مسجد نبيِّه عليه الصلاة والسلام، ذهبتُ يوم الأربعاء ٢٥ محرَّم ١٣٦٩ إلى بئر بُضاعة للاطِّلاع، فوجدتُه لا يزال في البستان شمالَ المسجد النبويّ، وقد وضع عليه مضخّة آلية لغزارة الماء فيه، فإنّ ارتفاعه إلى سطح الماء يبلغ نحو (١٣) ذراعًا، ومن سطحه إلى فوهته نحو (١٧) ذراعًا، وقد تمكنّا من معرفة ذلك بواسطة حبل جاء به إلينا القيِّم على البستان، فربطنا بطرفه حجرًا ثمَّ أدليناه حتى القعر؛ فكانت النتيجة ما ذُكِر. وأمَّا قُطر فَوْهَتِه فستّة أذرُع كما ذكر المؤلِّف : ، فالظاهر أنّ الماء زاد كثيرًا على ما كان عليه في عهده، والله أعلم»[2].

(١) «محدِّث العصر» عصام هادي (ص٢٠).

(٢) «محدِّث العصر» عصام هادي (ص٨٩).

فراسته

ذكر الشيخ : أنه كان يومًا في دُكانه ـ دكان تصليح الساعات ـ وكان يجلس عنده بعض الإخوة ممَّن هم حديثو عهد بالسلفية، فدخل أستاذ صديق للشيخ يعمل مدرِّسًا في بعض قرى حمص ومعه بدوي فقال الأستاذ: يا شيخ، هذا من قريتنا ومعه ساعة يريد أن يصلحها.

قال الشيخ: فلمَّا أخذتُ الساعة ونظرت فيها وإذا بها ساعةٌ ثمينة، فقلت للبدوي: لعلك اشتريتها من حمص، فقال: نعم. قلت: حسنًا، سوف أصلحها.

ثمَّ دخل بعض إخواننا فقال: يا شيخ، أشكل عليَّ عود الضمير على من في آية. فقلت له على الفور: لعله أشكل عليك: ﴿ a b c d e f g h ﴾[1]. فقال: نعم. فأجبتُ الأخ...

ثمَّ التفتُّ إلى جليسي ـ وقد بدا عليه العجب ـ فقلت له: أمَّا الأول فأنا أعرف أنّ الأستاذ يُدرِّس في قرية من قرى حمص، ولمّا قال بأنّ البدوي من قريته والساعة ثمينة لا يمكن أن تُباع في القرى بل في المدُن، وأقرب مدينة عليه هي حمص؛ لذا قلت له: لعلك اشتريتها من حمص.

وأمَّا الآخَر فهو طالب علم وقويّ، فعرفتُ أنه لا يُشكل عليه أيُّ آية، وهذه الآية اختلف المفسِّرون في عود الضمير فيها على «من»؛ لذا قلت له: لعله أشكل عليك الآية الفلانية[2].

---

(1) الأعراف: 190.

(2) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص129).

«ما يتنبَّأ به الإنسان بفراسته وملاحظته الدقيقة التي لا يتنبَّه لها غيره، وقد وقع لي شخصيًّا من هذا النوع حوادث كثيرة لولا أنني كنت أبادر إلى الكشف عن أسبابها الطبيعية لظنَّها الناس كشفًا صوفيًّا! فمن ذلك:

أنني كنتُ يومًا في حلقة الدرس أنتظر أن يكتمل الجمع، إذ قلت لمن عن يميني ـ وهو حيٌّ يُرزَق ـ: بعد قليل يدخل فلان ـ لشابّ سمَّيتُه ـ. فلم يمض سوى لحظات حتى دخل! فنظر إليَّ جليسي دهشًا كأنه يقول: أكشف؟ فقلت: لا بل هي الفراسة، ثمَّ شرحتُ له سرَّ المسألة؛ وذلك أنّ الشاب المشار إليه أعرف أنّ له درَّاجة عادية يأتي عليها إلى الدرس، وأعرف أيضًا أنّ الراكب لها إذا أراد النزول عنها أوقف تحريك رجليه إذا اقترب من المكان الذي يريد النزول عنده، وأنه عند ذاك يُسمع منها صوت بعض مسنناتها، وكانت درَّاجة الشاب من النوع المعروف بـ«السباقية»، والصوت الذي يُسمع منها عند النزول أنعم من الأخريات، وكان هو الوحيد الذي يركبها من بين الذين يحضرون الدرس عادةً، فلمَّا أراد النزول وأوقف رجليه طرق سمعي ذلك الصوت فعرفتُ أنه هو، وأخبرت جليسي به، فكان كذلك!»(١).

(١) «التنكيل» (١/ ٢٣٩) حاشية.

إنزال الناس منازلهم

ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أمرنا رسولُ الله ﷺ أن ننزل الناسَ منازلهم**»[(١)].

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: «مبحث في تعظيم من كان رأسًا في طائفته وكبيرًا عند أهل نحلته». ثم ساق الحديث السابق، وساق بإسناده قولَه ﷺ: «**إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرِموه**».

وذكر أيضًا أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرِم وجوهَ الناس»[(٢)].

وفي إنزال الناس منازلَهم اعترافٌ بفضلهم، وإظهار لمنزلتهم، وكسبٌ لقلوبهم واختصار لجهود كثيرة، وقبل هذا كلِّه اقتداء بهدي النبيِّ ﷺ، فقد كان ﷺ يُنزِل الناسَ منازلهم، وهذا من السياسة الشرعية التي تعود على الدَّاعي والمدعوّ بالمصلحة.

وشواهد ذلك كثيرة؛ ومن ذلك:

كتاب النبيِّ ﷺ إلى هِرَقْلَ، وفيه: «**من محمَّد بنِ عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الرُّوم...**».

---

(١) ذكره مسلمٌ في مقدمة «صحيحه» بلا إسناد تعليقًا (١/ ١٦). وأخرجه بلفظ: «**أنزلوا...**» أبو داود في كتاب الأدب، باب (٢٣) رقم (٤٨٤٢) (٥/ ١١٢).
وقد ورد من غير حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر تفصيل ذلك في كتاب «المقاصد الحسنة» للسخاوي الحديث رقم (١٧٩)، وقد قال في آخر كلامه: «وبالجملة؛ فحديث عائشة حسن».

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٧٣).

ذكر الحافظ ابنُ حجر عن قوله: «**عظيم الرُّوم**» أنّ النبيَّ ﷺ لم يُخْلِه من إكرام لمصلحة التألُّف[١].

والشيخ الألباني : قد سار على هذا المنهج في خطاباته وكتاباته عند ذكره للعلماء وغيرهم ممّن له منزلة في مجتمعاتهم خصوصًا أو عند الناس عمومًا، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- كان الألباني يُلقِّب ابنَ حجَر بـ«أمير المؤمنين في الحديث»، وقال عنه: لم تلد النساء مثله[٢].
- «... فهذا مثلًا الشيخ الفاضل العلّامة المحقِّق السيِّد جمال الدِّين القاسمي ألّف كتابه القيِّم «إصلاح المساجد من البدع والعوائد»، وقد انتفعتُ به كثيرًا...»[٣].
- «... الأستاذ الفاضل مصطفى الزرقا..»[٤].
- «فضيلةَ الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز؛ الرَّئيس العامّ لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ وفّقه الله لما يُحبّه ويرضاه ـ... فقد تلقّيتُ من فضيلتكم صورةً عن كتابكم الكريم... وذيَّلتُم كتابتكم بإبداء رغبتكم في اطلاعي على ذلك والإفادة بما لديَّ في الموضوع... شكر الله لكم حُسنَ ظنِّكم بأخيكم، وجزاكم عن السنّة خيرَ الجزاء. فنزولًا عند رغبتكم اطّلعتُ على المقال المذكور بترجمته وأمعنتُ النظر فيه، فتبيَّن لي أنه باطلٌ ـ كما قُلتُم ـ برُمَّته..»[٥].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٠).
(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص١١٧).
(٣) «الأجوبة النافعة» (ص١١٣).
(٤) «السلسلة الضعيفة» (٩/حديث ٤٤١٤).
(٥) «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد» (ص٩).

- «... تأليف العلّامة المحقِّق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى بن علي اليماني رحمه الله تعالى...»(١).
- «صاحبَ السموّ الملكي الأمير سُلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوُزراء، وزير الدِّفاع والطيران والمفتِّش العامّ، أصحاب السموّ الأمراء، أصحاب الفضيلة والمعالي والسَّعادة...»(٢).
- «... برعاية خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز، وأن يُطيل في عُمره في طاعةٍ وسداد أمرٍ وتوفيق موصول، وإنّي لأشكُر لمؤسسة الملك فيصل الخيرية على ما تبذله من خيرٍ وجهدٍ وتكريمٍ للعلم والعلماء، وهي بذلك إنما تؤدِّي شيئًا من حقِّ الملك فيصل : عليها، وهو شيءٌ من معنى قوله سبحانه: ﴿ ! " # $ % & ﴾»(٣).
- «العلّامة الزركلي هو أعلم من عرفنا في العصر الحاضر بتراجم الأعلام قديمًا وحديثًا»(٤).
- ولمّا سُئل عن سبب قوله: «قال المعلق على الإحسان» وعدم تسمية المعلِّق، فقال: «أنا أُجِلّ شُعيبًا أن يقع بمثل هذا الخطأ، ويغلب على ظنِّي أنه من عمل أحَد العاملين تحت يده، وما غلب على ظنِّي أنه من شُعيب أصرِّح باسمه»(٥).
- وقال عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى ـ صاحب «أضواء البيان» ـ: «كنتُ إذا رأيتُه كأنِّي رأيت شيخ الإسلام ابنَ تيمية، رجُلٌ بين يديه العلوم يأخذ منها ما شاء»(٦).

---

(١) مقدّمة «التنكيل» (١/ ٣).

(٢) مفتتح كلمة الشيخ الألباني الملقاة عنه بالنيابة بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤١٩هـ.

(٣) مختتم كلمة الشيخ السابقة.

(٤) «السلسلة الضعيفة» (١٢/ ٩٢٤).

(٥) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص١١٠).

(٦) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص١٠٣).

- وقال عن أحمد السالك الشنقيطي: «أشتري مجالسة السالك بالذهب». وكان يقول عنه أيضًا: «أفقه أهل الأردن»[(١)].
- كان يُثني على الشيخ حمَّاد الأنصاري كثيرًا، ويصفه بالإنصاف[(٢)].

(١) «محدِّث العصر» (ص٩٨).
(٢) «محدِّث العصر» (ص٨٩).

بُعد الشيخ عن الشهرة

ويدخل تحت مبحث تواضعه: بُعده ـ رحمه الله تعالى ـ عن الشهرة وعدم طلبه لها، ولو أرادها لأتته من جميع وسائلها، ورحم الله الشيخ فقد طرد الشهرة ونبذها لكنها غلبت الشيخ.

ولقد كان البُعد عن الشهرة منهجًا للسلف الصالح؛ ذلك لأنّ طلب الشهرة قد يكون من طُرُق الرِّياء والسُّمعة، ومن شواهد بُعد السلف وذمِّهم لطلب الشهرة ما ورد عن عُمر رضي الله تعالى عنه أنه رأى أناسًا يمشون خلف رجُل فضربه عُمر بالدِّرة وقال: إنها فتنةٌ للمتبوع مذلة للتابع![(١)].

ذلك لأنّ عُمر لما رأى أولئك يمشون خلفَه خشي على المتبوع من فتنة العُجب.

وقال حماد: كنتُ أمشي مع أيوب فيأخذ في طُرق إني لأعجَبُ كيف يهتدي لها فرارًا من الناس أن يُقال: هذا أيوب[(٢)].

وقال الإمام أحمد: أريد أن أكون في شِعب بمكة حتى لا أُعرَف وقد بُليتُ بالشهرة[(٣)].

وقال بِشر بن الحارث: ما اتّقى اللهَ مَن أحبَّ الشهرة[(٤)].

(١) «مسند الدارمي» (١/ ١٤٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٧٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٠).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٦).

ومن أمثلة بُعد الشيخ الإمام الألباني عن مظاهر الشهرة: عندما عَرض عليه أحدُ أصحابه من أهل الحجاز ـ وكان الشيخ وقتها في زيارة للمملكة سنة ١٤٠٥ ـ الذهاب إلى دولة بنغلادش لمدة ثلاثة أيام للدعوة إلى التوحيد، وأخبر أنّ الحضور سيصلون إلى قرابة ثلاثة ملايين، فاعتذر الشيخ بعدم استطاعته، فعاود عليه الداعي الدعوة مرَّةً ثانية وثالثةً ولو ليوم واحد، إلّا أنّ الشيخ كرَّر اعتذاره.

فلمَّا عاد الشيخ إلى منزله سألهُ بعضُ من معه عن سبب اعتذاره عن الذهاب إلى هناك، فأجاب ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: «إنِّي أخشى على نفسي الفتنة»[(١)].

ومع عدم ظهور الشيخ في وسائل الإعلام وعدم كثرة أسفاره، إلّا أنّ صيته في الآفاق وشرَّق وغرَّب وأشمل وأجنب، وذلك ـ بعد فضل الله تعالى ـ بسبب انتشار كُتبه ورسائله وتلهّف أهل العلم على تحصيلها؛ لما فيها من التحقيق والبحث، مع صدق نيَّته وطيب طويَّته، أحسبه كذلك واللهُ حسيبه ولا أزكِّي على الله أحدًا.

ومن الأمثلة: أنه رآه : مرَّةً رجلٌ والشيخ جالس في السيَّارة فاندفع الرجل إليه قائلًا: أنت الشيخ الألباني؟ فبكى الشيخ، وعندما سئل رحمه الله تعالى عن سبب بُكائه؟ قال: ينبغي للمرء أن يجاهد نفسَه وأن لا يغترَّ بإشارة الناس إليه.

(١) «الإمام المجدِّد» (ص٥٩).

من دلائل رسوخ قدمه في العلم

- اختارته كلِّية الشريعة في جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع خاصَّة بـ«موسوعة الفقه الإسلامي» التي عزمت الجامعة على إصدارها عام ١٩٥٥م.
- اختير عُضوًا في لجنة الحديث التي شُكِّلت في عهد الوِحدة بين سُورية ومصر للإشراف على نشر كُتب السُّنّة المطهَّرة.
- طلبت منه الجامعة السَّلفية في بنارس بالهند أن يتولّى مشيخةَ الحديث، فاعتذر عن ذلك؛ لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك.
- درّس في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، من تأسيس الجامعة سنة ١٣٨١هـ إلى سنة ١٣٨٣هـ.
- طلب منه وزير المعارف في المملكة العربية السُّعودية الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ عام ١٣٨٨هـ أن يتولى الإشراف على قسم الدِّراسات الإسلامية العُليا في جامعة أمِّ القُرى بمكة، وقد حالت ظروفه دون تحقيق ذلك.
- اختير عضوًا للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة من عام ١٣٩٥هـ إلى عام ١٣٩٨هـ.
- زار الشيخ : إسبانية بدعوة من اتِّحاد الطلبة المسلمين هناك، حيث ألقى محاضرةً هامَّةً طُبِعت فيما بعدُ بعنوان: «الحديث حُجَّة بنفسه في العقائد والأحكام»، كما زار إنجلترا، وقَطَر حيث ألقى محاضرةً هناك بعنوان «منزلة السُّنّة في الإسلام»، والكويت، والإمارات العربية، وعددًا من الدُّوَل الأوروبية.

- انتُدِب من قِبَل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز : للدعوة للتوحيد والاعتصام بالكتاب والسُّنّة والمنهج الإسلامي الحقّ في مصر والمغرب وبريطانية.
- دُعِيَ إلى عدّة مؤتمرات، حضر بعضها واعتذر عن كثيرٍ منها بسبب أشغاله العلمية الكثيرة.

معرفة الشيخ بواقع حال المسلمين

معرفة واقع حال المسلمين ليس بمجرَّد جمع الأخبار على هناتها وعلَّاتها، بل باستقراء حال المسلمين ومعايشتهم ومعرفة ما يُكادُ لهم وتفويض من يوثَق في عقله وصدقه بنقل أخبارهم وحالهم إليه، ثم يعالج قضايا المسلمين بالعلم الشرعيّ لا بالعاطفة المجرَّدة.

والشيخ : من أكثر الناس فيما يعرف إحاطةً بمعرفة حال المسلمين، بل ومن أدرى الناس بعلاج قضاياهم ومشكلاتهم بما آتاه الله ﷻ من معرفة الكتاب والسنة، وإنّ الإنسان ليعجب من إدراك الشيخ وسعة اطّلاعه ومعرفته بحال المسلمين، وذلك من خلال:

أولًا: نشرُه وإكثاره الكلام عن العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص:

وذلك من خلال تصنيفه في بعض المباحث العقدية، كـ«التوسُّل»، و«تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، وما يتعلق بحجِّية خبر الآحاد، وغير ذلك. وانظر مبحث: «من وجوه نصرته للسنّة» (ص٢٣١).

ثانيًا: تحذيرُه وردُّه القولي والكتابي على كثير من البدع، مثل:

كلامه عن بدع الأذان. «إرواء الغليل» (١/ ٢٥٥).

كلامه عن بدع الصلاة. «صفة الصلاة» (ص٨٥-٨٦).

وعن بدع الجمعة. «الأجوبة النافعة» (ص١١٩).

وعن بدع الذِّكر والدعاء. «السلسلة الصحيحة» (١/ق١/ ١٥٢).

وعن بدع الجنائز. «أحكام الجنائز» (ص٣٠٧).

ثالثًا: التحذير والردّ على كثير من الطوائف والفرق المنحرفة، ومن ذلك:

الردّ على القاديانية. «السلسلة الصحيحة» (٤/٢٥٢)، «السلسلة الضعيفة» (١/٢٥٥،٦/٥٢).

الردّ على الشيعة. «السلسلة الصحيحة» (٤/٣٥٩).

الردّ على الصوفية. «السلسلة الضعيفة» (١/٧٩).

الردّ على الخوارج. «إرواء الغليل» (١/٢٢١).

الردّ على الإباضية. «صفة الصلاة» (ص٢٦).

وللزيادة من هذا انظر مبحث «ردوده» (ص١٧٦).

رابعًا: التفاعُل مع مُصاب الإسلام والمسلمين والتعاطف معهم.

انظر: كلامه مثلًا عن احتلال اليهود لفلسطين وواجب المسلمين في ذلك. «التعليق على الطحاوية» (ص٨٢-٨٣)، و«الصحيحة» (٧/ق٢/١٢٤٣).

كلامه عن هجرة الأفغان من بلادهم إلى باكستان، وكذا هجرة البوسنيِّين إلى بعض البلاد الإسلامية. «الصحيحة» (٦/ق٢/٨٥٦).

كلامه عن تداعي الكفار على المسلمين. «رسالة التوحيد أولًا» (ص٤١).

كلامه عن طريقة الخلاص من ظلم الحكّام. «التعليق على الطحاوية» (ص٧٨).

وبعد هذا يقال:

مَن نظر في بعض تعليقاته المنثورة في كتُبه أو في إجاباته على الأسئلة أدرك بُعد نظره وسَعة أفقه في معرفة واقع المسلمين، ومن ثمَّ تشخيص الداء والدواء، وإليك شواهد قليلة من كثير:

- قال : «... لذلك فأنا أرى أنّ أيَّ إصلاح ـ يجب أن يقومَ به الدُّعاة إلى الإسلام، والناشدون لإقامة دولة الإسلام بإخلاص ـ هو أن يعودوا إلى أن يُفهِموا أولًا أنفسهم ويُفهِموا الأمَّة ثانيًا: الدِّين الذي جاء به الرَّسول عليه الصلاة والسلام، وذلك لا سبيل إليه ـ فيما أعتقد اتفاقًا بين جميع الفقهاء بأنه

لا سبيل إلى الرجوع إلى فهم الدين على الحقيقة التي أنزلها الله ﷻ - إلا بدراسة الكتاب والسنة»[(١)].

- «من أكبر المصائب التي أصيب بها بعض المسلمين جهلهم بحقيقة الشرك الذي هو أكبر الكبائر، ومن صفته أنه يحبط الأعمال: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ © عَمَلُكَ ﴾»[(٢)].
- «... وعلى أهل العلم والفضل أن يغتنموا فرصة التقائهم بالحُجَّاج في المسجد الحرام وغيره من المواطن المقدّسة، فيعلموهم ما يلزم من مناسك الحجّ وأحكامه على وَفْقِ الكتاب والسُّنّة، وأن لا يَشغلهم ذلك عن الدعوة إلى أصل الإسلام الذي من أجله بُعِثت الرُّسُل، وأُنزِلت الكتُب، ألَا وهو التوحيد؛ فإنّ أكثر من لقيناهم - حتى ممّن ينتمي إلى العلم - وجدناهم في جهل بالغ بحقيقة التوحيد وما يُنَافيه من الشِّركيات والوثنيات، كما أنهم في غفلة تامَّة عن ضرورة رجوع المسلمين - على اختلاف مذاهبهم وكثرة أحزابهم - إلى العمل بالثابت في الكتاب والسُّنّة في العقائد والأحكام والمعاملات والأخلاق، والسياسة والاقتصاد، وغير ذلك من شؤون الحياة، وأنّ أيَّ صوت يرتفع، وأيَّ إصلاح يُزعَم على غير هذا الأصل القويم والصراط المستقيم فسوف لا يجني المسلمون منه إلّا ذلًّا وضعفًا، والواقع أكبر شاهد على ذلك، والله المستعان»[(٣)].
- «... وإنّ ممّا يُؤسَف له أن يكون حقّ التأليف والنشر مَصُونًا عند الكفّار الغربيِّين ضائعًا في بلاد الإسلام والمسلمين، والله المستعان»[(٤)].

---

(١) «التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني : (ص١٥).

(٢) «حجّة النبي ﷺ» (ص٦-٧).

(٣) «حجّة النبي ﷺ» (ص٢٣-٢٤).

(٤) «صفة صلاة النبيّ ﷺ» (ص٢٨).

- «... ويوم تستجيبُ النِّساء المُسلِمات لأمر الله إلّا مَن شذّ منهن وتكون غريبةً مَهِينةً بين المستجيبات، فيومئذ يعود إلى المسلمين عِزُّهم ومجدُهم، وتقوم لهم دولتُهم ويَنصُرُهم اللهُ على عَدُوِّهم، ﴿ ¶ ، ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾(١)، ولن يكون ذلك إلّا إذا استجاب لأمره تعالى الرِّجال قبل النِّساء، وعسى أن يكون ذلك قريبا.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ ´ µ | ، أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾(٢)»(٣).

- ذكر : جملة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ > ? @ A B
C D E F G H I J K L M
N O Q R S T U V W X Y Z \ ] ^
_ ` a b c d e f g h i j k l
m n o p q r s ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ : ; < = > ? @ B C D
E F H I J K L M N O P R S T U
V W X Y Z \ ] ^ _ ` a b c d
e f g h i j ﴾(٥).

وقوله: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ © نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ

---

(١) الروم: ٤-٥.

(٢) الأنفال: ٢٤.

(٣) «حجاب المرأة المسلمة» (ص٩).

(٤) الجاثية: ١٦-١٨.

(٥) الرعد: ٣٦-٣٧.

كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن ´ µ ¶ ، فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[1].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا © ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[2]، وغيرها، ثمَّ قال : :

«... فتبيَّن من الآيات المتقدِّمة أنّ ترك هدي الكفار والتشبُّهَ بهم في أعمالهم وأقوالهم وأهوائهم من المقاصد والغايات التي أسَّسها وجاء بها القرآن الكريم، وقد قام النبيُّ ﷺ ببيان ذلك وتفصيله للأمَّة، وحقّقه في أمور كثيرة من فروع الشريعة، حتى عَرَف ذلك اليهود الذين كانوا في مدينة النبيِّ ﷺ وشَعَرُوا أنه ﷺ يُريد أن يخالفهم في كلِّ شؤونهم الخاصَّة بهم»[3].

- «... مخالفة الكفار وترك التشبُّه بهم من مقاصد الشريعة الإسلامية العُليَا، فالواجب على كلِّ مسلم ـ رجالًا ونساءً ـ أن يُراعوا ذلك في شؤُونهم كلِّها، وبصورة خاصَّة في أزيائهم وألبستهم»[4].
- خرَّج : في «السلسلة الضعيفة» حديث: «إذا ذلّت العرب ذلّ الإسلام» وحكم عليه بالوضع، ثمَّ علّق عليه بقوله:

«... ولولا أنّ في معناه ما يدلّ على بُطلانه لاقتصرنا على تضعيفه؛ ذلك لأنّ الإسلامَ لا يرتبط عِزُّه بالعرب فقط، بل قد يُعِزُّه الله بغيرهم من المؤمنين، كما وقع ذلك زمن الدولة العثمانية ـ لا سيما في أوائل أمرها ـ فقد أعزَّ الله بهم الإسلام حتى امتدَّ سلطانُه إلى أواسط أوربا، ثمَّ لَمَّا أخذوا يحيدون عن الشريعة إلى القوانين الأوربية (يستبدلون الأدنى بالذي هو خير) تقلّص

(١) الحديد: ١٦.
(٢) البقرة: ١٠٤.
(٣) «جلباب المرأة المسلمة» (ص١٦٥).
(٤) «جلباب المرأة المسلمة» (ص٢٠٦).

سُلطانُهم عن تلك البلاد وغيرها حتى لقد زال عن بلادهم! فلم يبقَ فيها من المظاهر التي تدلّ على إسلامهم إلّا الشيء اليسير! فذلّ بذلك المسلمون جميعًا بعد عِزِّهم، ودخل الكفّارُ بلادَهم و استذلّوهم إلّا قليلًا منها، وهذه وإن سَلِمَت من استعمارهم إيَّاها ظاهرًا فهي تستعمرها بالخفاء تحت ستار المشاريع الكثيرة، كالاقتصاد ونحوه!

فثبت أنّ الإسلامَ يَعِزّ و يَذِلّ بِعِزِّ أهله و ذلهم، سواء كانوا عربًا أو عجمًا، و«**لا فضل لعربي على عجمي إلّا بالتقوى**»، فاللّهُمَّ أعزَّ المسلمين وألهمهم الرُّجوع إلى كتابك و سنّة نبيِّك حتى تُعِزَّ بهم الإسلام.

بيد أنّ ذلك لا يُنَافي أن يكونَ جنس العرب أفضلَ من جنس سائر الأمم، بل هذا هو الذي أؤمن به وأعتقدُه وأَدِينُ اللهَ به، و إن كنتُ ألبانيًّا فإنِّي مسلم ولله الحمد؛ ذلك لأنّ ما ذكرتُه من أفضليَّة جنس العرب هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، ويَدُلّ عليه مجموعةٌ من الأحاديث الواردة في هذا الباب، منها قوله ﷺ: «**إنّ الله اصطفى من وَلَد إبراهيم، واصطفى من وَلَد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**». رواه أحمد (٤/١٠٧) والترمذي (٤/٣٩٢) وصحَّحه، وأصله في «صحيح مسلم» (٧/٤٨). وكذا البخاري في «التاريخ الصغير» (ص٦) من حديث واثلة بن الأسقع، و له شاهد عن العبَّاس بن عبدالمطلب عند الترمذي وصحَّحه، وأحمد، و آخَر عن ابن عمر عند الحاكم (٤/٨٦) وصحَّحه.

ولكن هذا ينبغي ألّا يَحْمِلَ العربيَّ على الافتخار بجنسه؛ لأنه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبيُّنا محمَّدٌ العربيُّ ﷺ على ما سبق بيانه، كما ينبغي أن لا نجهل السبب الذي به استحقّ العرب الأفضلية، وهو ما اختصُّوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، الأمر الذي أهَّلهم لِأَنْ يكونوا حَمَلة الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، فإنه إذا عرف العربيُّ هذا وحافظ عليه

أمكنه أن يكونَ مِثلَ سَلَفِهِ عُضوًا صالحًا في حمل الدعوة الإسلامية، أمَّا إذا هو تجرَّد من ذلك فليس له من الفضل شيء، بل الأعجمي الذي تخلّق بالأخلاق الإسلامية هو خيرٌ منه دون شكّ ولا ريب، إذ الفضل الحقيقي إنما هو اتّباع ما بُعِث به محمَّد ﷺ من الإيمان والعلم، فكلّ مَن كان فيه أمكن كان أفضل، والفضل إنما هو بالأسماء المحدّدة في الكتاب والسُّنَّة، مثل: الإسلام، والإيمان، والبرّ، والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرَّد كون الإنسان عربيًّا أو أعجميًّا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «**مَن بَطّأَ به عَمَلُه لم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه**» رواه مسلم، و لهذا قال الشاعر العربي:

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا تبـ ـني ونفعل مثل ما فعلوا

وجملة القول: إنّ فضل العرب إنّما هو لمزايا تحقّقت فيهم، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم ذهب فضلُهم، ومن أخذ بها من الأعاجم كان خيرًا منهم، «**لا فضل لعربي على أعجمي إلّا بالتقوى**».

ومِن هُنا يَظهَر ضلال مَن يَدعو إلى العروبة وهو لا يتَّصف بشيءٍ من خصائصها المفضّلة، بل هو أوربي قلبًا وقالبًا!»(١).

- تحت حديث: «**بينما كلب يطيف بِرَكية قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقها فاستقت له به، فسقته إياه فغفر لها به**».

ذكر الشيخ الألباني : آثارًا في الرِّفق بالحيوان، ثمَّ قال:

«تلك هي بعض الآثار التي وقفت عليها حتَّى الآن، و هي تدلّ على مبلغ تأثّر المسلمين الأوَّلين بتوجيهات النبيِّ ﷺ في الرِّفق بالحيوان، وهي في الحقيقة قلّ من جُلّ و نقطة من بحر، وفي ذلك بيان واضح أنّ الإسلام هو الذي وضع

(١) «السلسلة الضعيفة» حديث (١٦٣).

للناس مبدأ «الرِّفق بالحيوان»، خلافًا لما يظنّه بعض الجهَّال بالإسلام أنه من وضع الكفار الأوربيِّين، بل ذلك من الآداب التي تلقّوها عن المسلمين الأوَّلين، ثمَّ توسَّعوا فيها ونظّموها تنظيما دقيقًا، و تبنَّتها دُوَلهم حتّى صار الرِّفق بالحيوان من مزاياهم اليوم، حتّى توهَّم الجهَّال أنه من خصوصياتهم! وغرَّهم في ذلك أنه لا يكاد يرى هذا النظام مطبَّقًا في دولة من دُوَل الإسلام، وكانوا هُم أحقَّ بها وأهلَها!»[١].

- خرَّج : في «السلسلة الصحيحة» حديث: «**إنّ أحَد جناحَي الذباب سمّ والآخَر شفاء، فإذا وقع في الطعام فامقلوه، فإنه يقدّم السمّ ويؤخّر الشفاء**»، ثمّ قال:

«ثمَّ إنّ كثيرًا من النّاس يتوهَّمون أنّ هذا الحديث يخالف ما يقرِّره الأطباء، وهو: أنّ الذباب يَحْمِل بأطرافه الجراثيم، فإذا وقع في الطعام أو في الشراب علقت به تلك الجراثيم، والحقيقة أنّ الحديث لا يخالف الأطباء في ذلك، بل هو يُؤَيِّدهم، إذ يُخبِر أنّ «**في أحَد جناحيه داءً**»، ولكنه يَزيد عليهم فيقول: «**وفي الآخَر شفاء**»، فهذا ممَّا لم يُحيطوا بعلمه، فوجب عليهم الإيمانُ به إن كانوا مسلمين، وإلّا فالتوقف إذا كانوا من غيرهم إن كانوا عُقَلاء علماء! ذلك لأنّ العلم الصحيح يشهد أنّ عدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه.

نقول ذلك على افتراض أنّ الطبَّ الحديث لم يَشهَد لهذا الحديث بالصحَّة، وقد اختلفت آراء الأطباء حوله، وقرأتُ مقالاتٍ كثيرةً في مجلّات مختلفة كلّ يؤيد ما ذهب إليه تأييدا أو ردًّا، ونحن بصفتنا مؤمنين بصحَّة الحديث وأنّ النبيَّ ﷺ ﴿ R , - . / 0 1 2 3 4 ﴾ لا يهمّنا كثيرًا ثبوت الحديث من وجهة نظر الطبّ؛ لأنّ الحديث بُرهانٌ قائم في نفسه لا يحتاج إلى دعم

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ حديث ٣٠).

خارجي، ومع ذلك فإنّ النفس تزداد إيمانًا حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح...»[(١)].

- خرَّج : حديث: «**خياركم من أطعم الطعام**»، ثم ذكر ما فيه من الفوائد، ومنها:

«**الثانية**: فضل إطعام الطعام، وهو من العادات الجميلة التي امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم، ثمَّ جاء الإسلام وأكّد ذلك أيّما توكيد كما في هذا الحديث الشريف، بينما لا تعرف ذلك أوربا ولا تستذوقه، اللهُمَّ إلّا من دان بالإسلام منها، كالألبان ونحوهم.

وإنّ ممَّا يُؤْسَف له أنّ قومَنا بدؤُوا يتأثّرون بأوربا في طريقة حياتها، ما وافق الإسلام منها وما خالف، فأخذوا لا يهتمون بالضيافة ولا يُلْقُونَ لها بالًا، اللهمَّ إلّا ما كان منها في المناسبات الرَّسمية، ولسنا نُريد هذا، بل إذا جاءنا أيّ صديق مسلم وجب علينا أن نفتح له دُورَنَا، وأن نعرض عليه ضيافتنا، فذلك حقّ له علينا ثلاثةَ أيام، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

وإنّ من العجائب التي يَسمعها المسلم في هذا العصر الاعتزاز بالعربية ممّن لا يُقَدِّرُها قَدْرَها الصحيح، إذ لا نجد في كثير من دُعَاتها اللفظيِّين من تتمثّل فيه الأخلاق العربية، كالكرم، والغيرة، والعِزّة، وغيرها من الأخلاق الكريمة التي هي من مقوِّمات الأمم، ورحم الله من قال:

وإنما الأمم الأخلاقُ ما بقيت ... فإن هُمُ ذَهَبت أخلاقُهم ذهبوا

وأحسن منه قول رسول الله ﷺ: «**إنما بُعِثتُ لأتمِّم مكارمَ ـ وفي رواية: صالح ـ الأخلاق**»[(٢)].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٠-٦٣) حديث (٣٩).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٤-٧٥) حديث (٤٤).

• خرَّج : حديث: «**يُوشِك الناس يتساءلون بينهم حتى يقول قائلُهم: هذا اللهُ خَلَق الخلق، فمن خلق الله ﷻ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : الله أحَد، الله الصمد، لم يلد ولم يُولَد، و لم يكن له كفوًا أحَد، ثمَّ ليتفل أحَدُكم عن يساره ثلاثًا، وليستعذ من الشيطان**»، ثمَّ قال الشيخ الألباني : :

«دلّت هذه الأحاديث الصحيحة على أنه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله: مَن خلق الله؟ أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما جاء في الأحاديث المذكورة، وخلاصتها أن يقول: «آمنتُ بالله ورُسُله، اللهُ أحَد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد، ولم يكن له كفوًا أحَد. ثمَّ يتفل عن يساره ثلاثا، ويستعيذ بالله من الشيطان، ثمَّ ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة.

وأعتقد أنّ مَن فعل ذلك طاعة لله ورسوله، مُخلِصًا في ذلك أنه لابُدّ أن تذهب الوسوسة عنه ويندحر شيطانه؛ لقوله ﷺ: «**فإنّ ذلك يذهب عنه**».

وهذا التعليم النبويّ الكريم أنفع وأقطع للوسوسة من المجادلة العقلية في هذه القضية؛ فإنّ المجادلة قلّما تنفع في مثلها.

ومن المؤسف أنّ أكثر الناس في غفلة عن هذا التعليم النبويِّ الكريم، فتنبَّهوا أيّها المسلمون، وتعرَّفوا إلى سُنّة نبيِّكم واعملوا بها، فإنّ فيها شفاءَكم وعزَّكم»[(١)].

قال : : «... فمن المؤسِف أن ينحرف بعض المتفقِّهة عن سبيل المؤمنين باسم الإصلاح تارةً، والعدالة الاجتماعية تارةً، فينكروا ما ثبت في الكتاب والسُّنّة وجرى عليه عمل المسلمين بطرُق من التأويل أشبه ما تكون بتأويلات الباطنيِّين من جهة، ومن جهة أخرى يثبتون ما لم يكونوا يعرفون، بل ما جاء النصّ بنفيه. والأمثلة على ذلك كثيرة...».

إلى أن قال : : «... فإلى الله المشتكى من علماء السُّوء والرُّسوم الذين يؤيِّدون

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٥) حديث (١١٨).

الحكّام الجائرين بفتاويهم المنحرفة عن جادَّة الإسلام وسبيل المسلمين، والله ﷻ يقول: ﴿ > ? @ A B C D E F G H I J
K L M N O Q R ﴾»(١).

- خرَّج   : حديث: «**والذي نفسي بيده لا يَسمَعُ بي رَجُلٌ من هذه الأمَّة، ولا يهودي و لا نصراني ثمَّ لم يؤمن بي إلّا كان من أهل النار**»، ثم علّق عليه بقوله:

«واعتقادي أنّ كثيرًا من الكفّار لو أتيح لهم الاطِّلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجًا، كما وقع ذلك في أوَّل الأمر، فليتَ أنّ بعض الدُّوَل الإسلامية تُرسِل إلى بلاد الغرب مَن يدعو إلى الإسلام، ممّن هو على علم به على حقيقته وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات، لِيُحْسِنَ عَرْضَهُ على المدعوِّين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسُّنّة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرَّائجة، وهذا شيءٌ عزيزٌ يكاد يكون مفقودًا، فالقضية تتطلّب استعدادات هامَّة، فلعلهم يفعلون»(٢).

- خرَّج   : حديث: «**الوزن وزن أهل مكّة، والمكيال مكيال أهل المدينة**»، ثمَّ علّق عليه بكلام ختمه بقوله:

«فليتأمَّل العاقل هذا ولينظر حالَ المسلمين اليوم واختلافَهم في مكاييلهم وموازينهم على أنواع شتى بسبب هجرهم لهذا التوجيه النبوي الكريم.

ولمّا شعر بعض المسؤولين في بعض الدول العربية المسلمة بسُوء هذا الاختلاف اقترح البعض عليهم توحيد ذلك وغيره كالمقاييس بالرُّجوع إلى عُرف الكفار

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٣-٦٤) حديث (١٤٢).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨٢) حديث (١٥٧).

فيها! فوا أسفاه، لقد كنّا سادةً وقادةً لغيرنا بعلمنا وتمسُّكنا بشريعتنا، وإذا بنا اليوم أتباع ومقلِّدون! ولمن؟ لمن كانوا في الأمس القريب يقلِّدوننا ويأخذون العلوم عنّا! ولكن لا بدّ لهذا الليل من أن ينجلي، ولا بُدّ للشمس أن تُشرِق مرَّةً أخرى، وها قد لاحت تباشير الصبح، وأخذت الدول الإسلامية تعتمد على نفسها في كلّ شؤون حياتها بعد أن كانت فيها عالةً على غيرها، و لعلها تسير في ذلك على هدي كتاب ربِّها و سُنّة نبيِّها، ولله في خلقه شؤون»[١].

- وقال الشيخ عصام هادي حفظه الله تعالى: «كنتُ معه يومًا في المكتبة في الصباح الباكر، وكان بالقرب من بيته مدرسة بنات، وقد كانت هناك حفلة بمكبِّرات الصوت الخارجية، حيث كُنّ يُغنِّين، فتأذّى الشيخ كثيرًا وقال لي: هذا يا أستاذ من ثمار الثورة العربية الكبرى!»[٢].
- وقال الشيخ عصام أيضًا: «لمّا عُدتُ من إسبانيا حدّثتُ شيخَنا عن أحوال المسلمين، ومن جُملة ما حدّثتُه حدّثتُه عن العدل الذي يلقاه المسلمون في ديار الكفر من حيث الحرِّية في عباداتهم وتجمُّعاتهم، بحيث يتقدّمون للبلدية مثلًا من أجل صلاة العيد في المصلّى فتُهيِّئ لهم البلدية مكانًا وتُرسل شرطيَّ سَير لتسهيل وقوف سيَّاراتهم ومُرورهم بسلام، وبعض من هذه الصُّوَر، فما كان من شيخنا إلّا أن بكى وقال: الله أكبر، يلقى المسلمون في بلاد الكُفر من العدل والحرِّية ما لا يلقونه في بلاد الإسلام! فالله المستعان، ولا حول ولا قوَّة إلّا بالله»[٣].
- قال الشيخ : بعد حرب الخليج: «نحن قادمون على استعمار من الكفّار، سواء مباشر كاستعمار اليهود في فلسطين، أم استعمار فكري وسياسي واقتصادي رغم أنوفنا»[٤].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٠٩) حديث (١٦٥).
(٢) «محدِّث العصر» (ص١٠٩).
(٣) «محدِّث العصر» (ص١١٠-١١١).
(٤) «محدِّث العصر» (ص١٢٧).

- وقال : : «... المصيبة العُظمى التي وقع فيها كثيرٌ من عامَّة المسلمين وبعض خاصَّتهم: ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء والصالحين من دون الله تعالى في الشدائد والمصائب؛ حتى إنك لتسمعُ جماعات متعدِّدة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة، كأنَّ هؤلاء الأموات يسمعون ما يُقال لهم! ويطلب منهم الحاجات المختلفة بلغاتٍ متباينة، فهم عند المستغيثين بهم يَعلَمون مختلف لغات الدنيا ويُميِّزون كلّ لغة عن الأخرى ولو كان الكلام بها في آنٍ واحِد! وهذا هو الشِّرك في صفات الله تعالى الذي جَهِله كثيرٌ من الناس فوقعوا بسببه في هذه الضلالة الكبرى. ويُبطِل هذا ويَرُدُّ عليه آياتٌ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ © زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا ﴾[1]، والآيات في هذا الصدد كثيرة، بل قد أُلّف في بيان ذلك كُتُب ورسائل عدّة، فمن كان في شكّ من ذلك فليرجع إليها يظهر له الحقّ إن شاء الله، ومن أجمعِها: «مجموعة التوحيد النجدية» فعليك بمطالعتها، ومنها: «قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة»، و«الردّ على البَكري» لشيخ الإسلام ابن تيمية»[2].
- وقال : : «... ولكن هناك اختلافًا كبيرًا بين الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة ـ ساحة الإصلاح ومحاولة إعادة الحياة الإسلامية، واستئناف الحياة الإسلامية وإقامة الدولة الإسلامية ـ هذه الجماعات مختلفة مع الأسف الشديد أشدَّ الاختلاف حول نقطة البدء بالإصلاح؛ فنحن نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه النقطة، ونرى أنه لا بُدّ من البدء بالتصفية والتربية معًا، أمَّا أن نبدأ بالأمور السياسية.. والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدُهم خرابًا يبابًا، وقد يكون سلوكُهم من الناحية الإسلامية بعيدًا عن الشريعة، والذين يشتغلون بتكتيل الناس وتجميعهم على كلمة «إسلام»

---

(١) الإسراء: ٥٦.
(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٣٢).

عامّة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتِّلين حول أولئك الدُّعاة، ومن ثَمَّ ليس لهذا الإسلام أيُّ أثر في منطلقهم في حياتهم، ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء وهؤلاء لا يُحقِّقون الإسلام في ذوات أنفسهم فيما يمكنهم أن يطبِّقوه بكل سهولة، بحيث لا أحدَ ـ مهما كان متكبِّرًا جبَّارًا ـ يدخل بينه وبين نفسه.

وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه: لا حكم إلّا لله، ولا بُدّ أن يكون الحكم بما أنزل الله.. وهذه كلمة حقّ؛ ولكن فاقدُ الشيء لا يُعطيه، فإذا كان أكثر المسلمين اليوم لا يقيمون حُكم الله في أنفسهم ويطالبون غيرَهم بأن يُقيموا حُكم الله في دولتهم، فإنهم لن يستطيعوا تحقيق ذلك.. ففاقد الشيء لا يُعطيه؛ لأنّ هؤلاء الحكّام هم من هذه الأمَّة، وعلى الحكّام والمحكومين أن يعرفوا سبب هذا الضعف الذي يعيشونه، يجب أن يعرفوا لماذا لا يحكُم حكّام المسلمين اليوم بالإسلام إلّا في بعض النواحي؟ ولماذا لا يطبّق هؤلاء الدعاةُ الإسلامَ في أنفسهم قبل أن يُطالبوا غيرَهم بتطبيقه في دولتهم؟!

الجواب واحد، وهو: إمَّا أنهم لا يعرفون الإسلام ولا يفهمونه إلّا إجمالًا، وإمَّا أنهم لم يُربَّوا على هذا الإسلام في منطلَقهم، وفي حياتهم، وفي أخلاقهم، وفي تعاملهم مع بعضهم ومع غيرهم... والغالب ـ كما نعلمه بالتجربة ـ أنهم يعيشون في العلة الأولى الكبرى، وهي: بُعدُهم عن فهم الإسلام فهمًا صحيحًا، كيف لا؟ وفي الدعاة اليوم من يَعتبِرُ السلفيِّين بأنهم يُضيِّعون عُمرهم في التوحيد!! ويا سُبحان الله! ما أشدّ إغراق مَن يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل ـ إن لم يكن غافلًا حقًّا ـ عن أنّ دعوة الأنبياء والرُّسُل الكرام كانت ﴿ J K L M N ﴾[1]»[2].

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٣٧٨-٣٨٠).

- عندما بيَّن أنّ ذبح ونحر الهدي يكون في مكّة كما يكون في منى، بيَّن أنّ جهل كثيرٍ من الحُجَّاج بجواز الذبح في مكّة أدَّى إلى تكدُّس الذبائح في منى، وما يترتّب على ذلك من عدم الاستفادة من كثير من اللحوم... أشار : إلى أنّ هناك ما يمكن أن تعالج به مشكلة فساد اللحوم، فقال رحمه الله تعالى: «... على أنّ هناك وسائل أخرى تيسَّرت في هذا العصر: لو اتّخذ المسؤولون بعضها لقضي على المشكلة من أصلها، فمن أسهلها: أن تُهيَّأ في أيام العيد الأربعة سيارات خاصة كبيرة فيها برَّادات لحفظ اللحوم، ويكن في منى موظّفون مختصُّون لجمع الهدايا والضحايا التي رغب عنها أصحابُها، وآخَرون لسلخها وتقطيعها، ثم تشحن في تلك السيَّارات كل يوم من الأيام الأربعة وتطوف على القرى المجاورة لمكة المكرَّمة وتوزّع مشحونها من اللحوم على الفقراء والمساكين، وبذلك نكون قد قضينا على المشكلة، فهل من مستجيب؟»[(١)].

قلت: وقد قامت الحكومة السعودية ـ وفقها الله تعالى ـ بجهود كبيرة بواسطة البنك الإسلامي وغيره، من الإشراف على لحوم الهدي وحفظها، ومن ثَمَّ توزيعها على فقراء المسلمين في الخارج، فلله دَرُّ الإمام الألباني وما أبعدَ نظره!

- وقال : عند كلامه على عدم كفاية القصد الحسن في الحكم بجواز بعض الرُّقى والتعاويذ:

«.. ومن هذا القبيل مُعالجة بعض المتظاهرين بالصلاح للناس بما يُسمُّونه بـ«الطبّ الروحاني»، سواء كان ذلك على الطريقة القديمة من اتِّصاله بقرينه من الجنّ كما كانوا عليه في الجاهلية، أو بطريقة ما يُسمَّى اليوم باستحضار الأرواح، ونحوه عندي التنويم المغناطيسي؛ فإنّ ذلك كلّه من الوسائل التي لا تُشرَع؛ لأنّ مرجعها إلى الاستعانة بالجنّ التي كانت من أسباب ضلال المشركين، كما جاء في

---

(١) «حجّة النبيّ ﷺ» (ص٨٧-٨٨) حاشية (٩٢).

القرآن الكريم: ﴿ W X Y Z [\ ] ^ _ ` a ﴾[1] أي: خوفًا وإثمًا. وادِّعاء بعض المبتلين بالاستعانة بهم أنهم إنما يستعينون بالصالحين منهم دعوى كاذبة؛ لأنهم مما لا يمكن ـ عادةً ـ مخالطتُهم ومعاشرتُهم التي تكشف عن صلاحهم أو طلاحهم، ونحن نعلم بالتجربة أنّ كثيرًا ممَّن تصاحبهم أشدّ المصاحبة من الإنس يتبيَّن لك أنهم لا يصلحون. قال تعالى: ﴿ Y Z [\ ] ^ _ ` a b ﴾[2] هذا في الإنس الظاهر، فما بالُك بالجنّ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ j k l m n o p q ﴾[3]؟»[4].

- وقال : «... لقد وقعت مصيبة كبيرة على المصلِّين في «مسجد الخليل» في الضفة الغربية؛ فقد هاجم جماعةٌ مسلّحون بالرشاشات (الأتوماتيكية) من اليهود، الساجدين في صبيحة يوم الجمعة، فقتلوا منهم العشرات وجرحوا المئات. ثمَّ لا شيء بعد ذلك سوى الخُطب الحماسية والاحتجاجات السياسية لدى الأمم المتّحدة، من الدول الإسلامية، والتظاهرات من بعض شعوبها، ولا حول ولا قوَّة إلّا بالله»[5].
- وقال : عند كلامه على حديث: «**من أتى كاهنًا فصدّقه بما يقول...**»:

«فإذا عرفتَ هذا؛ فمن «الكهانة» ما كان يُعرَف بـ«التنويم المغناطيسي»، ثمَّ بـ«استحضار الأرواح»، وما عليه اليوم كثيرٌ من الناس ـ وفيهم بعض المسلمين الطيِّبين ـ ممَّن اتّخذوا ذلك مهنةً يعتاشون منها، ألا وهو القراءة على الممسوس من

(١) الجن: ٦.
(٢) التغابن: ١٤.
(٣) الأعراف: ٢٧.
(٤) «السلسلة الصحيحة» (٦/ق١/٦١٤-٦١٥).
(٥) «السلسلة الضعيفة» (١٣/ق٢/١٠٦١).

الجنِّي ومكالمتُهم إياه، وأنه يحدِّثهم عن سبب تلبُّسه بالإنسي حُبًّا أو بُغضًا! وقد يزعُمون أنهم يسألونه عن دينه، فإذا أخبرهم بأنه مسلمٌ صدّقوه في كلّ ما يُنبئهم به! وذلك منتهى الغفلة والضلال: أن يصدقه وهو لا يعرفه ولا يراه، فكن حذِرًا منهم أيها الأخ المسلم! ولا تأتهم ولا تُصدِّقهم، وإلّا صدق فيك هذا الحديث الصحيح وما في معناه»[1].

- وقال : «... ولقد كان من البواعث على تخريج الحديث هنا وتحرير القول فيه أنني سمعته في ضحى هذا اليوم الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٤١٠هـ من الإذاعة السعودية...»[2].

(١) «السلسلة الصحيحة» (٧/ق٢/١١٥٧).

(٢) «الضعيفة» (١٣/ ٢٧).

ثقافته

كان الإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ ذا ثقافة مميزة، يشهد لذلك ويؤكِّده توسّع دائرته المعرفية من خلال ما يذكره في ثنايا كتُبه وأشرطته الصوتية من أمور متنوِّعة، سياسية واقتصادية وطبِّية واجتماعية...

والناظر في بعض كتُبه يجد من تلك الأمور شيئًا كثيرًا، وأكتفي في هذا المبحث بذكر بعض ما وقفتُ عليه ـ مع قصور في البحث ـ ممَّا ذكر الشيخ من الكتب والمجلّات التي اطّلع على بعض مقالاتها:

- «قرأت في جريدة العلم ...»[1].
- «قرأتُ مقالًا في «مجلة المختار» عدد مايو ١٩٥٨ تحت عنوان: الفاتيكان المدينة المقدَّسة القديمة، للكاتب: رونالد كارلوس بيتي...»[2].
- «قال الكاتب القدير المؤرِّخ الشهير الأستاذ المحقِّق رفيق بك العظم في كتابه «أشهر مشاهير عظماء الإسلام»...»[3].
- «قال الأستاذ عبدالرحمن الوكيل في كتاب «دعوة الحقّ»...»[4].
- «في مقال طويل لبعضهم كنت قرأته منذ سنين في مجلة «نور الإسلام» التي سمِّيت فيما بعد بـ«مجلة الأزهر»...»[5].

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (١/ ١٦٢).
(٢) «تحذير الساجد» (ص١٨١) حاشية.
(٣) «تحذير الساجد» (ص١٦٣-١٦٤).
(٤) «تحذير الساجد» (ص١٦٠).
(٥) «آداب الزفاف» (ص١٩١) حاشية.

- «في «مجلة المرأة» الصادرة في لندن عدد ١٩ آذار ١٩٦٠م...»[١].
- «في بعض الجرائد كـ«البيان» وغيرها...»[٢].
- «... بعض المجلّات مثل «التوحيد» المصرية، و«الجامعة السلفية» الهندية...»[٣].
- «... مجلة «الوعي الإسلامي»...»[٤].
- «... «مجلة المختار» تحت عنوان: هذا العالم المملوء بالألغاز...»[٥].
- «... ولعل الكثيرين منكم يعلم أنّ «مجلة العربي» منذ بضع سنين نشرت مقالة...»[٦].
- «... نشر في جريدة «الرباط» الأردنية...»[٧].
- «... ما كنت قرأْتُه في نشرة لحزب إسلامي...»[٨].
- «... قرأت مقالات كثيرة في مجلّات مختلفة...»[٩].
- «... ثم وقفتُ على العدد ٨٢ من «مجلة العربي» الكويتية ص١٤٤...»[١٠].
- «... ومن الأمثلة على ذلك ما قرأْتُه في «مجلة الهلال» مجلد ٢٧ ج٩ ص١٢٦ تحت عنوان: الحيوان والإنسان...»[١١].

---

(١) «آداب الزفاف» (ص٢١٣).
(٢) «السلسلة الضعيفة» (٣/٥).
(٣) «السلسلة الضعيفة» (٣/١٦).
(٤) «السلسلة الضعيفة» (٣/٢٣١).
(٥) «السلسلة الصحيحة» (٣/١٠٣).
(٦) «التصفية والتربية» (ص١٩).
(٧) «تحريم آلات الطرب» (ص١٧).
(٨) «تحريم آلات الطرب» (ص٨).
(٩) «السلسلة الصحيحة» (١/٦١).
(١٠) «السلسلة الصحيحة» (١/٦٢).
(١١) «السلسلة الصحيحة» (١/حديث ٣٠).

- «... في بحث له نشره في «مجلة المجمع العربي» بدمشق ج١/١٤٨٢...»[(١)].
- «وقد نُشِرَ في «مجلة التمدُّن الإسلامي» في مقالات متتابعة...»[(٢)].
- «ويحسن بنا إلى أن نشير ... ومكر المستعمرين»[(٣)].
- «... جاء في كتاب «ظلام من الغرب» للأستاذ الفاضل محمد الغزالي..»[(٤)].
- «... ومن ذلك مقال آخر نشرته مجلة «الإخوان المسلمون» أيضًا في العدد ٥ تحت عنوان: الموسيقى الإسلامية!»[(٥)].
- «... ومن ذلك تعلم خطأ بعض المسلمين اليوم من الترحُّم والترضِّي على بعض الكفار، ويكثر ذلك من بعض أصحاب الجرائد والمجلّات، ولقد سمعتُ أحَد رؤساء العرب المعروفين بالتديُّن يترحَّم على «ستالين» الشيوعي الذي هو ومذهبه من أشدّ وألدّ الأعداء على الدِّين، وذلك في كلمة ألقاها الرئيس المشار إليه بمناسبة وفاة المذكور أذيعت في الراديو! ولا عجب من هذا فقد يخفى عليه مثل هذا الحكم، ولكن العجب من بعض الدعاة الإسلاميِّين أن يقع في مثل ذلك، حيث قال في رسالة له: رحم الله برناردشو! ...»[(٦)].
- ومن الكتب التي قرأها ودرَّسها أو تدارسها:
  - «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي.
  - «منهج الإسلام في الحكم» لمحمد أسد.
  - «مصطلح التاريخ» لأسد رستم.

---

(١) «تحذير الساجد» (ص٨٥).
(٢) «تحذير الساجد» (ص٢٤) حاشية.
(٣) «تحذير الساجد» (ص٥٤-٥٥).
(٤) «صفة الصلاة» (ص٦٦).
(٥) «تحريم آلات الطرب» (ص١٥).
(٦) «أحكام الجنائز وبدعها» (ص٩٧) حاشية.

- ومن لطيف ثقافته الكتابية قوله : «إنّ وضع الخطّ فوق الكلمات المراد لفت النظر إليها هو صنيع علمائنا تبعًا لطريقة المحدِّثين، وأمَّا وضع الخطّ تحت الكلمة فهو من صنع الأوروبيِّين، وقد أُمِرنا بمخالفتهم»(١).
- «كون الأرض تدور في الفضاء أصبح من الحقائق العلمية التي تقبل الجدل، وليس في الكتاب ولا في السنّة نصٌّ يُنافي ذلك، خلافًا لبعضهم»(٢).
- عندما ذكر حديث: «**وكّل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كلّ يوم، لولا ذلك ما أتت على شيء إلّا أحرقته**»، بيَّن : أنّ الحديث موضوعٌ، ثمَّ قال:

«ويُؤيِّد وضعه مخالفته لما ثبت في علم الفلَك: أنّ السبب في عدم حرق الشمس لما على وجه الأرض إنما هو بُعدُها عن الأرض بمسافات كبيرة جدًّا يُقدِّرونها بـ«مائة وخمسين مليون كيلومتر تقريبًا» كما في كتاب «علم الفلَك» للأستاذ طالب الصابوني»(٣).

- عندما ذكر حديث: «**أوَّل الأرضين خرابًا يُسراها ثمَّ يُمناها**» بيَّن ضعفه، ثم قال:

«... ظاهر الحديث منكَر عندي؛ لأنّ الأرض كُروية قطعًا كما تدُلّ عليه الحقائق العلمية، ولا تخالف الأدلة الشرعية، خلافًا لمن يماري في ذلك، وإذا كان الأمر كذلك فأين يُمنى الأرض من يُسراها؟! فهما أمران نسبيَّان كالشرق والغرب تمامًا»(٤).

- عندما تكلّم عن فوائد الجوع في شفاء الأمراض قال: «ولكنه لا يُفيد في جميع الأمراض على اختلاف الأجسام، خلافًا لما يُستفاد من كتاب «التطبيب بالصوم» لأحَد الكُتّاب الأوروبيِّين، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم»(٥).

---

(١) «حياة الألباني» للشيباني (٢/ ٤٦٥). وانظر: «إرواء الغليل» (١/ ٢٢).
(٢) من تعليقاته على كتاب «القائد إلى تصحيح العقائد» (ص١٨) حاشية (١).
(٣) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٣٠٨) حديث (٢٩٣).
(٤) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ١٥٨-١٥٩) حديث (١٦٥٩).
(٥) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٤١٩) نقلًا عن «حياة العلّامة الألباني رحمه الله تعالى بقلمه» لعصام هادي (ص٢٣).

- ومما يُضاف إلى مبحث «ثقافته» رحمه الله تعالى كثرة استشهاده بالأمثال والحكم والأشعار، ممّا يدُلّ على رصيد ثقافي واسع، وإليك بعضًا من ذلك:

❖ فمن الأمثال والحكم:

- «... وقديمًا قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء»[١].
- «تزبَّب قبل أن يتحصرم»[٢].
- «من استعجل الشيء قبل أوانه ابتُلي بحرمانه»[٣].
- «عُذر أقبح من ذنب»[٤].
- «رمتني بدائها وانسلّت»[٥].
- «كذبٌ له قرون»[٦].
- «تزن بميزانين وتكيل بكيلين»[٧].
- «يكيل بكيلين ويلعب على الحبلين»[٨].
- «المتقلِّب كالحرباء»[٩].
- «أحقد من جمل»[١٠].
- «إذا ورد الأثر بطل النظر»[١١].

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٧).
(٢) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٨).
(٣) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٨).
(٤) مقدّمة «السلسلة الصحيحة» (٤/ط)، «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٢٠).
(٥) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٥).
(٦) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٥).
(٧) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٤).
(٨) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٢٧).
(٩) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٤).
(١٠) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٦).
(١١) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٢٨).

- «أسمعُ جعجعةً ولا أرى طحنًا»[١].
- «قمِّش ثمَّ فتِّش»[٢].
- «أثبت العرش ثمَّ انقُش»[٣].
- «ما لا يُدرَك كلّه لا يُترك جُلّه»[٤].
- «الحرُّ تكفيه الإشارة»[٥].
- «نفثة مصدور»[٦].
- «الهرب نصف الشجاعة»[٧].
- «إنّ اللهَ يزَعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن»[٨].
- «إرضاء الناس غايةٌ لا تُدرَك»[٩].
- «ضغثًا على إبّالة»[١٠].
- «وراء الأكَمة ما وراءها»[١١].
- «يلسع ثمَّ يختبئ»[١٢].

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٣٢).
(٢) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٣٣).
(٣) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٤٢).
(٤) «تحذير الساجد» (ص٤).
(٥) «صفة الصلاة» (ص٦).
(٦) «صفة الصلاة» (ص١٢).
(٧) من الأمثال العامِّية. «صفة الصلاة» (ص٢٠).
(٨) قول لبعض السلف. «صفة الصلاة» (ص٢٨).
(٩) «صفة الصلاة» (ص٤٤).
(١٠) «النصيحة» (ص٣٥).
(١١) «النصيحة» (ص٥٥).
(١٢) «النصيحة» (ص٦١).

❖ وممَّا وقفتُ عليه من استشهاده بالشِّعر:

عرفتُ الشرَّ لا للشـ ـــرِّ لكـن لتوقِّـــيه
ومن لا يعرف الخـ ـير من الشرِّ يقع فيه[١]

***

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظمُ[٢]

***

إن كان تابعُ أحمد متوهِّبًا فأنا المُـقرُّ بأنني وهَّابي[٣]

***

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيِّـدها إلّا كعلـم الأباعـــرِ
لعَمرُك ما يدري البعيرُ إذا غدا بأحمالـه أو راح ما في الغـرائرِ[٤]

***

أَلَا لا يجهلـن أحَـدٌ علينـــا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٥]

***

وابنُ اللبـــون إذا ما لـزّ في قـرَنٍ لم يستطع صولة البُزل القناعيسِ[٦]

***

لا ترجعُ الأنفس عن غيِّها ما لم يكن لهـا منها رادعُ[٧]

***

(١) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٨).
(٢) «السلسلة الصحيحة» (٤/ي)، (٥/ ٨، ١٠).
(٣) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٧).
(٤) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ١٩).
(٥) «تحذير الساجد» (ص٧).
(٦) «السلسلة الضعيفة» (٤/ ٤١).
(٧) «صفة الصلاة» (ص١٢).

أهلُ الحديث همُ أهلُ النبيِّ وإن لم يَصحَبوا نفسَه أنفاسَه صحِبوا[(١)]

***

ولستُ بنــاجٍ من مقـــالةِ طاعِنٍ ولو كنتُ في غــارٍ على جبلٍ وعــرِ
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا ولو غاب عنهم بين خافِيَتَي نسرِ[(٢)]

***

ومهما تكُن عند امـرئٍ من خَليقــةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ[(٣)]

***

فهـذا الحـقّ مـا بـه خفـــاءُ فدَعني من بُنيَّاتِ الطريق[(٤)]

***

(١) «صفة الصلاة» (ص٤٤).
(٢) «صفة الصلاة» (ص٤٥).
(٣) «النصيحة» (ص١٤).
(٤) «النصيحة» (ص٤٦).

عنايته بالشباب ودعوتهم برفق

شباب الأمَّة هم عمادُها، وبصلاحهم والعناية بشأنهم والحرص على تهذيبهم وإشعارهم بمسؤوليتهم تنهض الأمَّة بقوَّة وعزّة، وفي إهمال أمر الشباب وعدم العناية والترفّق بهم يكونون وبالًا على أنفسهم ومجتمعاتهم.

ومن الثغور الكبرى في إصلاح الشباب دور العلماء الذين إليهم الشباب يَرِدُون سائلين، وعن توجيهاتهم ونصحهم يَصْدُرون، ولذا متى أعرض العلماء عن شباب الأمَّة ولم يفتحوا لهم صدورَهم قبل بيوتهم فربّما ـ وهذا هو المتوقّع ـ أن يكون بعض أولئك الشباب معاوِلَ هدمٍ للفساد الحسِّيّ والمعنويّ.

وبكلّ حال؛ فالناظر في بعض دواوين السنّة يرى أحاديثَ كثيرةً في شأن العناية بالشباب، فمن ذلك أنّ النبيَّ ﷺ أوصاهم بحفظ الفروج وصيانتها عمَّا حرَّم الله تعالى فقال: «**يا معشرَ الشباب، من استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاءٌ**»[(١)].

وجاء الأمرُ بذلك لأنّ في الزواج عفّةً للطرفين، وفيه الاستغناء بالحلال عن الحرام، وفيه تكثيرٌ لأمَّة محمدٍ ﷺ.

ومن وصايا النبيِّ ﷺ لشباب أمَّته: حثّه لهم على النشأة في طاعة الله، فثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**سبعةٌ يُظِلّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلّ إلّا ظلّه**... ومن ضمن أولئك: **شابٌّ نشأ في طاعة الله**».

ومن حرصه ﷺ على شباب أمَّته أنه حذّرهم من التفريط في ذلك العُمر؛ لأنه

(١) أخرجه الشيخان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

زمن القوَّة والاكتمال. فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمس...** وذكر منها: **وشبابَكَ قبل هَرَمك**»[(١)].

فعدّ ﷺ زمن الشباب غنيمةً وحثّ على تدارُكها قبل فواتها؛ ذلك لأنّ في تلك المرحلة يستطيع العبدُ أن يُحصِّل فيها ما يعجزُ عنه بعد فواتها.

ومن حرص الشارع الحكيم على تلك المرحلة أنه بيَّن أنّ العبد مسؤولٌ عنها بعينها؛ لعظَم شأنها.

عن ابن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدَم ابن آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتى يُسألَ عن خمس: عن عُمره فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيمَ أبلاه؟ ...**» الخ الحديث[(٢)].

وبكلّ حال؛ فمرحلة الشباب هي أخصب مراحل العُمر، ومن خلالها يبني المرء شخصيته ويشُقّ طريقَه في مُعترَك الحياة.

لّما كان الأمر كذلك؛ عُني عُلماء الإسلام والمُرَبُّون بعلمٍ وبصيرةٍ بشباب الإسلام، وعقدوا لهم ـ بخاصة ولغيرهم بعامّة ـ الدروس العلمية والتربوية التي تحفظ الشباب من فتن الشبُهات والشهوات... فأخرج الله تعالى على أيديهم ثمارًا يانعةً نفعت نفسها وبيوتها ومجتمعاتها.

شاهد المقال: أنّه كان للإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ عنايةٌ كبرى بشأن الشباب، وبخاصة من تلوَّث ببعض الشبهات وغيرها ممّا يعتري الشباب من حماسة غير منضبطة أو سوء خلق، فكان : رحيمًا بهم، واسع البال، طويل النَّفَس، يسمع منهم ويجيب على شبُهاتهم أو أسئلتهم، ويوجِّهُهم بما ينفعهم دون ضجَر أو ملل أو كلمة نابية.

---

(١) أخرجه الحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصحّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٠٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

وإليك شواهد قليلة من أمثلة كثيرة:

- قال الشيخ باسم فيصل الجوابرة حفظه الله تعالى:

«.. فقد كنت طالبًا في المرحلة الثانوية، وكنت في ذلك الوقت مع مجموعة من الشباب نكفِّر المسلمين ولا نصلي في مساجدهم بحجَّة أنهم مجتمع جاهلي! وقد كان المخالفون لنا في الأردن يهدِّدوننا دائمًا بالشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني، وبأنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يناقشنا ويُقنعنا، ويُرجعنا إلى الطريق المستقيم، فعندما قدم الشيخ ناصر إلى الأردن من دمشق حُدِّث أنّ مجموعةً من الشبَّان تكفّر المسلمين، فرغب في لقائنا فأرسل صهره ـ نظام سكّجْها ـ إلينا، فنقل إلينا رغبةَ الشيخ ناصر بلقائنا، فأجبناه: مَن يريدُنا فليأت إلينا ولن نذهب إليه! ولكن شيخنا في التكفير أخبرنا أنّ الشيخ ناصرًا من علماء المسلمين وله فضل لعلمه وكِبَر سِنِّه ويجب أن نذهب إليه، فذهبنا إليه في بيت صهره ـ نظام ـ وكان قبيل العشاء، فأذّن أحدنا، ثمّ أقمنا الصلاة، فقال الشيخ ناصر الدِّين: نصلي بكم أم تصلون بنا! فقال شيخنا التكفيري: نحن نعتقد كُفرَك! فقال الشيخ ناصر الدِّين: أمّا أنا فأعتقد إيمانكم، ثمَّ صلى شيخُنا بنا جميعًا، ونحن معه، ثمَّ جلس الشيخ ناصر في نقاش معنا استمرَّ حتى ساعة متأخِّرة من الليل، فكان أكثر النقاش مع شيخِنا، أمَّا نحن الشباب فكنّا نقوم ونجلس، ثمّ نمدِّد أرجُلَنا، ثم نضطجع على جنوبنا، وأمَّا الشيخ ناصر فهو على جلسة واحدة من أوَّل الجلسة إلى آخرها لم يُغيِّرها أبدًا، في نقاش دائم مع هذا وهذا وذاك، فكنتُ أستغرب من صبره وجَلَده!! ثمَّ تواعدنا أن نلتقي في اليوم التالي، وقد رجعنا إلى بيوتنا نجمع الأدلة التي تدلّ على التكفير بزعمنا، وجاء الشيخ ناصر في اليوم الثاني إلى بيت أحَد إخواننا، وقد جهَّزنا الكتُب والرُّدود على أدلة الشيخ ناصر، واستمرَّ النقاش والحوار من بعد العشاء إلى قُبَيل الفجر، ثمَّ تواعدنا بالذهاب إليه في محلّ إقامته، فذهبنا إليه بعد العشاء في اليوم الثالث، واستمرَّ النقاش حتى أذّن المؤذن لصلاة الفجر، ونحن في نقاش

وحوار دائم نذكر الآيات الكثيرة التي تدلّ على التكفير في ظاهرها، وكذلك نذكر الأحاديث التي تَنُصُّ ظاهرًا على تكفير مُرتَكِب الكبيرة، والشيخ ناصر كالطَّوْدِ الشامخ يرُدّ على هذا الدليل ويُوَجِّه الدليل الآخَر، ويجمع بين الأدلة المتعارضة في الظاهر، ويستشهد بأقوال السَّلف وبالأئمَّة المعتبَرِين عند أهل السُّنّة والجماعة، وبعد أذان الفجر ذهبنا جميعًا تقريبًا مع الشيخ ناصر الدِّين إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، بعد أن أقنَعَنا الشيخ ناصر بخطأ وضلال المنهج الذي سرنا عليه، ورجعنا عن أفكارنا التكفيرية ـ بحمد الله ـ إلّا نَفَرًا قليلًا آلَ أمرُهم إلى الرِّدَّة عن الإسلام بعد ذلك بسنين، نسأل الله العافية»[(١)].

- قال الشيخ سمير الزُّهَيري ـ وهو من طلّاب الشيخ رحمه الله تعالى ـ:

«اجتمعت ذات يوم في عَمَّان ببعض طلّاب العلم، وكالعادة في مثل هذه المجالس ذُكِر الشيخ وإذا بأحَد الحُضور يحمل على الشيخ حملةً شَعْوَاء لاختلاف المنهج، ولم أشعُر بجدوى مناقشة الرَّجل لعدم إنصافه أولًا، وثانيًا لغضبه الشديد الذي أخرجه عن حدّ الاعتدال. فقلت له: إذا كنتَ ترى الشيخ بهذه الصورة ـ وهو ليس كما ترى ـ فلماذا لا توجِّه له النُّصح مباشرةً فهو خيرٌ من غِيبَتِك له ووقيعتك فيه؟ فقال: الألباني لا يقبل النصيحة. فقلت: هل جرَّبتَ؟ فقال: أنا لم أره قطّ ولكن هذا متواترٌ عنه. فقلتُ في نفسي: سبحان الله! هذا رجل تأثّر كلّ هذا التأثر بمشايخه دون أن يبحث هو عن الحقّ أو أن يلتقي بالشيخ وهما في بلد واحد ومضى عليهما سنوات عدّة!! ثمَّ كان أن رتّبتُ أمسيةً علميةً مع الشيخ في بيتي، ودعوتُ جموعًا من طلّاب العلم، ومنهم ذلك المخالف في ذلك الوقت، ولم أُعْلِم الشيخَ بشيء من ذلك، واستأثر صاحبُنا بأغلب المجلس، وناقشَ الشيخ وجادله وعلَا صوتُه واحتدّ، حتى إنّني بدا عليَّ الغضب والإحراج، ولما عَرَف ذلك الشيخُ في وجهي التفت إليَّ مبتسمًا قائلًا: لا عليك، ووالله لم تُفَارِق البسمة

---

(١) «مقالات الألباني» (ص٢١٤-٢١٥).

وجهَ الشيخ، ومازال يردّ عليه بالحجَّة من الكتاب والسنّة، مع طول بال وسَعَة صدر كعادته : . وفي نهاية المجلس قام الرَّجُل وقال للشيخ: أنا أحمدُ اللهَ ﷻ أنك تغيَّرت وأنني لقيتُك بعد هذا التغيُّر! فقال الشيخ: وهل أنت التقيتَ معي قبل اليوم؟ فقال الرجل: لا. فأشار الشيخ إلى أحَد إخوانه من الشام ممَّن صحبوه في الدعوة السَّلَفية ـ وكان ضيفًا في تلك الأيام على الشيخ في عَمَّان ـ وقال: أنا لم أتغيَّر وهذا صَحِبَني أكثرَ من عشرين سنةً في الدعوة، ويعرف عنِّي هذا، وعلى كلٍّ جزاك اللهُ خيرًا، وأمَّا أنا فأطلب منك المسامحة إن كنتُ أخطأتُ عليك في شيء، وأسأل الله ﷻ أن يغفر لي إن كنتُ أخطأت في حقِّ أحَدٍ من المسلمين، ثمَّ بكى : . فما كان من صاحبنا إلّا أن بكى هو الآخَر، وأخذ يقبِّل يدَ الشيخ ورأسه، ولم أعرفه بعد ذلك إلّا سلفيًّا متَّبعًا محبًّا للشيخ معظِّمًا له»[١].

- اتَّصل به شابٌّ هاتفيًّا، فلمّا رفع الشيخ سماعةَ الهاتف بادرَهُ الشابُّ بقوله: أنا شابٌّ حديث عهد بالالتزام، وقد سمعتُ أنّك تُغلق الهاتف بسُرعة فإيَّاك أن تُغلق الهاتف حتّى أنهي كلامي! فضحك الشيخُ وأعطاهُ ما يريد[٢].

- ومن توجيهات الشيخ : لطلّاب العلم من الشباب قوله:

«أنصح لطالب العلم المبتدئ أن يقرأ من كُتب الفقه: «فقه السنّة» للشيخ سيِّد سابق، مع الاستعانة عليه ببعض المراجع مثل: «سبُل السَّلام»، وإن نظر في «تمام المنّة» فيكون هذا أقوى له، وأنصح له بـ«الروضة النديّة».

وأمَّا في التفسير فعليه أن يعتاد القراءة من كتاب «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير، وإن كان مُطوَّلًا بعض الشيء فإنه أصحّ كتُب التفسير اليوم.

ثمَّ من حيث المواعظ والرَّقائق فعليه بكتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي.

ثم أنصح فيما يتعلق بكتُب العقيدة بكتاب «شرح العقيدة الطحاوية»

---

(١) «محدِّث العصر» لسمير بن أمين الزهيري (ص٤٢-٤٤).

(٢) كتب ذلك إليّ الأخ سامي خليفة.

لابن أبي العزّ الحنفي، ويستعين عليها أيضًا بتعليقي وشرحي عليها.

ثمَّ يجعل بصورة عامَّة ديدَنَهُ دراسةَ كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيِّم الجَوزية ـ رحمهما الله ـ اللذين أعتقدُ أنهما من نوادر عُلماء المسلمين الذين سلكوا منهج السَّلف الصالح في فقههم، مع التقوى والصلاح، ولا نُزَكِّي على الله أحدًا»[(١)].

- ومن ذلك قوله : :

«أنصح لكلِّ مَن يَكتُب في مجال التصحيح والتضعيف أن يتَّئد، ولا يستعجل في إصدار أحكامه على الأحاديث، إلّا بعد أن يمضي عليه دهرٌ طويل في دراسة هذا العلم في أصوله، وتراجم رجاله، ومعرفة عِلَلِه، حتى يَشعُر من نفسه أنه تمكّن من ذلك كلِّه نظرًا وتطبيقًا، بحيث يجد أنّ تحقيقاته ـ ولو على الغالب ـ تُوافِق تحقيقاتِ الحفّاظ المبرِّزين في هذا العلم، كالذهبي والزَّيلعي والعسقلاني، وغيرهم. أنصح بهذا لكل إخواننا المشتغلين بهذا العلم حتى لا يقعوا في مخالفة قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[(٢)]، ولكي لا يَصدُق عليهم المثل المعروف: «تَزَبَّبَ قبل أن يَتَحَصْرَمَ»، ولا يُصيبهم ما جاء في بعض الحِكَم: «مَنِ استعجل الشيءَ قبل أوانه ابتُلي بحرمانه». ذاكرًا مع هذا ما صحَّ من قول بعض السَّلف: «ليس أحَدٌ بعد النبيِّ ﷺ إلّا ويُؤخَذ من قوله ويُترَك، إلّا النبيّ ﷺ». انظر «صفة الصلاة» (ص٢٨)... أسأل الله تبارك وتعالى أن يُسَدِّد خُطانا ويُصلِح أعمالَنا ونوايانا، إنه سميع مجيب»[(٣)].

---

(١) «محدِّث العصر محمد ناصر الدين الألباني» لسمير بن أمين الزهيري (ص٧٣).

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (٤/ ٨).

- ومن لطيف كلامه وصادق نُصحه للشباب ـ أحسبه كذلك والله حسيبه ـ قوله : :

«... لذا فإنِّي ناصحٌ أمينٌ لطلّاب العلم الشُّدَاة بثلاث:

١ - أن يتعلّموا العلمَ لأنفُسِهم.

٢ - أن يكون هو شاغلهم وهمّهم.

٣- وأن لا يعجَلوا في أمرٍ لا يُنالُ إلّا بالتريُّث وإدامة البحث والنظر في خوافيه وقوادِمِه.

ثمَّ ليعلموا رابعًا: أنَّ التصحيح والتضعيف في هذا العلم الشريف يدورُ بين الصِّدق والكذب، وما لم يكن مُريدُ الاشتغال بهذا العلم حاذقًا فيه فإنه يُلبَّسُ عليه فيه، فيقع في الكذب وهو يُريد الصدق، وكفى بذلك إثمًا، والكذبُ على رسول الله ﷺ ليس ككذبٍ على أحَد، إنّه أقربُ إلى الكُفر، بل هو بالتعمُّد كُفرٌ بواحٌ»[1].

- ومن ذلك قوله : أيضًا: «أنصحُكم ونفسي أوَّلًا بتقوى الله، ثمَّ ببعض ما يتفرَّع من تقوى الله تبارك وتعالى، من ذلك أوَّلًا: أن تطلُبوا العلم خالصًا لوجه الله لا تُريدون من ذلك جَزاءً ولا شُكورًا، ولا تَصَدُّر مجالس، إنما إلى الدرجة التي خصَّ اللهُ تعالى بها العلماء حين قال: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ à ٱلْعِلْمَ â ۚ ﴾[2].

وثانيًا: الابتعاد عن المزالق التي يقع بها بعض طلاب العلم، والتي منها: أنهم سُرعان ما يُسيطر عليهم العُجب والغُرور فينطلق أحدُهم إلى أن يركب رأسه

---

(١) من ضمن الكلمة التي أُلقيت عنه : بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للدِّراسات الإسلامية.

(٢) المجادلة: ١١.

وأن يُفتي نفسَه وغيرَه بما بدا له دون أن يستعين بأهل العلم من سلف الأمة الصالح الذين خلّفوا لنا تراثًا عظيمًا يُنير من العلوم الإسلامية؛ لنستعين به على قضاء كثير من المُلِمَّات التي تراكمت على مرِّ العصور، وعشنا بعضها، وكانت ظلامًا دامسًا.

والاستعانةُ بأقوال السلف وآرائهم يُساعدُنا على إزالة هذه الظلُمات ويرجعُنا إلى منهل الكتاب والسنّة الصحيحة.

ولا أخفيكم أنني عشتُ في زمن أدركتُ فيه أمرين متناقضين:

الأمر الأول: حين كان المسلمون جميعًا شيوخًا وطلّابًا، عامَّةً وخاصَّةً، يعيشون في بؤرة التقليد ـ ليس للمذاهب فقط ـ بل للآباء والأجداد، ونحن في خضمِّ ذلك ندعو إلى كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ هنا وهناك، وفي مختلف البلاد الإسلامية من يقوم مثلنا أفرادٌ كذلك، فكنّا نعيش جميعًا كالغرباء الذين وصفهم الرسول عليه السلام في بعض الأحاديث المعروفة التي منها: «**إنّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبَى للغُرَباء**». وجاء في بعض الرِّوايات أنه عليه السلام قال: «**هم ناسٌ قليل صالحون بين كثير، مَن يَعصيهم أكثر ممَّن يُطيعُهم**». وفي رواية أخرى: «**هم الذي يُصلِحون ما أفسد الناس من سُنّتي من بعدي**».

أقول: عشنا ذلك الزمان، ثم بدأنا نتبنَّى الأثر الطيِّب لدعوة الغرباء المصلحين بين صفوف الشباب المؤمنين، ورأينا هذا الشباب يستقيم على الجادَّة في كثير من البلاد الإسلامية، ويحرص على التمسُّك بالكتاب والسنّة حيثما صحَّة عندهم، ولكن ما طال فرحُنا هذا بهذه الصحوة التي لمسناها بهذه السنوات الأخيرة.. حتى فوجئنا بانقلاب وقع في هؤلاء الشباب في بعض البلاد كاد يقضي على آثار هذه الصحوة الطيِّبة، وما سبب ذلك؟ ـ وهنا العبرة ـ إلّا لأنهم أصابهم العُجب والغرور بسبب ما تبيَّن لهم أنهم أصبحوا على شيءٍ من العلم

الصحيح، ليس فقط بين جماعة الشباب المسلم الضائع، بل حتّى بين كثيرٍ من شيوخ العلم، حين شعروا بأنهم تفوَّقوا بهذه الصحوة على أهل المشيخة والعلم المنتشرين في العالَم الإسلامي، كما أنهم لم يَشكُروا الله ﷻ حيث وفّقهم إلى هذا العلم الصحيح وآدابه، بل اغترُّوا بأنفسهم وظنّوا أنهم على شيء، فأخذوا يُصدِّرون الفتاوى الفجَّة غير القائمة على التفقّه بالكتاب والسنّة، فظهرت هذه الفتاوى من آراء غير ناضجة، فظنّوا أنها هي العلم المأخوذ من الكتاب والسنّة؛ فضلّوا بتلك الآراء وأضلّوا كثيرًا.

وليس يخفى عليكم ما كان من آثار ذلك من وجود جماعة في بعض البلاد الإسلامية، الذين أخذوا يُصرِّحون بتكفير كلّ الجماعات المسلمة بفلسفات لا مجال الآن في هذه العُجالة للخوض بها، وبخاصة أننا بصدد نصيحة وتذكير للإخوة طلبة العلم والدُّعاة، لذلك أنصح إخواننا أهل السنّة والحديث في كلّ بلاد الإسلام أن يَصبِروا على طلب العلم، وأن لا يغترُّوا بما جَنَوا من علم، إنما يُتابِعون الطريق ولا يعتمدون على مجرَّد أفهامهم أو ما يُسمُّونه بـ: اجتهادهم!

وأنا سمعتُ الكثير من إخواننا.. ويقولونها وبمنتهى السهولة وبكلّ بساطة ولا مبالاة بعواقبها: أنا اجتهدت... أنا أرى كذا.. أو: أنا لا أرى ذلك! وعندما تسألهم: على ماذا اجتهدتَ فكان رأيُك كذا وكذا؟ هل اعتمدتَ على فقه الكتاب والسنّة وإجماع العلماء من الصحابة وغيرهم؟ وبِمَ استعنت؟ هل استعنت بكتُب الفقه والحديث وأفهام العلماء لها؟ أو هو الهوى والفهم القاصر النظر والاستدلال؟ هو هذا بالفعل.

هذا في اعتقادي سببُه العُجب والغرور؛ لذلك أجدُ في العالَم الإسلامي اليوم ظاهرةً غريبةً جدًّا تظهر في بعض المؤلفات، وهي: أنه أصبح من هو عدُوّ للحديث مؤلِّفًا في علم الحديث! ليُقال فقط: إنه ألّف في علم الحديث! ولو رجعت إلى هذا الذي كتبَه في هذا العلم الشريف لوجدتَه مجرَّد نُقول لملمها

وجَمَعها من هنا وهناك وألّف منها كتابه هذا! ما الباعث على ذلك يا ترى؟ هو حُبُّ الظهور والبُروز، وصدقَ من قال: حُبُّ الظهور يقطعُ الظهور.

لذلك أُكرِّر القول لإخواني طلبة العلم أن يبتعدوا عن كلِّ خلُق ليس إسلاميًّا، ومن ذلك ألّا يغترُّوا بما أوتوا من علم، وأن لا يغلبهم العُجب، وأن ينصحوا الناس أخيرًا بالتي هي أحسن، ويبتعدوا عن الأساليب القاسية والشديدة في الدعوة؛ لأننا جميعًا نعتقد أنّ اللهَ ﷻ حين قال: ﴿ v w x y z } | | ~ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾(١) إنما قال ذلك لأنّ الحقّ في نفسه ثقيلٌ على الناس، ثقيل على النفوس البشريَّة، ولذلك هي تستكبر عن قَبوله إلّا من شاء ربُّك، فإذا انضمَّ إلى ثِقَل الحقّ على النفس البشريّة عضوٌ آخَر وثِقَل آخَر وهو القسوة في الدعوة، كان ذلك تنفيرًا للناس عن الدعوة.

وقد تعلمون قول الرسول ﷺ: «**إنّ منكم لَمُنَفِّرين** (ثلاثًا)».

وختامًا: أسأل الله ﷻ أن لا يجعل منّا مُنفِّرين، وإنما يجعلُنا حُكماء عاملين بالكتاب والسنّة.

ونستودِعُكم اللهَ جميعًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

- ومنه قوله : : «لا أرى لطالب العلم أن يستعجل في التأليف، بمعنى أن ينشُر ذلك على الناس، بل عليه أن يفعل ذلك بعد ثلاثين سنةً من طلبه للعلم على العلماء، فإن تعجَّل ففي خمسة عشر، ولا يمنع أن يكتُب قبل ذلك ويُراجع من هم أقدرُ منه في هذا الشأن، ولكنه لا ينشرُه، وخصوصًا إذا كان في موضة العصر (علم الحديث)!»(٢).

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٨٤).

حرصه على طلابه ومحبيه وعنايته بهم

دور العالِمِ لا ينتهي عند إلقاء الدَّرس على طلّابه، بل العالم الرَّبَّاني ممَّن يُعنَى بالمسلمين عمومًا وبطلّابه خصوصًا علمًا وعملًا وتربيةً...

وإليك شاهدًا واحدًا من شواهد كثيرة تدلّ على عناية النبيِّ ﷺ بهذا الشأن:

عن مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ ونحن شبَبَة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلةً، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلمَّا ظنّ أنّا قد اشتهينا أهلنا ـ أو قد اشتقنا ـ سألنا عمَّن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: «**ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلِّموهم ومُروهم** ـ وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها ـ **وصلّوا كما رأيتموني أصلِّي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن لكم أحدُكم وليؤمَّكم أكبرُكم**»[1].

* فقوله: «أتينا النبيَّ ﷺ» فيه: فضل الرِّحلة في طلب العلم.

وفيه: الحرص على طلب العلوّ، وذلك بالعناية بالتلقِّي من كبار أهل العلم.

* وقوله: «ونحن شببة متقاربون» فيه: حرص شباب الصَّحابة ـ ناهيك عن كبارهم ـ رضي الله تعالى عنهم على طلب العلم.

* وقوله: «فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلةً» فيه: أنّ العلم يحتاج إلى مداومة في الطلب ومثابرة في العزم. قال يحيى بن أبي كثير: «لا يُستَطاع العلم براحة الجسم»[2].

وفيه: أصل سكن طلبة العلم بقرب الشيخ.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١١١ - الفتح).

(٢) أخرجه مسلم.

* وقوله: «وكان رحيمًا رفيقًا» فيه: عظيم خُلُق النبيّ ﷺ ومحبَّته لطلبة العلم.
﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ © رَّحِيمٌ ﴾[1].

وفيه: رحمة المعلِّم بتلاميذه والترفّق معهم. وقد أكّد ﷺ ذلك بالوصيَّة بطلبة الحديث، فقد كان أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه يقول لهم: «مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يوصينا بكم، يعني طلبة الحديث»[2].

* وقوله: «فلمَّا رأى أنا قد اشتهينا أهلَنا ـ أو قد اشتقنا ـ» فيه: عظيم فطنة النبيّ ﷺ.

وفيه: أنّ على المعلِّم الحرص على تفقُّد طلّابه وملاحظة مشاعرهم، فذلك أدعى لقبولهم لتعليمه ومحبَّتهم له وتأثّرهم به.

* وقوله: «سألَنا عمَّن تركنا بعدنا فأخبرناه» فيه: أنّ عناية المعلِّم بالمتعلِّم لا تكون بتعليمه فحسب، بل يشمل ذلك معرفة أحواله ولو إجمالًا، وهذا مما يزيد المتعلِّم حبًّا لمعلّمه ورغبةً في زيادة التحصيل.

* وقوله: «**ارجعوا إلى أهليكم**» فيه: حرص النبيّ ﷺ على إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقَّه.

وعودًا على بدء أقول:

لقد كان الإمام الألباني ممَّن ضرب في هذا بسهم وافر، فمع كثرة مشاغله العلمية تحقيقًا وتأليفًا، ومشاغله التعليمية تدريسًا وتعليمًا... لم يُغفِل جانب العناية بطلّابه ومشاركتهم آلامَهم وآمالَهم، بل كان ذلك نصب عينيه اقتداءً بالنبيِّ ﷺ، وإليك شواهد قليلة من أمثلة كثيرة:

- ذكر الأخ الفاضل محمَّد الخطيب ـ الذي عمل في بيت الشيخ ستّ سنوات ـ ما نصّه:

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح ثابت... هو أوّل حديث في فضل طلّاب الحديث، ولا يُعلم له علّة». وأقرَّه الذهبي. وأورده الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٨٠).

«وقد كان الشيخ رحيمًا رؤوفًا، فقال لي مرَّةً: يا محمَّد، أنت لا تملك سيَّارة، وأولادك لا بُدّ أنهم بحاجة إلى استجمام، فهيِّئ نفسك في أيِّ يوم تريد حتى نذهب سويًّا في نُزهة تُرَفِّه بها عن أولادك.

وفعلًا؛ بعد يومين رتّبنا أمرنا وخرجنا بصحبة الشيخ وزوجته إلى بعض الأحراش خارج عَمَّان، وقد أحضرنا طعامًا وفاكهة منوَّعة، وسُرَّ أولادي أيّ سرور.

وكنتُ مرَّةً أعملُ للشيخ على سطح بيته وأُصلِح بعض الأمور، فحملت قضيبًا طويلًا أرفعه من مكان لآخَر، فغلبني القضيب وأنا أعلى السَّطح فكدتُ ـ لولا فضل الله ـ أن أهوي من أعلى السطح، فعَلِمَ الشيخُ بالخبر، فحمد الله على سلامتي، وسارع ساجدًا لله سجدةَ شكر، وذرفت عيناه بالبكاء، وأخرج من جيبه مئةَ دينار أعطاني إيَّاها».

- وذكر أيضًا قال: «لمّا نويتُ أن أبني بيتًا احتجتُ للمال، فطرقتُ كثيرًا من الأبواب ولم أحصل على شيء، فتذكّرت رجلًا ثريًّا يعرفه الشيخ، فقلت لزوجة الشيخ: لعلكِ تقولين للشيخ أن يتوسَّط لي عند فلان حتّى يُقرِضني، وفي اليوم التالي.. وكنت أجلس على مكتبي قال لي: يا محمَّد أنت تريد أن أتوسَّط لك عند فلان كي يُقرِضك؟ فقلتُ: نعم، قال: أنا أولى بك منه، أنا أعطيك ما تريد. فبكيت وقلت: يا شيخنا جزاك الله خيرًا، ولكن ـ والله ـ لم يكن ببالي أن أحصُل على طلبي من الشيخ لترفّعي عن النظر لما عند الشيخ، فلمَّا أعطاني المال قال: هذه هدية ألف دينار غير محسوبة، فبكيت مرَّة أخرى، فجزاه الله خيرًا كثيرًا رحمه الله تعالى».

- وقال أيضًا: «... وكانت زوجتي على وشك الولادة، فكان الشيخ دائمَ السُّؤال عنها، وقبل يوم الولادة ـ حينما أردت الانصراف من المكتبة ـ قال لي الشيخ: خذ سيارة أمِّ الفضل لعلك تحتاجها في منتصف الليل، وبَقِيَت السيارة

عندي يومين، وفعلًا جاءت الولادة في منتصف الليل، وخرجتُ من بيتي لا أعرف أين أذهب، وبعد بحث لم أجد قابلة، فتذكّرت أنّ زوجةَ الشيخ عندها خبرة بالولادة، فتوجَّهت نحو بيت الشيخ وأنا متردِّد خشية أن أزعج الشيخ في هذا الوقت المتأخِّر، فطرقتُ الباب، فردَّ عليَّ الشيخ وقدّمت اعتذارًا شديدًا وأعلمتُه حاجتي، فردَّ عليَّ بلهجة المداعب: لماذا لم تصنع مثل شيخك؟ فقد قمتُ بتوليد زوجتي بنفسي، ثمَّ أردف قائلًا: لحظات وأوقظ لكَ أُمَّ الفضل، وذهبت معي، ورزقنا بولدي عبد الله».

- قال بعض طلّابه: «كنّا في رحلة معه فانتهينا منها في الواحدة ليلًا، وكنّا في خمس سيَّارات، فسبَقَنا الشيخ، ففوجئتُ بأنّ إطار سيَّارتي قد ذهب هواؤُه فأصلحتُه ـ وقد ذَهَبَت السيَّاراتُ جميعًا ـ فما هي إلّا لحظات حتّى رجع إلينا الشيخ مع السيَّارات وسأل عن سبب التأخّر، فرأى السبب وعَلِم بالحال، فطلبنا من الشيخ أن يذهب إلى أهله وبيته ونحن نُصلِح الإطار ونَلْحَق بهم، فأبى : إلّا أن ينتظرنا لننتهي ممّا نحن فيه».
- وحدّث بعض تلامذته أنه كان يتّصل بالشيخ كلّ يوم، وفي يوم من الأيام لم يفعل ذلك، فما هو إلّا أن يدقّ جرس الهاتف ويتبيَّن للأخ أنه الشيخ الإمام الألباني!! وأنه افتقد هذا الأخ لعدم اتِّصاله فسارع للسُّؤال عنه.
- ودخل هذا الطالب نفسه المستشفى لحادث وقع له، وإذا بالشيخ الإمام يأتي لزيارته في المستشفى!! قال: فأثّرت هذه الزيارة فيَّ وفي أهلي الشيء الكثير.
- واستقبل الشيخ : طلبةَ عِلْمٍ جاؤُوهُ وهو على فراش الموت، وتحدَّث معهم ودعا لهم.
- حدَّث الشيخ حُسين العوايشة في منزله يقول: «زارني شيخُنا الألباني مرَّةً، فجلس على هذا الكرسيّ في هذه الغرفة، وكنتُ لا أستطيع أن أقدِّم له شيئًا على عُجالة، فقلتُ له: لا تُؤَاخذني يا شيخَنا، ليس عندي شيء جاهز أقدِّمُه

لك. فقال العوايشة: فسكتَ الشيخ ولم يتكلم، فقلتُ له: هل سؤالي هذا بدعة يا شيخ؟ فقال الشيخ: «الهدف المُطعِم للطعام».

- وقال الشيخ العوايشة أيضًا: «كان الشيخ يمرّ على بيوت تلامذته بنفسه يوقظهم لصلاة الفجر»[(١)].
- قال تلميذه محمد موسى نصر: «... وكان كلما زرناه في بيته أو خرجنا معه في رحلة، أو جاء إلينا، أو اجتمعنا به عند بعض إخواننا.. كان يبدأ أوَّلًا بالاطمئنان عنّا واحدًا واحدًا، ويُجاملنا، وما كانت تخلو جلساتُه من دُعابة تُدخِل جَوًّا من المرَح والسُّرور على جلسائه، ثمَّ بعدها يقول: ماذا عندك يا أبا أنس؟ ماذا عندك يا أبا فلان؟ فكانت مجالسه ـ يرحمه الله ـ كلّها جدًّا وعلمًا ومناقشةً ومُدراسَةً، والمزاح قليل في حياته ولو كان حقًّا.

وأذكر أنه فاجأني في إحدى هذه الرِّحلات قبل موعد الصلاة بوقت يسير، فقال: يا أبا أنس، زَوِّر في نفسك خُطبة الجمعة، فكان لا بُدّ من إطاعته، وكان يستدرك علينا ما يقع منّا من سهو أو خطأ أو سوء تعبير أو استدلال خاطئ أو غير ذلك، وكنّا نتلقى ذلك بقَبول حسن»[(٢)].

- وممّا ذكره الشيخ حسن بن خالد عشيش: «أنّ الشيخ قد عُرِف بالتواضع الجمّ الذي لا يُدَانيه فيه أحَد، فأذكر في عام ١٩٦٥م أو ١٩٦٦م كان عُمري يومَها بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة، بَعَثْتُ له برسالة أنا وأخ سلفيّ ندعوه فيها أن يَقْدَم علينا، ولا نتخيَّل أنّ الشيخ يُلَبِّي نظرًا لِصِغَر السِّنّ وأنه لا يَعْرِفُنا، فما هي إلّا أيَّام وإذا بالشيخ الألباني يأتي إلى بيت الأخ الذي أشرتُ إليه، وإذا بالأخ يأتيني ويقول: بشراك! قلت له: ماذا؟ قال: إنّ الشيخ الألباني قد لبَّى دعوتَنا، فذهبنا في الشارع كالمجنونين»[(٣)].

---

(١) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني» (ص٤٣-٤٤).

(٢) «الإمام المجدِّد» (ص٤٨).

(٣) «صفحات بيضاء» (ص٤٤-٤٥).

- وقال تلميذه الشيخ محمد عيد عبَّاسي: «كنّا نسافر معه إلى المدُن في سيَّارته، وكان معنا من تلاميذه أيضًا محمود الجزائري، فأبَى الشيخ إلّا أن يَدْفَع نفقات السَّفر ويقول: دَعُوهَا أن تكون خالصةً لله. فنحاول أن ندفع ولكن يُصِرّ على أن يدفع هو المشوار مع أنه مُكلِف خصوصًا في ذلك الوقت».
- وقال بعض تلاميذه: «... حين جئتُ من الإمارات قبل شراء السيَّارة قال شيخنا : «لا أقول: سيارتي على حسابك، بل السيارة وصاحبها على حسابك!».
- قال: «وكم كان يتّصل ببعض تلاميذه يستشيرهم ويسألهم عن أمورٍ علمية وحديثية، وسألني عدّة مرَّات عن أمورٍ لغوية، مع أنه هو مرجعي في اللغة وغيرها».
- قال: «وكان يحرص على زيارة إخوانه، ولا سيما الضَّعَفَة منهم، حتّى إنه قد تخلّف ذات يومٍ أخٌ لنا ممَّن كان يُرافقنا في صلاة الفجر في سيارة شيخنا، فقال : ينبغي أن نذهب إليه لنطمئنّ عليه»[١].
- ومن عنايته ـ رحمه الله تعالى ـ وتقديره لطلّابه ذِكرُهم بلفظ الأخوَّة والمشيخة وثناؤه عليهم مع أنه هو المُعلِّم وهم المتعلِّمون، ولكنه تواضُع العلماء. ومن أمثلة ذلك:
قوله: «... وإذا بأخينا عبدالمجيد السلفي»[٢].
قوله: «... أخونا عبدالرحمن عبدالخالق»[٣].
قوله: «الأخ علي الحلبي».
وقال عنه أيضًا: «صاحب القلم السيَّال الأستاذ النِّحرير علي بن حسن الحلبي أبي الحارث»[٤].

(١) «الإمام المجدِّد والعلامة المحدِّث» عمر أبو بكر (ص٦١-٦٢).
(٢) «الإمام الألباني» (ص٢٦).
(٣) «الإمام الألباني» (ص٣٢).
(٤) مقدمة الجزء السادس من «السلسلة الصحيحة».

وقوله: «في تعليق الأخ مشهور على كتاب «الخلافيات»...»[(١)].

وقوله: «كان مُقْبِل من أجود الطلّاب عندي، والآن أصبح الشيخ مقبل»[(٢)].

وقوله: «فهذا هو الشيخ الفاضل مقبل بن هادي اليماني..»[(٣)].

- بقي الشيخ الألباني في الجامعة الإسلامية ثلاثَ سنواتٍ أستاذًا للحديث وعلومه، كان خلالها مثالًا للجدّ والإخلاص، فقد قال رحمه الله تعالى:

«كنت مع الطلّاب كأنِّي واحدٌ منهم، وهنا صُوَرٌ تُقرِّب لكم هذه الحقيقة:

مثلًا: إذا انتهيتُ من حصَّتي من تدريس وجاءت الفسحة، كعادة الأساتذة ينطلقون من درسهم إلى غرفة الاستراحة وهناك يجلسون مدّة الفسحة يشربون الشاي أو القهوة ويتحدّثون شتّى الأحاديث.. أمَّا أنا فكنتُ أُعْرِض عن ذلك كلّه، وأخرُج من الدرس إلى الساحة وأجلس على الأرض الرَّملية، ويجتمع الطلّاب الذي كنتُ أدرِّسُهم قُبيل دقائق، ويجتمع الطلاب من كلّ السنوات؛ لأنّ الحلقة في العراء، وألقي عليهم بعض التوجيهات وبعض النصائح، وأجيبُهم عن بعض الأسئلة، وهكذا قضيتُ كلّ السنوات التي درَّستُها في الجامعة.

وأذكر جيِّدًا أنّ من يُسمَّى في مصطلح الجامعات بـ«المُعيد» أنه مرَّ عليَّ ذات يوم قال: السَّلام عليكم، قلت: عليكم السلام. قال: ما تدري يا شيخ أنّ الدرس الحقيقي هو هذا.. لأنّ الطلّاب في هذه الحلقة كانوا على حُرِّيتهم، أمَّا في الدرس النِّظامي.. صحيح أنني كنت معهم واسعًا أيضًا، لكن مع ذلك لا بُدّ من حدود وقيود»[(٤)].

- ويقول الشيخ: «كنتُ أحمل معي في السيَّارة مَن أُصادِف من الطلّاب إلى الجامعة أو إلى المدينة، وهكذا كان الحال، ففي جميع الأحيان تكون السيَّارة مملوءةً بهم في الذهاب والإياب».

---

(١) «السلسلة الضعيفة» (٥/ ٣٨٢).

(٢) «صفحات بيضاء» (ص٦٢).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (٥/ ٩٥).

(٤) «الإمام الألباني حياته ـ دعوته ـ جهوده في خدمة السنّة»، تأليف: محمد بيُّومي (ص٣١).

- حتى وصل الأمر برغبة الطلّاب وتعلقهم بالشيخ وشعورهم أنه لا فرق بينهم وبين أستاذهم: ما حصل في أحَد الأيام أنّ الشيخ جاء إلى إدارة الجامعة بعد انتهائه من محاضراته فترك سيَّارته أمامَ الإدارة ودخل، فإذا بالأستاذ محمَّد عبدالوهاب البنّا يريد النزول إلى المدينة فخرج مع الشيخ إلى سيَّارته لتوصيله معه، فإذا بالسيَّارة مملوءة بالطلّاب، فلمَّا رأوا الشيخ البنّا اضطُرَّ أحدُهم للتنازل له، وهكذا الحال[١].
- وقال تلميذه الشيخ عصام هادي: «... ولما حضرت الصلاة ـ وكانت صلاة المغرب ـ أردنا أن نُصلِّي وإذا بشيخنا يطلب من العُبيلان أن يتقدّم إمامًا فاعتذر، فقال شيخنا: أشعُر أنك أحقّ منِّي بالإمامة، فاعتذر أشدّ الاعتذار، وأمَّنا شيخُنا : ، ثمَّ بعدها انطلقنا فقال شيخنا للعبيلان: أين تريد أن تذهب؟ فقال: إلى الفندق، وأصرَّ شيخنا أن يُوصله بنفسه، ولكن ـ مع الأسف ـ لم نكن نعرفُ مكان الفندق بالضبط، وكان الأخ أيضًا حديثَ عهد به، فبحثنا فلم نهتدِ إليه، فأنزله شيخُنا في أقرب مكان من منطقة الفندق.

ولمّا زار الأخ الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي الأردن عقد شيخُنا ـ إكرامًا له ـ عدّة مجالس، ولمّا كان آخر مجلس له وكان في صبيحة اليوم التالي موعد سفر الأخ حمدي بعد الفراغ من المجلس قام شيخنا : بتوديع الأخ حمدي، وعانق كلّ منهما الآخَر بحرارة والدموع تسيل من كليهما في موقف ما شهدتُ مثله بين شيخ وتلميذه، ثمَّ قال شيخنا للأخ حمدي: اركب معي، فركب معه، ثمَّ أوصله إلى بيت خالنا الشيخ محمد إبراهيم شقرة، فلمّا وصل شيخُنا عند بيت خالنا لقيتُه مُسلِّمًا عليه قائلًا: والله يا شيخَنا لقد كبرت في عيني لمّا رأيتُك تصنع بتلميذك هذا الموقف الذي أثّر فيَّ، فقال شيخنا: يا عصام، عرفتني متأخِّرًا.

(١) «الإمام المجدِّد العلّامة المحدِّث محمد ناصر الدِّين الألباني» (ص٢٥-٢٦).

ثمَّ أصرَّ شيخنا أن يأتي بعد صلاة الفجر في اليوم التالي إلى بيت خالنا ليأخذ الشيخ حمدي بنفسه ويوصله إلى المطار»[(١)].

- وقال عصام موسى هادي أيضًا: «لمّا منّ اللهُ عليَّ بالزواج سنة ١٩٩١م زارني شيخُنا في بيتي في اليوم الثاني من الزواج، وعقد في بيتي مجلسًا علميًّا، وبعد عدّة أيام اتّصل بي شيخنا يدعوني إلى مجلس علم في بيته، فذهبتُ، فلمّا انفضّ المجلس أخذ الإخوة بالمغادرة، فتقدّمتُ مصافحًا شيخَنا ومودِّعًا، وإذا به يُمسك بيدي ويُجلسُني بجانبه، فلمّا ذهب الجميع قال لي: لقد خططنا أنا وأمّ الفضل أن نقدِّم لك مساعدة، فأنت حديث عهد بزواج ولا عمل لديك، فقلت: يا شيخنا جزاك اللهُ خيرًا فقد يسَّر اللهُ لي عملًا، ووالدي قدّم لي مساعدة، ولعلك تعرف من أحوج بها منِّي.
- قال: «وكان يتردَّد على شيخنا طالبٌ عُماني يدرس في الأردن كنيتُه «أبو عبدالرحمن»، فبينما هو ذات يوم في بيت شيخنا ولا يوجَد إلّا أنا وشيخنا والأخ العُماني قال شيخنا له: من يغسل ملابسك؟ فقال الأخ العُماني: أنا. فقال شيخنا: أحضر ملابسك إليَّ ونحن نغسلها. فقال الأخ العُماني والحياء قد أخذ بمجامعه: لا أريد أن أغلبك، أو قال: أتعبك، فقال شيخنا وهو يبتسم: لا تتعبنا وإنما تتعب الغسَّالة.
- قال: «وعمل عند شيخنا طالب علم كان يدرس في المعهد الشرعيّ، وفي وقت فراغه يأتي عند شيخنا فينسخ له، فحدّثني هذا الطالب بأنّ شيخنا قال له مرَّةً: أرني هذا الكتاب الذي معك ـ لكتاب كان معه ـ، ثمَّ أخذ شيخنا ينظر في الكتاب، ثمَّ خرج من المكتبة ومعه الكتاب ثمَّ عاد وأعاد الكتاب للطالب، فلمّا خرج الطالب من عند شيخنا قال: لاحظتُ أنّ في الكتاب شيئًا، فلمّا نظرتُ وإذا بشيخنا قد وضع فيه مالًا»[(٢)].

---

(١) «محدِّث العصر» عصام هادي (ص٢٣-٢٤).

(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٢٤-٢٥).

- قال: «... وكان يُشاور تلامذته فيما يُشكِل أو يحتاج إلى رأي، ولقد قال لي أكثر من مرَّة: ما رأيُك يا أستاذ في هذه المسألة؟ وكان يتّصل أيضًا على شيخنا أحمد السالك[1] ويُشاورُه أيضًا وخصوصًا في مسائل اللغة، ولمّا جاء الأخ خالد العنبري إلى الأردنّ وتردَّد على شيخنا في مكتبته وسأله يومَها عن عدّة أشياء... كان بين يدي شيخنا كتابه «صحيح موارد الظمآن»، فشاورني وشاور الأخ خالدًا في مسألة عرضت له في حديث أنس في الرَّجُل الذي كان كاتبًا لرسول الله ﷺ ثمَّ ارتدّ فلَفَظَتْهُ الأرض، وهذا يدُلّ على تواضعه : وشدّة تحرِّيه الحقّ»[2].
- وقال الشيخ محمد بن الأمين بوخبزة الحسني المغربي: «... اعتمرتُ سنة ١٤٠٤، وفي رجوعي عرّجتُ على دمشق واتّصلتُ بولده ـ أي ولَد الشيخ الألباني ـ الأخ عبداللطيف، وسألتُه عنه فأخبرني بأنه خرج من دمشق فارًّا بدينه وأنه استقرَّ الآن بعَمَّان، ودلّني على عنوانه، فذهبتُ إليه واهتديتُ لمنزله الجديد الذي شارك في بنائه بنفسه، فرحَّب بي وأخبرني أنه قدم يومَه من الإمارات، وأنه أُجريت له عمليةٌ جراحية، وأنه مُتعَب، ولولا معرفتُه ورغبتُه في الاجتماع ما سمح به، ولأنه مُراقَب، فجالستُه : ساعةً أعُدُّها من أبرك ساعات العُمر، وأهدى إليَّ الجزء الرَّابع من «السلسلة الصحيحة» وكان حديثَ الصدور وفي تجليد فاخر، وكتب الإهداء بخطِّه، فاستأذنتُه في الرِّواية مناولةً فقال: وما معنى الإهداء لأهل العلم إلّا ذلك؟ ونزل بي من منزله بأعلى جبل الهملان إلى المسجد الحسيني بسيَّارته..»[3].

---

(١) أحمد السالك الشنقيطي: قال عنه الشيخ الألباني: أفقه أهل الأردن، وكان يقول عنه: أشتري مجالسة السَّالك بالذهب. «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٩٨).

(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص٩٩).

(٣) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدِّين الألباني : » بقلم الشيخ العلّامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدّم له: د. جمال عزّون.

- وممّا حدّثني به وكتبه إليّ الأخ سامي خليفة: «كان الشيخ رحمه الله تعالى إذا ركب معهُ شخصٌ مّا في أثناء ذهابه للمسجد يقوم رحمه الله تعالى بعد الصلاة بانتظار ذلك الرَّجُل حتى يوصله إلى المكان الذي حمله منه».
- وكتب إليَّ أيضًا: «مرَّةً ركب معه غلامٌ صغير من الحيّ الذي يسكُن فيه وهو متّجهٌ إلى صلاة التراويح بمسجد صلاح الدِّين، وبعد الفراغ من الصلاة ركب الشيخ سيَّارته وما زال فيها ينتظر ذلك الغلامَ ليُرجِعه، فلم يأتِ الغلام، وتحرَّج الشيخ أن يرجع بدونه، فقلتُ ـ سامي خليفة ـ للشيخ: تفضّل أنت بالذهاب وأنا سأبحثُ عنه وأتكفّل بإرجاعه».
- وكتب إليَّ أيضًا قال: «اتَّصل به شابٌّ هاتفيًّا، فلمّا رفع الشيخ سماعةَ الهاتف بادرَهُ الشابُّ بقوله: أنا شابٌّ حديث عهد بالالتزام، وقد سمعتُ أنّك تُغلق الهاتف بسُرعة فإيَّاك أن تُغلق الهاتف حتّى أنهي كلامي! فضحك الشيخُ وأعطاهُ ما يريد».

ردود الشيخ الألباني

أكثر الشيخ الألباني رحمه الله تعالى من الرُّدود في ثنايا كتُبه وصنَّف كتبًا مستقلّةً في الردّ، وأخذ بعضهم هذا المأخذ ـ وردوده قليلة في جانب كلامه الواسع عن التخريج والكلام على فقه الأحاديث ـ، وللجواب عليه أقول هنا:

لقد غلب على بعض أهل العلم إفراد كثير من مصنفاتهم في مسلك مخصوص، وهذا أمر مألوف عندهم، ومن هذا الباب عُرِف عن غير واحد من أهل العلم كثرة مصنفاته في نوع معيَّن.

فمثلًا: الإمام ابن أبي الدنيا ـ رحمه الله تعالى ـ غلب على كثير من مصنفاته جانب الرَّقائق والأخلاق، مثل:

«التواضع والخمول».

«الحلم».

«الرِّقّة والبكاء».

«الصَّمت وآداب اللسان».

«الهمّ والحزن».

«الورع».

«القناعة والتعفف».

«محاسبة النفس».

إلى غير ذلك من هذا الباب.

وكذا الإمام الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ كثير من مصنفاته في علوم

الحديث وأهله، حتى قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقلَّ من فنون الحديث إلّا وقد صنَّف فيه كتابًا مفردًا، فكان كما قال الحافظ أبو بكر ابن نقطة رحمه الله تعالى: كلّ مَن أنصف عَلِمَ أنّ المحدِّثين بعد الخطيب عيال على كتبه».

ومن مصنفات الخطيب في هذا الباب:

«الكفاية في علم الرِّواية».

«الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة».

«السَّابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد».

«غنية الملتمس إيضاح الملتبس».

«الموضح لأوهام الجمع والتفريق».

«الجامع لأخلاق الرَّاوي والسامع».

«الرِّحلة في طلب الحديث».

«شرف أصحاب الحديث».

ومثلهما الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى، فقد غلب على كثير من مصنفاته شروح بعض الأحاديث النبوية، فمن ذلك:

«جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم».

«اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى».

«نور الاقتباس في مشكاة وصية النبيﷺ لابن عباس».

«شرح حديث: ما ذئبان جائعان».

«شرح حديث: يتبع الميت ثلاثة».

وعودًا على بدء.. إذا تقرَّر هذا وعُرِفَ أنّ من مسلك بعض المصنِّفين قَصْرَ مصنفاته على نوع معيَّن من منهج التأليف فيقال هاهنا:

إنّ ما سلكه الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ ليس بِدعًا من التصنيف، بل إنّ

كتُب ردود الشيخ الألباني تعتبر قليلةً بالنظر إلى غيره من أهل العلم، وعودًا على بدء يقال:

إنّ منهج الرَّدّ نفسه قد سلكه جمعٌ من أهل العلم، فمنهم المستقلّ ومنهم المستكثر، بل إنّ الناظر والمتصفِّح لتراجم العلماء وفهارس المكتبات يجد من كتب الرُّدود ما لا يحصيه ديوان كاتب.

وأكتفي هنا بذكر بعض المصنفات في الرُّدود لإمام كبير من الثلَّة المقدَّمة في العلوم النقلية والعقلية، أعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فمن مصنفاته:

«مسائل الإسكندرية في الرَّدّ على الملاحدة والاتحادية» (وهي المعروفة بالسبعينية).

«الرَّدّ على أهل كسروان الرَّافضة».

«الرَّدّ على من قال إنّ الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين».

«الرَّدّ على منكري المعاد».

«الرَّدّ على ابن سينا».

«الرَّدّ على القدرية وعلى الجبرية».

«الرَّدّ على من لم يكفر فرعون».

«الرَّدّ على أهل الاتِّحاد».

«الرَّدّ على ابن عربي».

«إثبات الرُّؤية والرَّدّ على نفاتها».

«الرَّدّ على من قال بفناء الجنة والنار».

«بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (كشف فيه أسرار الجهمية وهتك أستارهم).

«منهاج السُّنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (ردّ فيه على ابن المطهِّر الرَّافضي).

«الرَّدّ على النصارى» سماه «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح».

«الرَّدّ على البَكري».

«الصَّفَدية» (في الرَّدّ على الفلاسفة).

«الرَّدّ على القائلين بالكلام النفسي»[(١)].

وإذا عُلِمَ تنوُّع المصنِّفين في مسالك التصنيف وغلبة مسلكٍ على غيره فليعلم أنّ مسلك الرَّدّ على المخالفين بالعلم ولزوم أدب الخلاف من الأهمية بمكان؛ لِمَا فيه من كشف الشبهات والرَّد عليها والتنبيه على الشهوات والتحذير منها.

وممَّا ينبغي أن يقال في هذا المقام أيضًا:

منهج الرَّد جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها:

﴿ ´ µ ¶ ¸ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ ... ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وممَّا يُذكَر لزامًا في هذا المقام كلامٌ من نفائس شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في عظيم شأن الرُّدود على المخالفين، وحسبك بمن له يدٌ طولى في الرَّدّ على المخالفين قوليًّا وكتابيًّا، فكيف إذا كان المقصود شيخ الإسلام؟

ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ «الفروع أمرُها قريب، ومن قلّد فيها أحدًا من العلماء المقلَّدين جاز له العمل بقوله ما لم يتيقّن خطأه.

وأمّا الأصول: فإنِّي رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء ـ كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة وغيرهم من أهل البدع ـ قد تجاذبوا فيها بأزمّة الضلال، وبان

(١) وجميع ما ذكرته هنا مأخوذ ـ باختصار وتصرُّف ـ من «العقود الدُّرِّية» لابن عبد الهادي (ص٢٦-٦٧).

لي أنّ كثيرًا منهم إنما قصد أبطال الشريعة المقدّسة المحمَّدية الظاهرة العليَّة على كلّ دين، وأن جمهورهم أدفع الناس في التشكيك في أصول دينهم...».

إلى أن قال رحمه الله تعالى: «فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كلّ من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حُجَجهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيِّف دلائلهم ذبًّا عن الملة الحنيفية والسُّنة الصحيحة الجليلة» انتهى باختصار.

ومما يُذكَر في هذا المقام أيضًا كتاب «الرَّد على المخالف من أصول الإسلام» للشيخ بكر أبو زيد أثابه الله تعالى، وقد خصَّص المبحث السادس من كتابه لذِكر ثمرات القيام بهذه الوظيفة الشرعية ـ يعني وظيفة الرَّد على المخالفين ـ فذكر سبع ثمرات:

١ - اتِّقاء المضارّ الناجمة عن السُّكوت.

٢ - نشر السُّنّة وإحياء لما تَآكل منها.

٣ - من أهم المهمَّات: نصح المخالف ونصح لجميع المسلمين.

٤ - تنقية السَّاحة من المنكودين بالتعريف عليهم بما خالفوا به أمر السُّنّة والكتاب.

٥ - أن الدفع للمخالفات المذمومة كفّ لبأسها عن المسلمين.

٦ - دفع الإثم عن المسلمين بالقيام بهذا الفرض الكفائي.

٧ - نيل شرف الرُّتبة بالقيام بهذه الحسبة للذبّ عن الشريعة[(١)].

وبيت القصيد ومحطّ الرَّكب هنا أنّ مسلك الرَّدّ على المخالفين والتفريق بين الخلاف في الأصول والخلاف في الفروع ولزوم آداب الخلاف هو ممّا عُني به أهل العلم سابقًا ولاحقًا، وشواهد ذلك كثيرةٌ، «وفي طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل»، فكتب الرَّد كثيرة وتقدّم ذِكر أمثلة يسيرة.

---

(١) انتهى من (ص٨٥-٨٦) باختصار، لكن لا بُدّ أن يفرّق بين الخلاف في مسائل الأصول وبين مسائل الفروع.

وإليك شيئًا ممَّا كتبه الشيخ الألباني في مقام الرُّدود:

«السلسلة الصحيحة» الجزء الأول:

- الرَّدّ على الشيعة الطاعنين في أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، حديث ٣٣٦.
- الرَّدّ على بعض المعاصرين الطاعنين في عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، حديث ١٥٥.
- الرَّدّ على بعض المتصوِّفة الذين يُطيعون شيوخَهم في معصية الله تعالى، حديث ١٨١.

«السلسلة الصحيحة» الجزء الثالث:

- الرَّدّ على من زعم أنّ لكربلاء فضيلة (ص١٦٢).

«السلسلة الصحيحة» الجزء الرابع:

- الرَّدّ على القاديانية (ص٢٥٢). وانظر أيضًا: «السلسلة الضعيفة» (٦/ ٥٢).
- الرَّدّ على الشيعة (ص٣٥٩).

«السلسلة الصحيحة» الجزء الخامس:

- الإنكار على أصحاب الطرُق المخالفين للسُّنّة في حلقات الذِّكر (ص١٣).

«السلسلة الصحيحة» الجزء السادس:

- الرَّدّ على الطاعنين في الإمام محمد بن عبدالوهاب : (ص٣٠٥).
- الرَّدّ على الشيعة الطاعنين في أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها (ص٦٥٦).

«السلسلة الصحيحة» الجزء السابع:

- الرَّدّ على حسن السَّقّاف (ص٣٥٣).
- الرَّدّ على القائلين بأنّ الله ليس في السَّماء (ص٤٧٢).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الأول:

- الرَّدّ على الصوفية (ص٧٩).
- الرَّدّ على المتزهِّدين الجهَّال (ص٧٤).

- الرَّدّ على القاديانية (ص٢٥٥).
- الرَّدّ على القومية العربية (ص١٩٧).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الثاني:

- الرَّدّ على المستحسنين للبدع (ص١٧-١٩).
- الرَّدّ على من يجيز الاستغاثة بالموتى (ص١١١).
- الرَّدّ على المدعوّ عبدالمحسن الموسوي الشيعي (ص٢٩٥).
- التحذير من الكرَّامية (ص٤٢٢).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الثالث:

- التحذير من «كتاب الكافي» للكليني الرافضي (ص١٩٩).

«السلسلة الضعيفة» الجزء الخامس:

- «الرَّدّ على أحَد الشيعة (ص١٦٦).
- الرَّدّ على الخميني (ص٨٨).

«السلسلة الضعيفة» الجزء العاشر:

- الرَّدّ على أحد الشيعة (١٠/١٠، ٥٣٨، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٥٩، ٦٧٥، ٦٨٠، ٧٠٢، ٧١٣، ٧٢٠).
- الرَّدّ على الخميني (ص١٠).

حِدَّة الإمام الألباني في بعض ردوده

بادئ بدء أقول:

إنّ الأصل في ردود الشيخ الألباني عدم القسوة، ويوضح هذا قوله : :

«... وقد نمي إليَّ أنّ بعض الأساتذة رأى في ردِّي على الدكتور شيئًا من الشدّة والقسوة في بعض الأحيان، ممَّا لا يَعْهَدون مثله في سائر كتاباتي وردودي العلمية، وتمنّوا أنه لو كان ردًّا علميًّا محضًا»[1].

بعد هذا أقول: يعلم الله تعالى أنني أكره تلك الحدّة الكتابية في بعض كتُب الشيخ، وبخاصة إذا كان المردود عليهم من أهل الفضل والعلم والسنّة، وكان الشيخ هو المبتدئ في الردّ.

ولكن ممَّا ينبغي أن يُعلم أنّ المردود عليه إذا كان هو المبتدئ ـ وكان قاسيًا في ردِّه ـ فيشفع للإمام الألباني: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ ´ µ ¶ ¸ ﴾[2].

ولا شكّ أنّ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[3] أفضل، وبخاصة في شأن أولي الفضل والعلم والسنّة.

وممّا ينبغي تقريرُه هنا أمور:

- **الأول:** أنّ الأصل في الردّ على المخالفين الترفّق بهم، وذلك عائدٌ إلى السياسة الشرعية التي خير مَن يقدرها ويعلم مقاصدها العلماء الرَّاسخون.

---

(١) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص جـ).

(٢) الشورى: ٤١.

(٣) الشورى: ٤٣.

والإمام الألباني : قد عني بهذا، ومن شواهد ذلك قوله رحمه الله تعالى:

«... وعلينا أن نترفّق في دعوتنا المخالفين إليها، وأن نكون مع قوله تبارك وتعالى دائمًا وأبدًا: ﴿ v w x y z { | ~ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1].

وأوَّل من يستحقّ أن نستعمل معه هذه الحكمة هو من كان أشدَّ خصومةً لنا في مبدئنا وعقيدتنا، حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحقّ التي امتنَّ الله ﷻ بها علينا، وبين ثقل أسلوب الدعوة إلى الله ﷻ.

فأرجو من إخواننا جميعًا أن يتأدَّبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله ﷻ ولا يريدون جزاءً ولا شكورًا...»[2].

- **الثاني**: أنّ الإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ من أبعد الناس عن الألفاظ النابية والفحش من القول؛ بينما ترى في بعض ألفاظ من ردَّ عليه فحشًا في القول وبذاءةً في انتقاء الكلمات.
- **الثالث**: أنّ ما ورد في ردود الشيخ من قسوة في اللفظ يعتبر نادرًا بالنسبة لكثرة من ردَّ عليهم، ولذا عندما قسا على أحدهم في ردِّه قال ـ ليبيِّن سبب قسوته غير المعهودة ـ كما تقدّم نقله:

«... وقد نمي إليَّ أنّ بعض الأساتذة...»[3] إلخ، وسيأتي نقل كلامه كاملًا بعد قليل.

- **الرابع**: أنّ ما يحصل أحيانًا من قسوة الشيخ رحمه الله تعالى في رُدوده يكون باعثه عظيم جناية المردود عليهم حسب تقدير الشيخ رحمه الله تعالى، وإليك شواهد من ذلك:

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) «الإمام الألباني» تأليف: محمد بيومي (ص١٤٠).

(٣) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص جـ).

قال رحمه الله تعالى: «... وقد كنتُ أوَّلًا أَرُدُّ على هذا السقّاف بأسلوب علميٍّ مفعم باللِّين والرِّفق، فلما وجدتُه يقع في الصحابة وأهل السنّة والحديث ويفتري عليهم أغلظتُ عليه ـ على غير عادتي ـ والله الموعد»[(١)].

وقوله رحمه الله تعالى أيضًا: «... وهناك سببٌ أقوى استوجب القسوة المذكورة في الردّ ينبغي على ذلك البعض المشفق على الدكتور أن يُدْرِكه، ألَا وهو جلالة الموضوع وخطورته الذي خاض فيه الدكتور بغير علم، مع التبجُّح والادِّعاء الفارغ الذي لم يُسبَق إليه، فصحَّح أحاديث وأخبارًا كثيرةً لم يقُل بصحَّتها أحد، وضعَّف أحاديث أخرى تعصُّبًا للمذهب وهي ثابتة عند أهل العلم بهذا الفنّ والمشرب، مع جهله التامِّ بمصطلح الحديث وتراجم رواته، وإعراضه عن الاستفادة من أهل العلم العارفين به، ففتح بذلك بابًا خطيرًا أمام الجهَّال وأهل الأهواء أن يُصحِّحوا من الأحاديث ما شاؤوا ويُضعِّفوا ما أرادوا، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيِّئةً فعليه وزرُها ووزرُ من عمِل بها إلى يوم القيامة»[(٢)].

وخرَّج : في «الضعيفة» حديث: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرَّت، ثمَّ أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت، ثمَّ أوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة»، ثمَّ قال بعد تخريجه:

«هذا الحديث من الأحاديث الكثيرة الضعيفة التي ضخّم بها الشيخ الصابوني الحلبي كتابه «مختصر تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٧٠)، وما كنتُ لأهتمَّ بذلك لولا أنه تشبَّع بما لم يُعطَ و زعم في مقدّمته أنه اقتصر فيه على الأحاديث الصحيحة، وواقع الكتاب يكذِّبه»[(٣)].

(١) «الإمام الألباني» تأليف: محمد بيومي (ص١٣٢).
(٢) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص هـ).
(٣) «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٣٠٤) (١٣٠٥).

• **الخامس**: إذا عُلم ما سبق فيقال: إنّ من أسباب قسوة الشيخ شناعة ردّ المخالفين، وبخاصة إذا كانوا مبتدئين في الردّ.

وقد نال الألباني رحمه الله تعالى كثيرٌ من سهامهم، حتى أخرجه بعضهم عن الإسلام! فضلًا عن الطعن في معتقَده.

ومن شواهد ذلك قوله رحمه الله تعالى ـ وقد تقدّم نقله ـ عندما ردَّ على أحدهم:

«... وقد نمي إليَّ أنّ بعض الأساتذة رأى في ردِّي على الدكتور شيئًا من الشدّة والقسوة في بعض الأحيان، ممّا لا يعهدون مثله في سائر كتاباتي وردودي العلمية، وتمنّوا أنه لو كان ردًّا علميًّا محضًا.

فأقول: إنني أعتقد اعتقادًا جازمًا أنني لم أفعل إلّا ما يجوز لي شرعًا، وأنه لا سبيل لمنصف إلى انتقادنا، كيف والله ﷻ يقول في كتابه الكريم في وصف عباده المؤمنين: ﴿ u v w x y z { | } ~ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ © لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ ´ µ ¶ ¸ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[(١)]. فإنّ كل من يتتبع ما يكتبه الدكتور (.....) في كتُبه ورسائله ويتحدّث به في خُطبه ومجالسه يجده لا يفتأ يتهجَّم فيها على السلفيِّين عامَّة وعليَّ من دونهم خاصَّةً، ويُشهِّر بهم بين العامَّة والغوغاء، ويرميهم بالجهل والضلال، وبالتبله والجنون، ويُلقِّبهم بـ«السفليِّين» و«السخفيين»!!

وليس هذا فقط، بل هو يحاول أن يُثير الحُكَّام ضدّهم برميه إياهم بأنهم: عملاء للاستعمار! إلى غير ذلك من الأكاذيب والترَّهات»[(٢)].

---

(١) الشورى: ٣٩-٤٣.

(٢) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» المقدمة (ص جـ).

• **السادس**: ممّا يؤكِّد ما اشتهر به الشيخ من هدوئه مع حدّة الطرف الآخَر حادثتان حكاهما الشيخ بنفسه:

الأولى: قوله: «... زرتُ أحمد شاكر في الفندق في المدينة المنوَّرة، وجرى بيني وبينه نقاشٌ حول توثيق ابن حبَّان، ولكن الشيخ أخذتهُ حِدّة فكان شُعلةَ نار لم أتمكّن من مواصلة النقاش معه، ولا أدري هل هذه الحِدّة في طبعه أم أنها من المرض الذي أصابه، فقد كان حينها قد أصابه الإعياء»[١].

والثانية: سمع منه بعضُ تلاميذه: «.. أنه ـ رحمه الله وأثابه ـ لمّا لقي الشيخ أحمد بن الصدِّيق ـ الغُماري ـ بظاهرية دمشق وتذاكرا، وكان الشيخ ناصرٌ يأتيه بنوادر المخطوطات الحديثية التي لم يرها الشيخُ الغُماري وربّما لم يسمع بكثيرٍ منها، وفيها أعلاقٌ بخطوط مُؤلِّفيها أو سُمِعَت على كبار الحفّاظ، وفي أثناء المذاكرة والمناقشة احتدَّ الغُماري وصاح ـ وكان في خُلُقه حِدّة، خصوصًا إذا نوقش في مُعتقَدِه ... ـ، فردَّ عليه الشيخ ناصر بهُدوءٍ: كيف تفعلُ هذا يا شيخ أحمد وأنت عربيٌّ وشريفٌ هاشميٌّ كما تقول، وأنا أعجميٌّ ومع هذا أحتفظ بهدوئي وأدبي؟!»[٢].

• **السابع**: الشيخ الألباني : في حدّته ليس بدعًا من أهل العلم، فهناك أئمَّة من فحول أهل السنّة تعتريهم حدّة في أقلامهم وألسنتهم غيرةً على الدِّين وحُرُماته وأحكامه... فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ على سعة علمه وجلالة قدره ـ كانت تعتريه حِدَّة كما هو معروف في ترجمته، وقد كان يكسر تلك الحدّة ويقهرها بحلمه.

والإمام ابن خُزَيمة رحمه الله تعالى في «كتاب التوحيد» يلحظ القارئ له بوضوح ـ في أبواب الكتاب ناهيك عمّا جاء في مضامين الكلام ـ شدّة الإمام على المخالفين.

(١) «محدِّث العصر» (ص٨٨).

(٢) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدِّين الألباني : » بقلم الشيخ العلّامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدّم له: د. جمال عزّون.

- **الثامن**: أنّ تلك الحدّة في الإمام الألباني ـ بالإضافة إلى ما اختاره من الأقوال التي خالفه فيها كثيرون ـ تُغمَر في بحر علمه وجهاده في نشر السنّة ونصرها والدِّفاع عن أئمَّتها، وما أجمل مقولة الذهبي في آخر ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال:

«... وقد انفرد بفتاوى نِيلَ من عِرضِه لأجلها، وهي مغمورةٌ في بحر علمه، فالله تعالى يُسامحُهُ ويرضى عنه، فما رأيتُ مثله، وكلّ أحَد من الأمّة فيؤخذ من قوله ويُترك، فكان ماذا؟»[1].

ويقال هاهنا أيضًا:

إنّ حدّة الألباني رحمه الله تعالى يقابلها رقّة قلب فضلًا عن سرعة رجوع إلى الصواب متى تبيَّن له، مع ذِكره لمن دلّه على الصواب وشكره له.

وممّا ينبغي تقريره هنا أنّ من جرت بينه وبينهم ردود من علماء السنّة فإنّ تلك الرُّدود ـ وإن كثُرت أو قلّت ـ لا تُؤثِّر في محبة بعضهم لبعض؛ فمثلًا: الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى مع حدّته التي ذكرها الشيخ ناصر عنه فمنزلته عالية عند الشيخ الألباني ينقُل عنه أحيانًا، ناهيك عن الثناء عليه.

ومن ذلك قوله: «... وهذا لا يمنعُني من أن أعترف أنّ هناك بعض الرِّجال المتأخِّرين لهم فضلهم الظاهر في هذا العلم، نستفيد كثيرًا من تحقيقاتهم وتعليقاتهم، كأمثال الشيخ أحمد شاكر وغيره من الأفاضل»[2].

وقوله أيضًا: «... عالمان فاضلان لهما وزنهما عندي، وهما: الشيخ أحمد شاكر : ، والشيخ بديع الدِّين الراشدي»[3].

---

(١) «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٣٩٧).

(٢) مقدّمة «السلسلة الصحيحة» (٤/ص م).

(٣) «السلسلة الضعيفة» (١٢/ ٣٧١).

ولمّا ذكر كتاب الشيخ أحمد شاكر «شرح وتخريج المسند» قال: «... للمحقِّق العلّامة أحمد شاكر رحمه الله تعالى، وهو أشهر من أن يُذكر»[١].

وقل مثل هذا في الشيخ حمود التويجري ـ رحمه الله تعالى ـ وما جرى بينه وبين الشيخ الألباني من ردود[٢]؛ فعلى رغم ما جرى بينهم من الرُّدود ـ أو بينهم وبين غيرهم من علماء السنّة ـ لا تجد فحشًا في القول ولا في القلم مع المخالفين، فكيف فيما بينهم؟ بل هو نقاش علميٌّ محض بقصد الوصول إلى الحقّ.

فرحم الله أحمد شاكر، والتويجري، والألباني، وجميع علماء السنّة.

***

- **فائدتان:**

الأولى: قال معاوية لأبي إدريس الخولاني: يا أهل اليمن، إنّ فيكم خلالًا ما تخطئكم. قال: وما هي؟ قال: الجود والحدّة وكثرة الأولاد. قال: أمّا ما ذكرت من الجود فذلك لمعرفتنا من الله ﷻ بحُسن الخلف، وأمّا الحِدّة فإنّ قلوبَنا مُلِئت خيرًا فليس فيها للشرِّ موضع، وأمَّا كثرة الأولاد فإنّا لسنا نعزل ذلك عن نسائنا. قال: صدقت، لا يفضض الله فاك[٣].

الثانية: «... لا بدّ من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرِّفق، كما قيل:

ووضع النَّدى في موضع السَّيف بالعلا
مُضِرٌّ كوضع السَّيف في موضع النَّدى[٤]

فالمحمود وَسَط بين العنف واللِّين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العُنف والحدَّة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرِّفق أكثر،

(١) «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد» (ص٢١).
(٢) انظر مبحث: بين الشيخين الألباني وحمود التويجري.
(٣) «تاريخ دمشق» (١٦٦/٢٦).
(٤) البيت للمتنبِّي.

فلذلك كثُر ثناءُ الشرع على جانب الرِّفق دون العُنف، وإن كان العنف في محله حسنًا كما أنّ الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحقّ الهوى، وهو ألذ من الزّبد بالشهد، وهكذا.

وقال عمر بن عبدالعزيز : روي أنّ عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأنِّي فكتب إليه معاوية: أمَّا بعد؛ فإنّ الفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرَّشيد مَن رَشَد عن العجلة، وإنّ الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبِّت مصيب أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العَجِل مخطئٌ أو كاد أن يكون مخطئًا، وإنّ مَن لا ينفعه الرِّفق يَضرُّه الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يُدرِك المعالي.

وعن أبي عون الأنصاري قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلّا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها.

وقال أبو حمزة الكوفي: لا تتّخذ من الخدم إلّا ما لا بُدّ منه، فإنّ مع كلِّ إنسان شيطانًا، واعلم أنهم لا يعطونك بالشدّة شيئًا إلّا أعطوك باللِّين ما هو أفضل منه.

وقال الحسن: المؤمن وقّاف متأنّ وليس كحاطب ليل.

فهذا ثناء أهل العلم على الرِّفق؛ وذلك لأنه محمودٌ ومفيدٌ في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على النُّدُور، وإنما الكامل مَن يُميِّز مواقع الرِّفق عن مواضع العُنف فيُعطي كلّ أمر حقه، فإن كان قاصرَ البصيرة أو أشكل عليه حُكم واقعة من الوقائع فليكن ميلُه إلى الرِّفق، فإنّ النّجح معه في الأكثر»[1].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/١٨٦).

عناية الشيخ بدروسه العلمية

هذا الإمام الفحل كبير في علمه، كبيرٌ في تواضعه؛ فمع سَعَة علمه واطِّلاعه كان على عناية تامَّة بشأن الدروس العلمية، فقد كان يُعنى بالتحضير والاستعداد لها، ممَّا يجعل تلك الدروس مليئةً بالفوائد والتوجيهات، فيُنهي الشيخ درسه مفيدًا ويقوم الطلّاب بعد فراغه مستفيدين، وإليك ما قاله الشيخ رحمه الله تعالى عندما سُئل عن دروسه، قال رحمه الله تعالى:

«... فكنتُ أقرأ عليهم المقطع من كتاب «الزاد» ثمَّ أعلِّق عليه بما عندي من علم سابق أو من تعليقات استحضرتُها قبل أن أحضر للدرس، وكان الدرس يومئذ ما بين ثلاثة أرباع الساعة والساعة الكاملة، ثمَّ بعد ذلك نصف ساعة للإجابة على الأسئلة»[1].

وقال أيضًا:

«... ومن كلّ هذه الدراسات كان هناك مجهودٌ علميّ، الأصل فيه هو التحضير، وكان من آثار ذلك: «التعليقات الجياد على زاد المعاد» الجزء الأوَّل، والتعليقات الموجودة على هامش «الرَّوضة النَّدِيَّة»، و«التعليق الرَّغيب على الترغيب والترهيب»؛ لأنه كانت طبيعتي أن لا أُلقي عليهم حديثًا إلّا بعد أن أتثبَّت من صحَّته والتأكّد ممّا يُراد من فقه أو معنى، هكذا كان إلقائي للدرس هناك»[2].

---

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٨).

(٢) «الإمام الألباني» (ص٢٩).

وإليك أيضًا ما قاله بعضُ تلاميذه عن عناية الشيخ رحمه الله تعالى بالدروس:

حكى تلميذه الشيخ محمد عيد عباسي عندما تحدّث عن الكتُب التي درَّسها الشيخ في دمشق، قال محمد عيد عباسي:

«... «الروضة الندِيَّة في شرح الدُّرَر البهية» للعلّامة محمد صدِّيق حسن خان، وهو جزءان كبيران، ولقد درسناه كاملًا بجميع أبوابه، من عبادات ومعاملات وبيوع، ونكاح وطلاق، وقصاص، وحدود وديات، ورهن، وصرف، وبغاة، وأطعمة وأشربة، وجهاد... إلخ. وكان أستاذنا ـ حفظه الله ـ يشرحُ البحوث شرحًا علميًّا محقّقًا يكادُ لا يترُك مسألةً صغيرةً ولا كبيرةً إلّا يُجلِّيها ويُوضِّح غامضها، ويُعلِّق على ما يقرأ موافقًا أو مخالفًا[1]، وهو في جميع ذلك يستند إلى أقوى الحُجج وأثبت البراهين»[2].

وقد كانت عنايته بالدرس مسلكًا ملازمًا له، يؤكِّد ذلك أنه لمّا كان في الجامعة الإسلامية كان يُعنى عنايةً تامَّةً بإيصال الفهم إلى أذهان الطلّاب، وإليك شاهدًا على ذلك:

فمن آثاره ـ رحمه الله تعالى ـ في الجامعة الإسلامية أنه وضع في منهج الحديث الذي يُدرَّس في الجامعة درس «علم الإسناد»، «فكان الشيخ يختار من «صحيح مسلم» حديثًا للسَّنة الثالثة، وآخَر للسَّنة الثانية من «سنن أبي داود» فيُسجِّله على السبورة بالسنَد ويأتي إلى كتُب الرِّجال ـ كـ«الخلاصة» و«التقريب» ـ فيعمل لهما دراسةً حديثيةً عمليةً في كيفية تخريج الحديث وكيفية نقده من رجاله، فكان يُعطي الطلّاب هذه الدروس العلمية من الكتُب»[3].

---

(١) في كتاب الشيباني: «مختلفًا»، ولعله خطأ مطبعي والمراد ما أثبت.

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٥٨).

(٣) «حياة الألباني» (١/ ٦١).

من رحلات الألباني العلمية

العالم كالغيث أينما حلّ نفع، وكان أهل العلم يجوبون أقطار الأرض لنشر العلم والخير بين الناس، وكان للإمام الألباني نصيبٌ من ذلك.

قال رحمه الله تعالى: «.. رتّبنا برنامجًا لزيارة بعض مناطق البلاد، ما بين حلب واللّاذقية إلى دمشق، وعلى الرغم من قصر الأوقات التي خُصِّصت لكل من المدن فقد صادفت هذه الرِّحلات نجاحًا ملموسًا؛ إذ جَمعت العديد من الرَّغبين في علوم الحديث على ندوات شبه دورية، يقرأ فيها من كتُب السنّة، وتتوارد الأسئلة، ويثور النقاش المفيد..»[(١)].

رحلته إلى حلب:

قال : : «ومن عادتي منذ بضع سنين أن أسافر إلى حَلَب أسبوعًا من كلِّ شهر، أقضيه أو أقضي غالبه في مكتبتها الوحيدة العامرة بالمخطوطات، وهي «مكتبة الأوقاف الإسلامية»، أقضي فيها ساعاتٍ من كلِّ يوم في دراسة مخطوطاتها ونسخ ما هو ضروريّ منها لمشروعاتي العلميَّة، وعلاوةً على هذا فإنِّي أتدارس السُّنَّةَ وعلومَها مع بعض الرَّاغبين في العلم، فأقوم بإلقاء عددٍ من الدروس في كلِّ أسبوع».

ولم تقف همَّة الشيخ رحمه الله تعالى على رحلاته الداخلية، بل وسَّع دائرة نشر علمه فرحل إلى خارج قطره، ومن ذلك:

---

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص١١١-١١٢).

رحلته إلى مصر:

قال : «لم يتيسَّر لي في المدّة القصيرة التي قضيتُها في القاهرة وفي الإسكندرية الاتِّصال إلّا بقليل من أهل العلم والفضل، أذكُر منهم على سبيل المثال الكاتب الإسلامي الكبير محبّ الدِّين الخطيب، والأستاذ محمَّد الغزالي، والشيخ عبدالرَّزاق عفيفي، والشيخ عبدالعزيز الرَّاشد.

وفي مدّة إقامتي في القاهرة كنتُ أتردَّد ـ كلّما سنحت لي الفرصة ـ إلى دار الكتُب المصرية لدراسة مخطوطات كتُب الحديث فيها، وكذلك فعلتُ حين سافرتُ منها إلى الإسكندرية، فكنتُ أتردَّد إلى مكتبتها المعروفة بالمكتبة البلدية، وقد استفدتُ من المكتبتين فوائدَ هامَّة جمَّةً، ونسختُ بيدي من المكتبة الثانية رسالةً للحافظ ابن حجر العسقلاني يحقِّق القول فيها في الأحاديث التي استخرجَها الحافظ القزويني من كتاب «مصابيح السُّنّة» وحَكَم عليها بالوضع».

رحلته إلى بيت المقدس:

قال : «ولقد شدَدتُ الرَّحْل إلى بيت المقدس لأوَّل مرَّة بتاريخ ٢٣/٥/١٣٨٥هـ حين اتّفَقَت حكومتَا الأردن وسوريا على السَّماح لرعاياهما بدخول أفراد كلٍّ منهما إلى الأخرى بدون جواز سفر، فاهتبلتُها فرصة فسافرتُ فصليت في المسجد الأقصى، وزُرتُ الصَّخرة للاطِّلاع فقط؛ فإنه لا فضيلة لها شرعًا، خلافًا لزعم الجماهير من الناس، ومُشَايعةِ الحكومات لها».

رحلته إلى الأندلس (إسبانيا):

في شهر رجب عام ١٣٩٢هـ الموافق لشهر آب من سنة ١٩٧٢م، بدعوة من مؤتمر اتِّحاد الطلبة المسلمين المنعقد في مدينة غرناطة.

رحلته إلى المغرب:

قال : «سَفرتي الأولى إلى المغرب آخِر الشهر الرَّابع من سنة ١٣٩٦هـ».

رحلته إلى قطر:

في شهر رمضان المبارَك ١٣٩٢هـ، وفي أوائل ربيع الأوَّل سنة ١٤٠٢هـ.

رحلته الثانية إلى الإمارات:

قال : «عُدتُ إليها بتاريخ ١٩٨٥/٣/٢٩م».

رحلته إلى الكويت:

عام ١٤٠٢هـ.

المملكة العربية السعودية:

وأمَّا المملكة العربية السعودية فكما هو معلومٌ مقامه في المدينة أثناء تدريسه في الجامعة الإسلامية، وبعد الجامعة كان يتردَّد على المملكة؛ فزار الرِّياض وغيرها، فضلًا عن مجيئه للحجّ والعمرة.

وضوح كلام الشيخ وعدم التكلف في اللفظ

عندما تقرأ بعض الكتب أو تسمع بعض المتكلِّمين فإنك تحتاج إلى قاموس لحلّ غامضها وكشف خفيِّها، وهذا النهج يتعسَّر من خلاله الحصولُ على الفائدة، وكان كلام النبيِّ ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسولُ الله ﷺ يسرِدُ كسردِكُم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بَيِّن فصل، يحفظُه من جلس إليه»[(١)].

قال بعضُ شُرَّاح الشمائل: «أي: ظاهر مفصول ممتاز بعضُه من بعض بحيث يتبيَّنُه من يسمعُه ويمكنُه عدُّه، وهذا أدعى لحفظه ورُسوخه في ذهن السامع مع كونه يوضح مراده ويبيِّنه بيانًا تامًّا بحيث لا يبقى فيه شبهة»[(٢)].

وكلام الشيخ الألباني : يفهمُه العامي والمتعلِّم، ويفهمُه الصغير والكبير، كلامُه في منتهى الوضوح لا غُموض فيه ولا تكلّف ولا تشدُّق، فالذي يسمعُ محاضراتِ الشيخ ودروسَه ومواعظَه وإجاباتِه يرى مصداقَ ذلك، وهذا هو الأنفعُ للناس؛ لأنه بهذا تكون الفائدة مُشَاعةً لجميع المسلمين والمستفيدين، ولا تتمّ الفائدة إلّا بوضوح أسلوبها.

وما أجمل ما ذكره الذهبي في «السِّيَر» عن الأصمعي : أنه قال: «كنتُ إذا سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننتُه لا يعرفُ شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلًا»[(٣)]. ومن أبو عمرو هذا؟! إنه شيخ القُرَّاء والعربية.

---

(١) «الشمائل» للترمذي (ص١٨٦).

(٢) «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» (ص١١٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤١٠).

ثناء الشيخ على بعض بحوثه وكتبه

أخذ بعضهم هذا المأخذ على الشيخ رحمه الله تعالى، والجواب فيما يظهر لي من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أنّ ذلك من التحدّث بنعمة الله تعالى إذا أمن الإنسان على نفسه العُجب، وأحسب أنّ علماء الأمة الكبار هم من هذا القبيل، والألباني أحدهم، على الجميع رحمة الله تعالى.

الوجه الثاني: أنّ ذلك من باب تنبيه القارئ والسامع على الجهد المبذول في المسألة، فيزداد ـ القارئ والسامع ـ طمأنينةً إلى النتيجة التي وصل إليها المؤلِّف.

الوجه الثالث: أنّ له سلفًا في ذلك؛ فمن أولئك:

- ابن الأثير : ، حيث قال في مقدّمة كتابه «جامع الأصول»:

«... على أنّ هذا الكتاب في نفسه بحرٌ زاخرةٌ أمواجُه، وبَرٌّ وَعِرةٌ فِجاجُه، لا يكاد الخاطرُ يجمع أشتاته، ولا يقوم الذِّكْر بحفظ أفراده، فإنها كثيرة العدد، متشعِّبة الطرق، مختلفة الرِّوايات، وقد بذلتُ في جمعها وترتيبها الوُسع، واستعنتُ بتوفيق الله تعالى ومعونته في تأليفه وتهذيبه، وتسهيله وتقريبه»[(١)].

- الإمام ابن القيِّم رحمه الله تعالى، وهو يُكثر من ذلك وحُقّ له ولا تثريب عليه، فكتُبه في غاية التحقيق، فقد قال في آخر مقدمة كتابه «طريق الهجرتين»:

«فجاء الكتاب غريبًا في معناه، عجيبًا في مغزاه، لكلّ قومٍ منه نصيب، ولكلّ واردٍ منه مشرب..»[(٢)].

---

(١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» (١/ ٥٢).

(٢) «طريق الهجرتين» (ص٩).

وقال بعد كلامه على حديث طلاق ابن عُمر رضي الله عنهما:

«... فهذه كلمات نبَّهنا بها على بعض فوائد ابن عمر، فلا تستطلها فإنها مشتملةٌ على فوائد جمَّة، وقواعد مهمَّة، ومباحث لمن قصده الظفر بالحقّ وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، من غير ميل مع ذي مذهبه، ولا خدمةً لإمامه وأصحابه، بحديث رسول الله ﷺ، بل تابع للدليل، حريص على الظفر بالسنّة والسبيل، يدور مع الحقّ أنّى توجَّهت ركائبه، ويستقرّ معه حيث استقرَّت مضاربه، ولا يعرفُ قدْرَ هذا السير إلّا من علت همّتُه، وتطلّعت نوازع قلبه، واستشرفت نفسُه إلى الارتضاع من ثدي الرسالة، والورود من عين حوض النبوَّة، والخلاص من شِباك الأقوال المتعارضة والآراء المتناقضة إلى فضاء العلم الموروث عمَّن لا ينطق عن الهوى، ولا يتجاوز نطقه البيان والرشاد والهدى، وبيداء اليقين التي من حلّها حُشد في زُمرة العلماء وعُدّ من ورثة الأنبياء...»[١].

- وقال رحمه الله تعالى في آخر مفتتح كتابه «حادي الأرواح»[٢]:

«وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعه وترتيبه وتفصيله وتبويبه؛ فهو للمحزون سَلوة، وللمشتاق إلى تلك العرائس جَلوة، محرِّكٌ للقلوب إلى أجل مطلوب، وحادٍ للنفوس إلى مجاورة الملك القدّوس، ممتع لقارئه، مشوِّق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد وفرائد القلائد، على ما لعل المجتهد في الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتُب، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات والآثار الموقوفات والأسرار المودعة في كثير من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثير من المشكلات، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات، إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانًا، وجلّى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عَيانًا، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات، وباعث الهمم العليَّات إلى

---

(١) «تهذيب السنن» (٣/١١١).
(٢) (ص٣٢-٣٣).

العيش الهنيء في تلك الغرفات، وسمَّيته «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، فأنه اسمٌ يُطابِق مسمَّاه، ولفظ يوافق معناه..».

- وقال في كتابه «مدارج السالكين» في آخر كلامه عن بعض لطائف أسرار التوبة:

«فهذه نبذة من بعض لطائف أسرار التوبة لا تستهزئ بها، فلعلك لا تظفر بها في مصنَّف آخَر البتّة»(١).

- وهذا الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني : يقول في مقدمة كتابه «الإصابة»:

«.. وهذا القسم الرابع لا أعلمُ من سبقني إليه، ولا من حامَ طائرُ فِكره عليه، وهو الضالّة المطلوبة في هذا الباب الزاهر، وزُبدة ما يمخضه من هذا الفنّ اللبيب الماهر».

- وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي : في مقدّمة كتابه «القواعد الحسان»:

«أمّا بعد؛ فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم جليلة المقدار، عظيمة النفع، تُعين قارئها ومتأمِّلها على فهم كلام الله والاهتداء بها، ومخبرها أجلّ من وصفها، فإنها تفتح للعبد من طرُق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يُغني عن كثير من التفاسير الخالية من البحوث النافعة».

وقد علّق تلميذه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين : في شرحه للكتاب:

«وثناء شيخنا عبدالرحمن بن سعدي على كتابه ليس بغريب؛ لأنّ ثناء أهل العلم على مؤلفاتهم لا يقصدون به الفخر والتفاخر على الخلق، إنما يقصدون شدّ الناس إلى قراءتها والالتفاف حولها، وله من سلف الأمّة قدوة. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أعلم أنّ أحدًا تناله الإبل أعلم بكتاب الله منِّي لرحلتُ إليه». كذلك ثناء ابن مالك على «ألفيته»»(٢).

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن ناصر السعدي : » إعداد وتأليف: محمد بن عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ومساعد بن عبدالله بن سليمان السعدي (ص١٧٩ - ١٨٠).

من المكتبات التي زارها الشيخ : أو تردّد عليها

سَلْ عنهُ مكتبةً بل مكتباتِ هُدًى — تربَّعَ الشيخُ في أرجائها وربا
ما كان يسأمُ من عيشٍ بها أبدًا — وكان يهجُرُ فيها الصحبَ والعِنَبا
ولا يُفارِقُها حرصًا على زمنٍ — حتّى يُطالعَ منها الدِّقَّ والسَّهبا
فيفصمُ اللؤلؤ المكنونَ عن زَبَدٍ — ويُطعِمُ العسَلَ المعسولَ والرُّطَبا[١]

فمن المكتبات:

١- المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- مكتبة القصيباني: وهي مكتبة تجارية من أكبر مكتبات دمشق، وقد مكّن أصحابُها الشيخَ من كلّ كتاب يحتاجه للاطّلاع، ويبقى الكتاب عند الشيخ لزمن غير محدود دون أجر حتى يأتي راغبٌ في شراء الكتاب فيبعث إليه أصحاب المكتبة ليردّ إليهم الكتاب[٢].

٣- المكتبة العربية الهاشمية: وكان له من أصحابها خير مُعين[٣].

---

(١) «محدِّث العصر» (ص١٠٤) لسمير الزهيري. والأبيات من قصيدة في رثاء العلّامة الألباني : بقلم: أبي الفضل عادل بن المحجوب المغربي.

(٢) بتصرف واختصار من كتاب «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٥١-٥٢).

(٣) «حياة الألباني» (١/ ٥٢).

٤ - مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب.

٥ - مكتبة الشيخ زهير الشاويش ببيروت[١].

٦ - دار الكتب المصرية بالقاهرة.

٧- المكتبة البلدية بالإسكندرية.

٨- المكتبة المحمودية في المدينة المنوَّرة[٢].

٩ - مكتبة عارف حكمت في المدينة المنوَّرة.

١٠ - مكتبة الأستاذ أحمد عطية في الأردن[٣].

١١ - مكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية[٤].

---

(١) «رفع الأستار» (ص٦).

(٢) «محدِّث العصر» لعصام هادي (ص١٠٦).

(٣) مقدّمة «مختصر الشمائل للترمذي» (ص٤).

(٤) «الآيات البيِّنات» (ص٥-٦).

من آثار الشيخ العلمية

خلّف الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ تراثًا علميًّا كثيرًا، سواء من المكتوب أو المسموع، وسأذكر هنا مسردًا لمؤلفاته المكتوبة، وقد ذكرها غير واحد ممّن كتَب عنه، إلّا أنّ أجمعهم ـ فيما وقفتُ عليه ـ لذلك هو الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد حفظه الله تعالى، فلقد ذكر مسردَ مؤلفات الإمام الألباني في كتابه «مع شيخنا ناصر الدين والسنّة»، وقبل ذلك أقول:

قد يعمد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أحيانًا إلى تسمية بعض مؤلَّفاته بالأسماء المسجوعة، وهذا مسلكٌ مألوفٌ عند أهل العلم، ومن فوائد ذلك المسلك:

١ - تقريب المضمون الإجمالي للكتاب.

٢ - سهولة حفظ العنوان.

٣ - إضفاء قوّة معنوية على الكتاب، وبخاصة في مجال الرُّدود، ومن أمثلة ذلك:

«نصب المجانيق لنسف قصَّة الغرانيق».

«الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد».

«النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبدالمنان لكتب الأئمة الرجيحة ومن تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة».

وعودًا على بدء أقول: كانت مؤلفات الإمام الألباني رحمه الله تعالى جامعةً علميةً متنقِّلة، حوت دُرَرًا من فنون العلم، وليست وقفًا على طبقة معيَّنة من أهل العلم، بل مشاعةً لكلّ مستفيد؛ فقد كان كثيرٌ من كبار أهل العلم يعزون إليها ويستأنسون بأحكام الشيخ على كلامه على سند الحديث أو متنه، ناهيكم عن الفائدة الكبرى التي جناها ويجنيها كثيرٌ من طلّاب العلم من تحقيقات الشيخ وأحكامه.

وممّا يُؤكِّد القيمة العلمية لتلك المؤلفات: ثناء بعض العلماء عليها، فمن ذلك:

قول سماحة الإمام ابن باز: «... مع ما يَبْذِلُه من الجهود المشكورة في العناية بالحديث الشريف، وبيان الحديث الصحيح من الضعيف من الموضوع، وما كتبه في ذلك من الكتابات الواسعة كلّه عملٌ مشكور ونافعٌ للمسلمين، نسأل اللهَ أن يُضَاعِفَ مَثُوبتَه، ويُعِينَه على مواصلة السَّير في هذا السَّبيل الطيِّب، وأن يُكَلِّل جُهُودَه بالتوفيق والنجاح».

وقال العلّامة محمد بن عثيمين: «... وأنّ الله قد نفع بها كتبه كثيرًا من الناس من حيث العلم ومن حيث المنهاج، والاتّجاه في علم الحديث، وهذه ثمرةٌ كبيرة للمسلمين ولله الحمد».

وقال الشيخ المحدِّث عبدالمحسن العبّاد: «... ولا يَستغني طلبةُ العلم عن الرُّجوع إلى كتُبه وإلى مؤلفاته، فإنّ فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير، ومؤلفاته مشهورة عظيمة، ولا تخلو المكتبات غالبًا من كتُبه، أو من وجود شيءٍ منها».

وقال الشيخ أحمد النجمي: «... صاحب التآليف النافعة والتخريجات المفيدة».

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «... وله مؤلفات عظيمة عديدة في خدمة الحديث، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف».

وقال الشيخ عبدالله المنيع: «... هذا فضلًا عمَّا لفضيلته من تحقيقات صائبة في سبيل تمحيص السُّنّة والتبصير بصحيحها من سقيمها».

وقال الشيخ محمد بن علي بن آدم الإثيوبي: «... وكذا كُتُب العلّامة ناصر الدِّين الألباني فإنها ممتعة جدًّا؛ لأنّ له اليد الطولَى في معرفة الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا، كما تشهد بذلك كتبه القيِّمة».

وقال الشيخ مقبل الوادعي: «... لا يستغني طالب علم في هذا الزمن عن الاستفادة من كتُب الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ وإنِّي أنصح كلّ طالب علم باقتنائها

والاستفادة منها، فقد جمع فيها الشيخ ـ حفظه الله ـ ما لا يستطاع الوقوف على كلِّه، وتيسَّر له الاطِّلاع على كتب لم يطّلع عليها كثيرٌ من طلبة العلم»[1].

وبعد هذه الشهادات المتنوِّعة الدالّة على عظيم قيمة مؤلفات الإمام الألباني أقول:

هذا مسرد بكتب الشيخ[2]:

١ - «آداب الزِّفاف في السنّة المطهَّرة».

٢ - «الآيات البيِّنات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفيَّة السَّادات» للآلوسي ـ تحقيق وتخريج.

٣ - «الآيات والأحاديث في ذمّ البدعة» (خ).

٤ - «الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة».

٥ - «أحاديث الإسراء والمعراج».

٦ - «أحاديث التحرِّي والبناء على اليقين في الصلاة» (خ).

٧ - «الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ضعَّفها أو أشار إلى ضعفها ابن تيمية في مجموع الفتاوى» (خ).

٨ - «الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمَّهات الكتُب الفقهية» (خ).

٩ - «الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي ـ تحقيق وتخريج (خ).

١٠ - «الاحتجاج بالقَدَر» لابن تيمية ـ تحقيق.

١١ - «أحكام الجنائز وبِدَعُها».

١٢ - «أحكام الرِّكاز» (خ).

١٣ - «الأحكام الصغرى» لعبدالحقّ الإشبيلي ـ تخريج وتعليق وتحقيق (خ).

---

(١) «حياة الألباني» للشيباني (٢/٥٥٦).

(٢) من كتاب «مع شيخنا ناصر السنّة والدِّين» بقلم: علي بن حسن الحلبي (ص٣٧-٦١). والحواشي المنقولة هنا بقلم الشيخ علي أيضًا، وقد اختصرت في ذكرها.

١٤- «الأحكام الوسطى» للإشبيلي ـ تخريج وتعليق وتحقيق (خ).

١٥- «أداء ما وجب من بيان الوضَّاعين في رجب» لابن دِحية ـ تحقيق وتخريج.

١٦- «الأذكار» للنووي ـ تعليق وتخريج (خ).

١٧- «إرشاد النقّاد في تيسير الاجتهاد» للصنعاني ـ تخريج وتعليق (خ).

١٨- «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السَّبيل».

١٩- «إزالة الدهَش والوَلَه عن المتحيِّر في صحَّة حديث: ماء زمزم لما شُرِب له» ـ تخريج.

٢٠- «إزالة الشكوك عن حديث البُروك» (خ)[(١)].

٢١- «الأسئلة والأجوبة» (خ).

٢٢- «أسباب الاختلاف» للحُميدي ـ تحقيق (خ).

٢٣- «أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية» (خ).

٢٤- «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» للقاسمي ـ تخريج وتعليق.

٢٥- «أصول السنّة واعتقاد الدِّين» للحُميدي ـ تحقيق (خ).

٢٦- «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيِّم ـ تخريج.

٢٧- «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي ـ تحقيق وتخريج وتعليق.

٢٨- «الإكمال في أسماء الرِّجال» للتبريزي ـ تحقيق.

٢٩- «الأمثال النبوية» (خ).

٣٠- «الإيمان» لابن أبي شيبة ـ تحقيق وتخريج وتعليق.

٣١- «الإيمان» لابن تيمية ـ تعليق.

٣٢- «الإيمان» لأبي عُبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق وتخريج وتعليق.

---

(١) أصله تسجيل صوتي لمجلس علمي فيه ردّ على كلام ابن القيِّم في المسألة.

٣٣- «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» لأحمد شاكر ـ تعليق.

٣٤- «بداية السُّول في تفضيل الرسول» للعزّ بن عبدالسلام ـ تحقيق وتخريج.

٣٥- «بُغية الحازِم في فهارس مستدرك الحاكم» (خ).

٣٦- «بين يدي التِّلاوة» (خ).

٣٧- «تأسيس الأحكام شرح بلوغ المرام» للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ـ تعليق[١].

٣٨- «تاريخ دمشق» لأبي زُرعة رواية أبي ميمون ـ تحقيق وتعليق (خ).

٣٩- «تحذير الساجد من اتِّخاذ القبور مساجد».

٤٠- «تحريم آلات الطرَب»[٢].

٤١- «تحقيق معنى السنّة» لسليمان الندوي ـ تخريج.

٤٢- «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للرَّبعي».

٤٣- «تخريج أحاديث كتاب مشكلة الفقر للقرضاوي».

٤٤- «تخريج حديث أبي سعيد الخدري في سجود السَّهو» (خ).

٤٥- «تصحيح حديث إفطار الصائم قبل الفجر».

٤٦- «التعقيب على رسالة الحجاب للمودودي».

٤٧- التعقيب المبعوث على رسالة السيوطي الطُّرثوث» (خ).

٤٨- «التعليق الرَّغيب على الترغيب والترهيب».

٤٩- «التعليق على رسالة: كلمة سواء» (خ).

---

(١) طُبع منه الجزء الأول.

(٢) وله اسمٌ آخَر هو: «الردّ بالوحيين وأقوال أئمَّتنا على ابن حزم ومُقلِّديه المبيحين للمعازف والغنا وعلى الصوفيِّين الذين اتخذوه قُربةً ودينا».

٥٠- «التعليق على سنن ابن ماجه» (خ).
٥١- «التعليق المُمجَّد على موطأ الإمام محمَّد للّكنوي» تعليق وتحقيق (خ).
٥٢- «التعليقات الجياد على زاد المعاد» (مفقود).
٥٣- «التعليقات الحسان على الإحسان».
• «التعليقات الخيار..» = «رفع الأستار..».
٥٤- «التعليقات الرَّضية على الروضة النديَّة لصدِّيق حسن خان».
٥٥- «تلخيص أحكام الجنائز».
٥٦- «تلخيص حجاب المرأة المسلمة» (خ).
٥٧- «تلخيص صفة صلاة النبيِّ ﷺ».
٥٨- «تمام المنّة في التعليق على فقه السنّة».
٥٩- «تمام تمام المنّة في التعليق على فقه السنّة» (خ).
٦٠- «تمام النصح في أحكام المسح».
٦١- «التمهيد لفرض رمضان» (خ).
٦٢- «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للمُعلِّمي» تحقيق وتعليق.
٦٣- «تهذيب صحيح الجامع الصغير وزيادته والاستدراك عليه» (خ).
٦٤- «التوحيد لمحمد أحمد العدوي» تخريج وتعليق.
٦٥- «التوسُّل أنواعه وأحكامه».
٦٦- «تيسير انتفاع الخلّان بثقات ابن حبان» (خ).
٦٧- «الثمر المستطاب في فقه السنّة والكتاب» (لم يتمّ).
٦٨- «جزء في تصحيح حديث شبرُمة»[1].

(١) ذكره الشيخ في حاشية «المشكاة» (٢٥٢٩)، ولا أعلم عنه شيئًا.

٦٩- «جلباب المرأة المسلمة»(١).

٧٠- «الجمع بين ميزان الاعتدال ولسان الميزان لابن حجر» (خ).

٧١- «جواب حول الأذان وسُنّة الجمعة» (خ).

- «الحجّ الكبير» = «حجّة الوداع»، و«صفة حجّة النبيّ...».
- «حجاب المرأة المسلمة» = «جلباب المرأة المسلمة».

٧٢- «حجاب المرأة المسلمة ولباسُها في الصلاة لابن تيمية» تحقيق وتعليق وتخريج.

٧٣- «حجَّة النبيِّ ﷺ كما رواها جابرٌ ورواها عنه ثقات أصحابه الأكابر».

٧٤- «حجَّة الوداع» (خ).

٧٥- «الحديث حجَّة بنفسه في العقائد والأحكام».

٧٦- «الحديث النبوي لمحمد الصبَّاغ» تخريج.

٧٧- «حقوق النساء في الإسلام لرشيد رضا» تعليق.

٧٨- «حقيقة الصيام لابن تيمية» تخريج.

٧٩- «حُكم تارك الصلاة».

٨٠- «الحوض المورُود في زوائد منتقى ابن الجارود» (خ).

٨١- «خطبة الحاجة».

٨٢- «الدعوة السلفية أهدافها وموقفها من المخالفين لها» (خ).

٨٣- «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الردّ على جهالات الدكتور البوطي في فقه السيرة».

٨٤- «ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي» تحقيق وتعليق (خ).

٨٥- «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد».

---

(١) سمّاه الشيخ قديمًا «حجاب المرأة المسلمة»، ثم رأى تغيير اسمه إلى هذا الاسم.

٨٦- «رجال الجرح والتعديل لابن أبي حاتم» (خ).
• «الردّ بالوحيين...» = «تحريم آلات الطرب».
٨٧- «الردّ على أرشد السلفي»[١].
٨٨- «الرَّدّ على التعقيب الحثيث للحبشي الهرري».
٨٩- «الردّ على رسالة التويجري في بحوث من صفة الصلاة» (خ).
٩٠- «الردّ على السخّاف فيما سوَّده على دفع شُبَه التشبيه» (خ).
٩١- «الردّ على الشيخ إسماعيل الأنصاري في مسألة الذهب المحلّق»[٢].
٩٢- «الردّ على عزّ الدِّين بليق في منهاجه» (خ).
٩٣- «الردّ على كتاب تحرير المرأة في عصر الرِّسالة لمحمد عبدالحليم أبو شقة» (خ).
٩٤- «الردّ على كتاب ظاهرة الإرجاء لسفَر الحوالي».
٩٥- «الردّ على كتاب المراجعات لعبدالحسين شرف الدين الرافضي» (خ).
٩٦- «الردّ على هدية البديع في مسألة القبض بعد الرُّكوع» (خ).
٩٧- «الردّ المفحِم على من خالف العلماء وتشدَّد وتعصَّب، وألزم المرأة بسَتر وجهها وكفّيها وأوجب، ولم يقنع بقولهم: إنه سُنّة ومستحبّ».
٩٨- «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني»[٣] تحقيق وتعليق.
٩٩- «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» (خ)[٤].
١٠٠- «رياض الصالحين للنووي» تخريج.

---

(١) مطبوع ضمن كتاب «الردّ العلمي» تأليف: الشيخ علي حسن بمشاركة الشيخ سليم الهلالي.
(٢) مطبوع ضمن كتاب «حياة الألباني وآثاره» للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.
(٣) قال الشيخ علي حسن: «وقد رأيت بخطِّه تسميته له: التعليقات الخيار».
(٤) كتب الشيخ : على طُرَّته بخطِّه: «المؤلف لا يرغب بطبع هذا الكتاب؛ لأنه من أوائل أعماله العلمية. ناصر».

١٠١ - «زهر الرِّياض في ردِّ ما شنَّعه القاضي عياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهُّد الأخير للخيضري» تحقيق وتعليق (خ).

١٠٢ - «الزوائد على الموارد»[1].

١٠٣ - «سؤال وجواب حول فقه الواقع»[2].

١٠٤ - «سبل السلام للصنعاني» تعليق.

١٠٥ - «السَّفر الموجب للقصر» (خ).

١٠٦ - «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها».

١٠٧ - «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمّة».

١٠٨ - «شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي» تخريج.

١٠٩ - «الشهاب الثاقب في ذمِّ الخليل والصاحب للسيوطي» تخريج.

١١٠ - «صحيح ابن خزيمة» تخريج ومراجعة.

١١١ - «صحيح الأدب المفرد للبخاري».

١١٢ - «صحيح الإسراء والمعراج» (خ).

١١٣ - «صحيح الترغيب والترهيب».

١١٤ - «صحيح الجامع الصغير وزيادته».

١١٥ - «صحيح سنن ابن ماجه».

١١٦ - «صحيح سنن أبي داود مع التخريج المفصَّل».

١١٧ - «صحيح سنن أبي داود».

١١٨ - «صحيح سنن الترمذي».

---

(١) وهو مطبوع في حواشي «صحيح الموارد» و«ضعيف الموارد».

(٢) فتوى مطبوعة بإعداد وتقديم: علي بن حسن الحلبي، بإشراف الشيخ.

١١٩ - «صحيح سنن النسائي».

١٢٠ - «صحيح السيرة النبوية»[١].

١٢١ - «صحيح كشف الأستار عن زوائد البزّار للهيثمي» (خ).

١٢٢ - «صحيح الكلم الطيِّب».

١٢٣ - «صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان».

١٢٤ - «الصراط المستقيم فيما قرَّره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان لعلماء الأزهر» تخريج.

- «صفة حجَّة النبيّ ﷺ من خروجه من المدينة إلى رجوعه إليها كأنك تصحبُه فيها» = «حجّة الوداع».

١٢٥ - «صفة صلاة النبيِّ ﷺ» (الأصل) أو (الكبير).

١٢٦ - «صفة صلاة النبيِّ ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها».

١٢٧ - «صفة الفتوى والمفتي والمستفتي لابن حمدان» تخريج وتعليق.

١٢٨ - «صلاة الاستسقاء» (خ).

١٢٩ - «صلاة التراويح».

١٣٠ - «صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنّة».

١٣١ - «صلاة الكسوف وما رأى ﷺ فيها من الآيات».

١٣٢ - «صوت الطبيعة يُنادي بعظمة الله لعبدالفتاح الإمام» تخريج[٢].

١٣٣ - «صوت العرب تسأل وناصر الدِّين يجيب» مقابلة.

١٣٤ - «صيد الخاطر لابن الجوزي» تخريج.

---

(١) طبع في رسالة متوسطة، ولم يتمّ.

(٢) هو أوَّل عمل في التخريج طبع للشيخ الألباني : .

١٣٥ - «ضعيف الأدب المفرد للبخاري».

١٣٦ - «ضعيف الترغيب والترهيب».

١٣٧ - «ضعيف الجامع الصغير وزيادته».

١٣٨ - «ضعيف سنن ابن ماجه».

١٣٩ - «ضعيف سنن أبي داود مع التخريج المفصَّل».

١٤٠ - «ضعيف سنن أبي داود».

١٤١ - «ضعيف سنن الترمذي».

١٤٢ - «ضعيف سنن النسائي».

١٤٣ - «ضعيف كشف الأستار عن زوائد البزَّار للهيثمي» (خ).

١٤٤ - «ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان».

١٤٥ - «ظلال الجنة في تخريج السنّة لابن أبي عاصم».

١٤٦ - «العبودية».

١٤٧ - «العقيدة الطحاوية شرح وتعليق».

١٤٨ - «العلم لأبي خيثمة» تحقيق وتعليق وتخريج.

١٤٩ - «عودة إلى السنّة» (خ).

١٥٠ - «غاية الآمال بتضعيف حديث عرض الأعمال والردّ على الغُماري بصحيح المقال» (خ).

١٥١ - «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للقرضاوي».

١٥٢ - «فتنة التكفير» فتوى.

١٥٣ - «فتوى حُكم تتبُّع آثار الأنبياء والصالحين»[١].

---

(١) مطبوعة ضمن كتاب «جزيرة فَيْلكا وخرافة أثر الخضر فيها» للحصين.

١٥٤- «فضل الصلاة على النبيِّ ﷺ لإسماعيل بن إسحاق القاضي» تحقيق وتخريج.

١٥٥- «فقه السيرة للغزالي» تخريج.

١٥٦- «فهرس أحاديث كتاب التاريخ الكبير للبخاري» (خ).

١٥٧- «فهرس أحاديث كتاب الشريعة للآجري» (خ).

١٥٨- «فهرس أسماء الصحابة الذين أسندوا الأحاديث في معجم الطبراني الأوسط» (خ).

١٥٩- «الفهرس الشامل لأحاديث وآثار كتاب الكامل لابن عدي» (خ).

١٦٠- «فهرس الصحابة الرُّواة في مسند الإمام أحمد بن حنبل».

١٦١- «فهرس كتاب الكواكب الدراري لابن عُروة الحنبلي» (خ).

١٦٢- «فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية» (خ).

١٦٣- «فهرس مخطوطات دار الكتُب الظاهرية المنتخب من مخطوطات الحديث».

١٦٤- «الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف بمراكش» (خ).

١٦٥- «القائد إلى تصحيح العقائد للمُعلِّمي» تعليق.

١٦٦- «قاموس البدَع» (خ).

١٦٧- «قاموس الصِّناعات الشامية لمحمد سعيد القاسمي» تخريج مشاركةً مع الشيخ محمد بهجت البيطار : .

١٦٨- «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه في آخر الزمان».

١٦٩- «قيام رمضان».

١٧٠- «كشف النقاب عمَّا في كلمات أبي غُدّة من الأباطيل والافتراءات».

١٧١- «الكلم الطيِّب لابن تيمية» تحقيق وتخريج.

١٧٢- «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب» تخريج.

١٧٣ - «كيف يجب أن نفسِّر القرآن؟»[١].

١٧٤ - «اللِّحية في نظر الدِّين».

١٧٥ - «لفتة الكبد في تربية الولد لابن الجوزي» تحقيق وتخريج مشاركةً مع الأستاذ محمود مهدي إستانبولي : .

١٧٦ - «ما دلّ عليه القرآن ممَّا يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان للآلوسي» تخريج.

١٧٧ - «مجموع فتاوى الشيخ الألباني ومحاضراته»[٢].

١٧٨ - «المحو والإثبات الذي يُدَّعى به في ليلة النصف من شعبان» (خ)[٣].

١٧٩ - «مختصر تحفة المودود لابن القيِّم» اختصار وتخريج (خ).

١٨٠ - «مختصر تعليق الشيخ محمد كنعان»[٤] (خ).

١٨١ - «مختصر التوسُّل» (خ).

١٨٢ - «مختصر شرح العقيدة الطحاوية»[٥] (خ).

١٨٣ - «مختصر الشمائل المحمَّدية للترمذي» اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

١٨٤ - «مختصر صحيح البخاري».

١٨٥ - «مختصر صحيح مسلم» (مفقود).

١٨٦ - «مختصر صحيح مسلم للمنذري» تحقيق وتعليق.

١٨٧ - «مختصر العلوّ للعليّ العظيم للذهبي»[٦] اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

---

(١) أصله محاضرة فرَّغها بعض الطلبة من شريط مسجَّل وراجعها الشيخ : .

(٢) هو تحت الطبع في ثمانية عشر مجلدًا.

(٣) له اسم آخَر هو: «فتح الودود في الردّ على من زعم ثبوت لفظة «أم الكتاب» في حديث ابن مسعود».

(٤) ذكره الأخ الشيباني، ولم يتبيَّن لي ولم أعرفه.

(٥) ذكره الأخ الشيباني، ولا أعلمه، ولعله التبس عليه بـ«العقيدة الطحاوية شرح وتعليق»، والله أعلم.

(٦) طُبع باسم: «... للعلي الغفار». وهو خطأ من الطابع، ثمَّ صُحِّح في الطبعات الأخيرة.

١٨٨ - «مذكرات الرِّحلة إلى مصر» (خ).
١٨٩ - «المرأة المسلمة لحسن البنّا» تخريج.
١٩٠ - «مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة» تحقيق وتعليق (خ).
١٩١ - «مسائل غلام الخلال التي خالف بها الخِرَقي» تعليق.
١٩٢ - «مساجلة علمية بين العزّ بن عبدالسَّلام وابن الصلاح» تحقيق وتعليق.
١٩٣ - «مساوئ الأخلاق للخرائطي» تحقيق وتخريج (خ).
١٩٤ - «المستدرك على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث» (خ).
١٩٥ - «المسح على الجوربين للقاسمي» تحقيق وتخريج.
١٩٦ - «مشكاة المصابيح للتبريزي» تحقيق.
١٩٧ - «المصطلحات الأربعة للمودودي» تخريج.
١٩٨ - «مع الأستاذ الطنطاوي» (خ).
١٩٩ - «معالم التنزيل للبغوي» تخريج (خ).
٢٠٠ - «معجم الحديث النبوي»[١] (خ).
٢٠١ - «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ العراقي» تعليق وتخريج (خ).
٢٠٢ - «مناسك الحجّ والعُمرة في الكتاب والسنّة وآثار السلف».
٢٠٣ - «المناظرات والرُّدود» (خ).
٢٠٤ - «المناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي» نسخها: عبدالصمد البقالي (خ).
٢٠٥ - «مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية» (خ).
٢٠٦ - «مناقب الشام وأهله لابن تيمية» تخريج.

(١) في أربعين مجلدًا، وهذا الكتاب هو نتيجة القصّة العجيبة المعروفة بقصة «الورقة الضائعة». تقدّم ذكرُها تحت مبحث: «همّة عالية وعزيمة صادقة ونية نحسبها إن شاء الله تعالى خالصة».

٢٠٧- «منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية» (خ).
٢٠٨- «منزلة السنّة في الإسلام وبيان أنه لا يُستغنى عنها بالقرآن».
٢٠٩- «موارد السيوطي في الجامع الصغير» (خ).
٢١٠- «نزهة النظر في توضيح نُخبَة الفِكَر لابن حجر» تعليق وتحقيق (لم يتم).
٢١١- «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».
٢١٢- «النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبدالمنّان لكتُب الأئمة الرَّجيحة، ومن تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة».
٢١٣- «نقد التاج الجامع للأصول لمنصور علي ناصف» تعليق وتخريج (خ).
٢١٤- «نقد «نصوص حديثية في الثقافة الإسلامية»».
٢١٥- «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام».
٢١٦- «وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض مرشدًا للجيش السعودي» (خ).
٢١٧- «وضع الآصار في ترتيب أحاديث مشكل الآثار» (خ).
٢١٨- «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة لابن حجر» تخريج[١].

فائدة:

بعد الفراغ من الصفّ الأوّلي للكتاب وقفتُ على كتاب فيه تتبُّعٌ واستقراءٌ واسعٌ لآثار الألباني العلمية، مع بيان كون الكتاب مطبوعًا أو مخطوطًا، وكون عمل الشيخ تحقيقًا أو تأليفًا... إلى غير ذلك من الجهد المتميِّز لجامع الكتاب ومعدِّه: الشيخ الكريم عبدالله بن محمد الشمراني أثابه الله تعالى خيرًا وبارك في قلمه وشأنه كلِّه، وقد سمَّى كتابه «ثبت مؤلفات المحدِّث الكبير الإمام محمد ناصر الدِّين الألباني الأرناؤوطي»، وقد أوصل الباحث الشيخ عبدالله آثارَ الشيخ العلمية إلى ٢٣١، وبذلك يكون كتابه هو المقدّم في هذا الشأن.

---

(١) طبع بتحقيق الشيخ علي حسن في ستة مجلدات.

مكانته العلمية
وثناء العلماء والأدباء والكتّاب عليه

ثناء الناس على المسلم من عاجل بُشراه، فكيف إذا كان المثني عليه هم من صفوة المجتمعات من العلماء الرَّاسخين وطلبة العلم وغيرهم من دُعاة الخير؟

وقد كان للإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ نصيبٌ كبيرٌ من ثناء كثير من أولئك ومحبَّتهم له إن شاء الله تعالى، ولعل هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ من عاجل بُشراه نظيرَ ما خدم السنّة كتابةً ومشافهةً وغير ذلك من جهوده المبارَكة، وإليك ما وقفتُ عليه من ثناء الناس عليه:

- قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في حقِّ أخيه العلّامة الألباني: «وهو صاحب سُنّة، ونُصْرَةٍ للحقّ، ومُصَادَمَةٍ لأهل الباطل».
- قال الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز : في حقِّ العلّامة الألباني: «الشيخ الألباني معروفٌ أنه مِن أهل السُّنّة والجماعة، ومن أنصار السُّنّة، ومن دُعَاة السُّنّة، ومن المجاهدين في سبيل حفظ السُّنّة».
  - وقال أيضًا: «الشيخ معروفٌ لدينا بحُسن العقيدة والسيرة، ومواصلة الدعوة إلى الله سبحانه، مع ما يَبْذِلُه من الجهود المشكورة في العناية بالحديث الشريف، وبيان الحديث الصحيح من الضعيف من الموضوع، وما كتبه في ذلك من الكتابات الواسعة كلّه عملٌ مشكور ونافعٌ للمسلمين، نسأل اللهَ أن يُضَاعِفَ مَثُوبتَه، ويُعِينَه على مواصلة السَّير في هذا السَّبيل الطيِّب، وأن يُكَلِّل جُهُودَه بالتوفيق والنجاح».
  - وقال: «والشيخ الألباني ـ وفقه الله ـ معروفٌ لدينا بحُسن العقيدة والسِّيرة وتأييد مذهب السَّلف الصالح واعتناقه له».

- وقال: «.. من إخواننا الثقات المعروفين، من إخواننا الطيِّبين، صاحبُنا وأخونا العلّامة الشيخ محمد ناصر الدِّين، وهو من المجدِّدين».
- وقال: «لا أعلم تحت قُبّة الفَلَك في هذا العصر أعلمَ من الشيخ ناصر في علم الحديث».
- وسُئل سماحتُه عن حديث رسول الله ﷺ: «إنّ اللهَ يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سَنَة من يُجَدِّد لها دينها»، فسُئِل مَن هو مجدِّد هذا القرن؟ فقال : : «الشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني هو مجدِّد هذا العصر في ظنِّي، والله أعلم»[1].
- وفي أحَد دروس الشيخ ابن باز : قُرِئ عليه تخريج حديث من كتاب «إرواء الغليل» واستمع الشيخ إلى التخريج كاملًا، فلمَّا فَرَغَ القارئ، قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: «إن لم يكن التخريج كهذا فلا تخريج».
- وقال : : «لستُ أشكّ في علمه وسَعَة اطِّلاعه وعنايته بالسُّنّة، زاده الله علمًا وتوفيقًا، وهو بحمد الله ممَّن يَنْشِد الحقّ ويسعى إليه ويبذل جُهُوده في إيضاحه والدعوة إليه».

- وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : في حقِّ العلّامة الألباني: «فالذي عَرَفتُه عن الشيخ من خلال اجتماعي به ـ وهو قليل ـ أنه حريصٌ جدًّا على العمل بالسُّنّة ومحاربة البدعة، سواء كانت في العقيدة أم في العمل».
- وقال: «... أمّا من خلال قراءاتي لمؤلفاته فقد عرفتُ عنه ذلك، وأنه ذو علم جمّ في الحديث روايةً ودرايةً، وأنّ الله قد نفع بما كتبه كثيرًا من الناس من حيث العلم ومن حيث المنهاج، والاتّجاه في علم الحديث، وهذه ثمرةٌ كبيرة للمسلمين ولله الحمد».
- ووصفه بأنه: «طويل الباع، واسع الاطِّلاع، قويُّ الإقناع».

---

(١) «الإمام المجدِّد» (ص٩٦).

- ورأى ذات مرَّة شريطًا كُتِب عليه: «المحدِّث الشام محمَّد ناصر الدِّين الألباني» فقال: «بل محدِّث العصر».
- وقال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ـ حفظه الله تعالى ـ عن الألباني: «مِن أئمَّة السُّنّة، ومن كبار المحدِّثين، وخدم الحديث خدمةً كبيرة بمؤلفاته»[(١)].
- وسَمِعَه بعضُ تلاميذه يقول: «الألباني شيخُنا وأستاذُنا»[(٢)].
- وقال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية حفظه الله بأنه: «نصر السُّنّة في هذا العصر»، وأثنى عليه وعلى علمه.
- ووصفه بالوصف نفسِه الشيخ الفقيه صالح بن فوزان الفوزان.
- وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السُّعودية: «أمَّا كتاب «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» فمؤلِّفه واسع الاطِّلاع في الحديث، قويٌّ في نقده والحكم عليه بالصحَّة والضعف، وقد يخطئ».
- ووصفوه بـ«أخينا العلّامة الشيخ ناصر الدِّين الألباني». ووقّع على ذلك كلّ من: الشيخ ابن باز، والشيخ عبدالرَّزاق عفيفي، والشيخ عبدالله الغديان، والشيخ عبدالله القعود.
- وقال الشيخ حمَّاد بن محمَّد الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ عنه بأنه: «ذو اطِّلاع واسع في علم الحديث».
- وقال: «الألباني كان حنفيًّا ثمَّ دخل في علم الحديث حتى وصل فيه إلى الغاية، وهو ممَّن يقال في مثله: دَرَس بنفسه»[(٣)].
- وقال: «الشيخ الألباني درس العلم دراسةً وافية»[(٤)].

---

(١) «فتح الجليل» (ص١٥٦) حاشية.
(٢) «فتح الجليل» (ص١٥٥) حاشية.
(٣) «المجموع» (٢/٥٩٧).
(٤) «المجموع» (٢/٥٢٣).

- وقال الشيخ عبدالمحسن العبَّاد البدر المدرِّس في المسجد النبويّ حفظه الله تعالى: «والألباني عالمٌ جليل خدَمَ السُّنّة، وعقيدتُه طيِّبة، والطعن فيه لا يجوز»، ثمّ ذكر كلام الإمام الطحاوي في عقيدته: «وعلماء السَّلف من السَّابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذكَرُون إلّا بالجميل، ومن ذَكَرَهم بسوء فهم على غير السبيل».
  - وقال: «إنه فقيد الجميع، العالم الكبير الشهير العلّامة الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني رحمه الله وغفر له، وله جهودٌ عظيمة في خدمة السنّة، وفي العناية بحديث رسول الله ﷺ وبيان مصادر تلك الأحاديث والكتُب التي ذكرتها، وبيان درجتها من الصحَّة والضعف، خِدْمَتُه للسنّة مشهورة، ودافعَ عن عقيدة السَّلف ومنهج السَّلف دفاعًا عظيمًا، ولا يَستغني طلبةُ العلم عن الرُّجوع إلى كتُبه وإلى مؤلفاته، فإنّ فيها الخير الكثير، وفيها العلم الغزير، ومؤلفاته مشهورة عظيمة، ولا تخلو المكتبات غالبًا من كتُبه، أو من وجود شيءٍ منها، وله عنايةٌ بالبحث والكتابة والرُّجوع إلى كلام العلماء والاستفادة منهم، وإنّ ذهاب مثلِ هذا العالم هو في الحقيقة نقصٌ كبير على المسلمين، ومصيبةٌ وثُلْمَةٌ في الدِّين».
  - «وإنّ هذين العلمين ـ أي ابن باز والألباني ـ من العلماء الكبار الجهابذة المحقِّقين، الذين لهم العناية الفائقة، والهمَّة العالية، وكلٌّ منهما له جهودٌ عظيمةٌ في العقيدة، وقد حصل على أيديهما الخير الكثير، وحصل بسببهما النفعُ العظيم للإسلام والمسلمين، فجزاهما الله أحسنَ الجزاء وغفر لهما، وتجاوز عن سيِّئاتهما».
  - «فإنه بحقّ من العلماء الأفذاذ الذين كانوا في هذا العصر، والذين لهم جهودٌ في خدمة سُنّة المصطفى ﷺ».
- وقال الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله تعالى: «الألباني الآن عَلَمٌ على السنّة، الطعن فيه إعانة على الطعن في السنّة».

o ولما ذُكِر عند الشيخ حمود جائزةُ الملك فيصل لخدمة الإسلام، قال الشيخ حمود: «إنّ الشيخ ناصرًا أحقّ مَن يُعطاها لخدمته للسنّة»[(١)].

• وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي حفظه الله: «الشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني المحدِّث الكبير والعالم الشهير، صاحب التآليف النافعة والتخريجات المفيدة، سُورِيّ الموطن سَلَفي العقيدة، بَذَل جُهدًا في التخريج لا يوازيه فيه أحَد، فجزاه الله خيرًا».

• وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله: «لا شكّ أنّ فقد العلّامة محمد ناصر الدِّين الألباني مصيبة؛ لأنه عَلَمٌ من أعلام الأمَّة، ومحدِّث من محدِّثيهم، وبهم حفظ الله جل وعلَا هذا الدِّين ونشر الله بهم السنّة».

o وقال: «إنّ للفقيد مآثرُ في نصرة العقيدة السَّلفية ومنهج أهل الحديث، وله مؤلفات عظيمة عديدة في خدمة الحديث، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف، وأثره في العالَم الإسلامي كبير، ويُعَدّ من عُلَماء الأمَّة بمآثره الجليلة العظيمة».

• وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسَّام المدرِّس في المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء رحمه الله تعالى: «اليوم هو من أئمَّة هذا الزمان، بذل نفسه وجهده وماله لخدمة السنّة».

• وقال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد حفظه الله تعالى: «العلّامة الألباني»[(٢)].

o ولمّا نقل الشيخ بكر أبو زيد مقولة بعض الطاعنين في الإمام الألباني قال ـ الشيخ بكر ـ ما نصُّه: «وهذا عينُ التجاهل وغمط الناس أشياءهم بغير حقّ، وارتسام علمية الألباني في نفوس أهل العلم ونصرته للسنّة وعقيدة السلف أمرٌ لا يُنازِع فيه إلّا عدوٌّ جاهل، والحكم ندعُه للقرَّاء فلا نطيل»[(٣)].

---

(١) وقد تحقق ما أراده الشيخ حمود رحمه الله تعالى؛ فكانت الجائزة في عام ١٤١٩هـ من نصيب الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

(٢) انظر: «جزء في كيفية النهوض في الصلاة» (ص٣٠، ٣٨، ٤٠، ٨٧).

(٣) «كتاب الرُّدود» (ص٣٤٤).

- وذكره مرَّة ومعه الشيخ أحمد شاكر فقال عنهما: «الشيخان الجليلان»[(١)].

- وقال الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع رئيس محكمة تمييز مكّة وعضو هيئة كبار العلماء حفظه الله تعالى: «لقد فُجِع معشرُ المسلمين بفقد عالم كبير من السَّلفيِّين، الذي كان له باعٌ طويلٌ في محاربة البدع والضلالات، والرَّدّ على أصحابها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هذا فضلًا عمَّا لفضيلته من تحقيقات صائبة في سبيل تمحيص السُّنّة والتبصير بصحيحها من سقيمها».

- وقال الشيخ محمد بن علي بن آدم الأثيوبي حفظه الله تعالى: «... وكذا كُتُب العلّامة ناصر الدِّين الألباني فإنها ممتعة جدًّا؛ لأنّ له اليد الطولَى في معرفة الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا، كما تشهد بذلك كتبه القيِّمة، فقَلّ من يُدَانيه في هذا العصر الذي ساد فيه الجهل بهذا العلم الشريف».

- وقال الشيخ زيد بن عبدالعزيز الفيَّاض رحمه الله تعالى: «الشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني من الأعلام البارزين في هذا العصر، وقد عُنِي بالحديث وطرقه ورجاله ودرجته من الصحَّة أو عدمها، وهذا عملٌ جليلٌ من خير ما أُنفِقت فيه السَّاعات وبُذِلت فيه المجهودات، وهو كغيره من العلماء الذين يصيبون ويخطئون، ولكن انصرافه إلى هذا العلم العظيم ممّا ينبغي أن يُعرَف له به الفضل، وأن يُشكَر على اهتمامه به، وأسأل الله لنا وله التوفيق ولعلماء المسلمين وعامتهم»[(٢)].

- وقال الشيخ محبّ الدِّين الخطيب : «من دُعاة السُّنّة الذين وَقَفُوا حياتهم على العمل لإحيائها».

- وأرسل له الشيخ عبدالصمد شرف الدِّين ـ شيخ أهل الحديث في الهند رحمه الله تعالى ـ رسالةً هذا نصُّها: «... هذا وقد وصل إلى الشيخ عبيدالله الرَّحماني

(١) (ص٣٠) من المرجع السابق.
(٢) «الإمام المجدِّد» (ص٩٧).

شيخ الجامعة الإسلامية ـ يعني الجامعة السَّلفية ببنارس ـ استسفارٌ من دار الإفتاء بالرِّياض من المملكة العربية السُّعودية عن حديث غريب في لفظه، عجيب في معناه، له صلة قريبة بزمننا هذا، فاتّفق رأي مَن حضر هَهُنا من العلماء على مراجعة أكبر عالم بالأحاديث النبوية في هذا العصر، ألَا وهو الشيخ الألباني العالم الرَّبَّاني».

- وقال الشيخ محمد بن لطفي الصبَّاغ حفظه الله: «العلّامة المحدِّث الكبير.. أعظم محدِّث في هذا العصر... وَقَفَ حياتَه على خدمة السُّنّة المطهَّرة تعليمًا وتأليفًا وتخريجًا وتحقيقًا..».
- وقال الشيخ علي الطنطاوي : «الشيخ ناصر أعلم منِّي بعلوم الحديث، وأنا أحترمه لجدِّه ونشاطه وكثرة تصانيفه التي يطبعها له أخي وولدي النابغة زُهَير الشاويش، وأنا أرجع إلى الشيخ ناصر في مسائل الحديث ولا أستنكف أن أسأله عنها، معترفًا بفضله...».
- o وقال عنه الشيخ علي الطنطاوي وأخوه ناجي: «وهو ـ الألباني ـ المرجع اليوم في رواية الحديث في البلاد الشامية».
- وقال الشيخ مصطفى الزرقا : «صديقي الأستاذ ناصر الدِّين الألباني المحدِّث المعروف بدمشق».
- وقال الشيخ محمد الغزالي : «الأستاذ المحدِّث العلّامة محمَّد ناصر الدِّين الألباني... وللرجل من رسوخ قدمه في السُّنّة ما يعطيه هذا الحقّ...».
- وقال الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى: «محدِّث بلاد الشام ناصر الدِّين الألباني...». «العلّامة الشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني».
- وقال الشيخ عبد الكريم زيدان حفظه الله تعالى: «محدِّث العصر الأستاذ محمَّد ناصر الدِّين الألباني...».
- وقال الشيخ ربيع بن هادي عُمَير المدخلي حفظه الله تعالى: «الشيخ الألباني من

أئمَّة السُّنّة في هذا العصر، وممَّن حملوا لواءَ السُّنّة خدمةً لها، وتصحيحًا وتضعيفًا، وفي الرِّجال جرحًا وتعديلًا، وواجه البدع في كثير من كتُبه كـ«الصلاة» و«المناسك» و«الجنائز»، وغيرها، وما تمرّ به مناسبة إلّا ويتطرَّق للبدع يُحَذِّر منها ويبيِّن السُّنَن، فقد سار على القاعدة التي قرَّرها: «التصفية والتربية»؛ تصفية السُّنّة من العقائد الباطلة والبدع والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتربية النفس على العقيدة الصافية والسنة الصحيحة»[(١)].

- كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : ـ الذي ما عُلِمَ مثلُه في عصره في علم التفسير واللغة ـ يُجِلّ الشيخ الألباني إجلالًا غريبًا، حتى إذا رآه مارًّا وهو في درسه في الحرم المدني يَقطع درسَه قائمًا ومُسَلِّمًا عليه إجلالًا له[(٢)].
- وقال الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى: «الأخ السَّلفي البحّاثة الشيخ ناصر الدِّين»[(٣)].
- وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى: «أمَّا بعد؛ فقد سُئِلت مرارًا عن الشيخ ناصر الدِّين الألباني حفظه الله فأقول كما قال كثير من السَّلف إذا سُئِلوا عمَّن هو أجلّ منهم قدرًا فيقول أحدُهم: أنا لا أُسْأَل عن فلان!! هو يُسأَل عنِّي... إنّ الشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني حفظه الله تعالى لا يوجد له نظيرٌ في عِلم الحديث، وقد نفع الله بعلمه وبكُتبه أضعاف أضعاف ما يقوم به أولئك المتحمِّسون للإسلام على جهل أصحاب الثورات والانقلابات، والذي أعتقدُه وأدينُ لله به أنّ الشيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني حفظه الله من المجدِّدين الذين يَصدُق عليهم قول الرَّسول ﷺ: «**إنّ اللهَ يَبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مئة سنة من يُجَدِّد لها أمرَ دينِها**» رواه أبو داود وصحَّحه العراقي وغيرُه...

---

(١) «الذبّ الأحمد» (ص٢١).
(٢) «الإمام المجدِّد» (ص٩٥).
(٣) «الإمام المجدِّد» (ص٩٥).

إذا عرفت أنّ الشيخ حفظه الله ليس له نظيرٌ في علم السُّنّة فما منزلته في فهم النصوص؟ الذي أعرفه عنه أنّ فهمَه للنصوص كفهم كبار عُلَمائنا المعاصرين، على أنِّي أقول كما قال الإمام مالك : : كلّ يُؤخَذ من قوله ويُتْرَك إلّا صاحب هذا القبر ـ يعني رسول الله ﷺ ـ»[١].

- قال الدكتور أمين المصري : ـ رئيس قسم الدِّراسات العُليا في الجامعة الإسلامية سابقًا ـ: «مِن نَكَد الدُّنيا أن يُخْتَار أمثالنا من حَمَلة الدكتوراة لتدريس مادَّة الحديث في الجامعة، وهناك مَن هو أولى بذلك منّا، ممّا لا نصلح أن نكون من تلامذته في هذا العلم، لكنها النظم والتقاليد»[٢]. وقد كان الدكتور أمين المصري : يُصَرِّح دائمًا أنّ الشيخ الألباني أحقّ منه بهذا المنصب وأجدر، ويَعُدّ نفسَه من تلاميذه[٣].
- وجاء في كتاب «شهر في دمشق» للأستاذ المؤرِّخ الأديب عبدالله بن خميس حفظه الله تعالى ما نصّه: «وهكذا وجدْتُ السَّلفية في دمشق بين صفوف الجامعة وفي حلقات العلماء يحملها شبابٌ مثقف مستنير، يَدْرُس الطبّ والحقوق والآداب... قال لي شابٌّ منهم: ألَا تحضُر دَرْسَنا اليوم؟ فقلتُ: يُشَرِّفني ذلك، فذهبتُ مع الشباب لأجِدَ فضيلةَ الشيخ ناصر الدِّين الألباني محدِّث دمشق الكبير، وحولَه مَن يزيد على الأربعين طالبًا من شباب دمشق المثقّف، وإذا الدرس جارٍ في «باب حماية المصطفى ﷺ جَنَاب التوحيد وسدِّه طرُق الشرك» من «كتاب التوحيد» وشرحه «فتح المجيد» للمجدِّد الإمام محمَّد بن عبدالوهاب وحفيده رحمهما الله، فعجبت أشدّ العجب لهذه المصادفة الغريبة. وأنصت لأسمع درس الشيخ وإذا بي أسمع مناقشة الطلبة الهادئة

(١) «الإمام المجدِّد» (ص١٠٤-١٠٦).
(٢) «الإمام المجدِّد» (ص١١١).
(٣) «الإمام المجدِّد» (ص٣٠).

الرَّزينة واستشكالاتهم العميقة، حتى انتهى درسُ التوحيد، وبدؤوا في درس الحديث بـ «الرَّوضة الندية»، وهنا سمعتُ عِلمًا جمًّا، وفقهًا وأصولًا وتحقيقًا، وهكذا حتى انتهى الدّرس. ولم أزل طيلة مُقَامي بدمشق محافظًا على درس الشيخ، وقد انتهوا في علم التوحيد من كتاب «فتح المجيد»، وبدؤوا في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفي كلّ حين يزداد عددُهم، وتتجدّد رَغبتُهم ويَكتُبون وينشرون، ومن تتبَّع «مجلة التمدُّن الإسلامي» وقف على ما لهذا الشيخ وتلاميذه من نشاط وجهود، ولقد لمست بنفسي لهم تأثيرًا كبيرًا على كثير من الأوساط ذات التأثير في الرَّأي العامّ، ممّا يبشر بمستقبل جدّ كبير لهذه الدعوة المباركة»[(١)].

- وقال الشيخ المؤرِّخ النسَّابة حمد الجاسر رحمه الله تعالى: «ولقد عرفتُ في مدينة دمشق عددًا من أجلّة المعنيِّين بتحقيق التراث... كما عرفتُ الشيخ ناصر الدِّين الألباني بكثرة تردُّدي على «دار الكتب الظاهرية»، إذ كان يعدّ من أحلاسها، وقد كتب كثيرًا من فهارسها، ونقّب عن نوادر مخطوطاتها، وفي الوقت نفسه كان يعمل في إصلاح السَّاعات له دُكّان صغير قرب باب الجامع الأموي»[(٢)].

- وكتب إليه الشيخ محمد طيب أوكيج اليوسنري أستاذ التفسير والحديث والفقه بكلية الإلهيات بجامعة أنقرة بتركيا وبالمعهد الإسلامي العالي بمدينة «قونيا» عدّة رسائل يُظهِر فيها إعجابَه بالشيخ، وليسأله بعض الأسئلة العلمية، منها رسالة في ٧ شعبان ١٣٨٩هـ يقول فيها: «حضرة صاحب الفضيلة العلّامة البحَّاثة سماحة الأستاذ السيِّد أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدِّين الألباني المحترم، حفظه الله من

---

(١) «الإمام المجدّد» (ص١١٢).

(٢) «الوطن العربي من رحلات حمد الجاسر» (٢/ ٢٢١-٢٢٢).

قال بعض المعلّقين: بل دكانه في منطقة العمارة البرَّانية خارج سورية دمشق وهي ما تزال يعمل فيها أولاده. من كتاب: «علماء ومفكّرون معاصرون» (ص١٨).

كلّ مكروه، ونفعنا بعلومه، سيِّدي وأستاذي المحترم... أهنِّئكم بنجاحكم العظيم هذا في ميدان العلم، كثّر اللهُ أمثالَكم في العالَمِ الإسلامي، والواقع أنِّي أودّ أن أظفر على كافة مؤلّفاتكم القيِّمة، فمن فضلكم أن تأمُروا ناشريكم أن يُرسلوها على عنواني، ولكم الشكر سلفًا»[(١)].

- وقد كتب عنه الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس جمعية التمدُّن الإسلامي بدمشق، الذي أعجب بعلمه وفسح له المجال لينشُر في المجلة كثيرًا من مقالاته الهادفة الناقدة، غير مبالٍ بأهواء الكثيرين من المعارِضين، وكان من قول الأستاذ أحمد مظهر: «عَرَفَتْ دمشق مُحدِّثُها الأكبر العلّامة بدر الدِّين الحسيني، فلمّا توفّاه الله خلت الدِّيار من إمام تتّجه الأنظار إليه في علوم الحديث، غير أنّ فتًى أرناؤوطيًّا نشأ نشأةَ علم وتُقى، وكان له من اسمه نصيب: هو الأستاذ محمد ناصر الدِّين الألباني، عرف في أوساط الشباب بخدمته للحديث وعُلومه، وجمع الشباب عليه واشتهر بينهم، واستطاع بفصاحة لسانه العربي وطلاوة حديثه وجَودة مناقشته أن يستأثر بنخبة تأخذ عنه وتتلمذ عليه»[(٢)].
- وقال الشيخ الفقيه محمد بن الأمين بوخبزة الحَسَني المغربي: «... أشهدُ بمنتهى الصّدق والنّزاهة ـ والله على ما أقول وكيلٌ ـ أنّني ما رأيتُ فيمن لقيتُ من العلماء ـ وهم كثير ـ وأخذتُ عنهم مثلَ الشّيخ محمّد ناصر الدِّين محمَّد بن نوح نجاتي الألباني الأرناؤوطي، في علمه وإخلاصه واطِّلاعه على علوم الحديث ودقائقه، وإنصافه في البحث والمناظرة، علاوةً على سلوكٍ أشبهَ بسلوكِ السَّلَف الصَّالح، أقول هذا ولا أزكّي على الله أحدًا»[(٣)].

---

(١) «ترجمة موجَزة» د. عاصم عبدالله القريوتي (ص١٧-١٨).

(٢) «ترجمة موجَزة» (ص١٩).

(٣) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدِّين الألباني : » بقلم الشيخ العلّامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدّم له: د. جمال عزّون.

- وقال الشيخ محمد أمَان بن علي الجامي : : «ذكرتُ عدّة مرَّاتٍ أنِّي أحبّ الشيخ ناصر الألباني وأقدِّرُه، وفعلًا: أُشهِدُ الله، ثمَّ أُشهِدُكم ـ الحُضور ـ بأنِّي أحبُّ فضيلة الشيخ ناصر الألباني وأقدِّرُه؛ لأنه من أهل العلم، ومن كبار علماء الحديث، فيجب أن نحبَّ أهل الحديث وأهل العلم، وأهل الفضل نحبُّهم ونحترمهم»[١].
- وقال عنه الشيخ عمر الأشقر: «محدِّث العصر محمد ناصر الدِّين الألباني».
- وكتب إليه الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد: «الوالد الجليل محدِّث الشام، بل محدِّث الدنيا في عصره...»[٢].
- وكتب إليه الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري: «والدنا الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني الموقّر تقديرًا لعلمه وصلابته..»[٣].
- وكتب إليه الشيخ السيد سابق: «العالم العامل المحدِّث الأستاذ..»[٤].

***

ولمّا كان ثناء الناس على العبد من البشائر المحمودة؛ كان للإمام الألباني قبول في الأوساط العلمية، وكان من نتائج ذلك ترشيحه ـ وهو أحقّ بها وأهلها ـ لجائزة الملك فيصل العالمية.

ومن جميل ما يُذكر في هذا: مقتطفات من كلمة الشيخ محمد إبراهيم شقرة في

(١) «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» كتبه: علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد (ص٣٧) حاشية.
(٢) «حصول التهاني بالكتب المهداة إلى محدِّث الشام محمد ناصر الدِّين الألباني» (٢/ ٣١٣).
والناظر في هذا الكتاب «حصول التهاني» وما جاء فيه من إهداءات كثيرٍ من المؤلِّفين والمحقِّقين إلى الشيخ الألباني يرى مصداقَ ما لهذا الإمام الكبير من المنزلة الرَّفيعة، وانظر على سبيل الاختصار إلى فهرس الألقاب العلمية الذي عقده صاحب الكتاب الشيخ جمال عزّون ـ أثابه الله تعالى ـ في (٣/ ٧٥٤-٧٦٨).
(٣) «حصول التهاني» (٣/ ٦٣٩).
(٤) «حصول التهاني» (٢/ ٧٧٨).

كلمته التي ألقاها في حفل الجائزة عندما استلم الجائزة نيابةً عن الإمام الألباني الذي أقعده المرض.

جاء في كلام الشيخ شقرة: «... وأجمعت البصيرتان ـ بصيرة الملك والعلم ـ أمرَهما أن يدعا للجائزة الفيصلية الرَّفيعة الشأن تحتار من تريد لتكون جزاءً وفاقًا له، فأجالت بصرَها في الآفاق، فأشأمت في أفق الشام شامةً جميلةً، مكتوبًا فيها: هنا ديوان الأثر، وناشر السنّة، ومحدِّث العصر: محمد ناصر الدِّين الألباني، يكاد سناها يملأ الآفاق كلها، وما كادت الجائزة الفيصلية الرَّفيعة التي كانت بعض تكريم للملك الرَّاحل فيصل بن عبدالعزيز : تبصر بهذا الاسم حتّى عادت مُسرِعةً لتقول للبصيرتين: لقد جئتكما من الشام بنبأ يقين، إنِّي وجدتُ من يُسعدُني أن أكون بعضًا من جزائه في الدنيا، لأكون من الشهداء لكم أنكم يا أبناء عبدالعزيز ممّن قيل فيهم قديمًا: لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلّا ذوو الفضل، فاهنؤوا بها منّ اللهُ عليكم، وعرفتم الحقّ في أهله فأدَّيتموه، ولقد كانت هذه منكم يدًا بيضاء لهذا الشيخ الجليل، ونصرة لدعوة الحقّ التي أحياها وجاهد فيها الإمام محمد بن عبدالوهاب، فثأتم بها وقدة نفوس كزت، واسبتم بها وغرة قلوب كظت، فأبشروا وأمِّلوا خيرًا، فوالله ما نصر مؤمنٌ مؤمنًا في موطن يُظلَم فيه إلّا ونصره الله في موطن لا يكون فيه الناصر إلّا الله وحده، فكونوا أنصار الله، والله ما كان لكم في الأرض تمكين إلّا لأنكم نصرتموه، ولا أبقى الملك فيكم إلّا لأنكم عزّرتموه، ومن أصاب خيرًا كثيرًا، فاحفظوها بها حفظ الله، وعضّوا على الأمر العتيق الأول بالنواجذ، واعلموا أنكم في أعيُن الناس المثل المحتذى بتحكيم شريعة الإسلام بمقتضى التوحيد الحقّ، فلا يؤتينّ فيه ـ لا قدّر الله ـ من قِبَلكم، فتؤتون أجرَكُم مرَّتين، وأسعد الناس في الدنيا والآخرة من كان شعاره: ﴿ Q P O N ﴾[1]»[2].

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) «الإمام المجدِّد» (ص٣٧-٣٨).

قلت: إذا كانت الجوائز تشرِّف كثيرًا ممّن يحصُلون عليها، فإنّ قليلًا من الناس يُشرِّفون الجائزة إذا جاءت تسعى إليهم، ومن أولئك الإمام الألباني ‌ :‌ ، وهذه صورة وثيقة الجائزة:

من وجوه نصرته للسنّة

اجتاحت رياضَ السنّة زوابعُ كثيرةٌ فكثُر الكذب والدسّ في سنّة النبيّ ﷺ لأسباب كثيرة؛ من جملتها شراذم من الزنادقة أرادُوا الكيدَ والتلبيس على المسلمين، فوضعوا الأحاديث المُرَغِّبة والمُرهِّبة لتشويه مقام السنّة النبوية.

ومن الأسباب أيضًا: جهلةٌ من العُبّاد والزّهّاد، قَلّت بضاعتُهم من العلم الشرعي، فاستحسنوا وضعَ بعض الأحاديث في فضائل الأعمال؛ ليُحبِّبوا إلى الناس ـ بزعمهم ـ فعلَ الخيرات.

ومن جملة الأسباب أيضًا: التعصُّب لبلدٍ أو حِرفةٍ أو مذهب، ترتّب من جرّائه الكذب على النبيّ ﷺ لنُصرة ما تُعُصِّب له.

ويُضاف إلى تلك الأسباب: أصنافٌ من الرواة غير المعتدّ بروايتهم، من كَذّابٍ ومُختلط، وغيرهم.

ومع هذه الزوابع التي اجتاحت رياضَ السنّة لتُكدِّر نقاءَها وتُعكِّر صفوَها، مع هذا كلِّه: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾، قيَّض اللهُ للسنّة جنودًا يحفظون ساحتَها الغَرَّاء من عبث العابثين وفساد المفسدين.

ولقد كان للمُحدِّثين ـ على أمواتهم وأحيائهم رحمة الله تعالى ـ قصبُ السبق في ذلك؛ بل هم فرسان الميدان وحاملو ألويته، شمَّروا عن سواعدهم، دافعوا عن حياض السنّة أعظمَ دفاع، وكانوا بحقٍّ حُرَّاسًا على أبواب السنّة، منعوا كلّ دخيل وكشفوا عوار كلِّ عليل.

ذكر الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: أنّ هارون الرَّشيد أمر بقتل زنديق، فقال ذلك الزنديق: يا أمير المؤمنين، أين أنتَ عن أربعة آلاف حديث وضعتُها فيكم أُحرِّم فيها الحلال وأحلِّل فيها الحرام، ما قال النبيُّ ـ ﷺ ـ فيها حرفًا؟

فقال له الرشيد: أين أنت ـ يا زنديق ـ من عبدالله بن المبارك وأبي إسحاق الفزاري، ينخلانها فيخرجانها حرفًا حرفًا؟

وقال الإمام ابن قتيبة يمدح المحدِّثين: «ولم يزالوا في التنقير عنها والبحث لها حتى عرفوا صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، وعرفوا من خالفها إلى الرأي».

وقال ابن خزيمة رحمه الله تعالى: «ما دام أبو حامدٍ الشرقيُّ في الأحياء فلا يتهيَّأ لأحَدٍ أن يكذب على رسول الله ﷺ».

وقال الدارقطني رحمه الله تعالى: «يا أهل بغداد، لا تظنّوا أنّ أحدًا يقدر يكذب على رسول الله ﷺ وأنا حيٌّ»[(١)].

وبكلّ حال؛ فجهود المحدِّثين في الذبّ عن السنّة لا تكاد أن تحصى، يشهد لذلك ويُؤكِّدُه عشرات ـ بل مئات ـ المصنّفات المطوَّلة والمختصرة في بيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مع بيان علل أسانيدها ومتونها.

ناهيك عن كتب التراجم التي تضمّ بين دفّتيها آلاف الرواة، مع بيان حالهم ومروياتهم، سواء كانوا من الثقات أم الضعفاء.

ومع هذا؛ فقد أُفرِدت كتُبٌ مستقلة عن الوضّاعين والكذّابين لتُعرَف رواياتُهم، وتُتّقى أخبارُهم.

قال الإمام مسلمٌ رحمه الله تعالى: «وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث وناقلي الأخبار، وأفتوا بذلك حين سُئلوا؛ لما فيه من عظيم الخطر، إذ الأخبار في أمر الدِّين إنما تأتي بتحليل أو تحريم، أو أمرٍ أو نهي، أو ترغيب أو ترهيب..»[(٢)].

إنّ جهود المحدِّثين من أعظم الجهود المبذولة في خدمة الإسلام والمسلمين، وكيف لا يكون ذلك وهم المقيَّضون لحراسة قلعة السنّة من عب العابثين وإفساد المفسدين؟

---

(١) «اهتمام المحدِّثين بنقد الحديث» (ص١٤٠-١٤١).

(٢) مقدمة «الصحيح» (ص٢٨).

ومع هذه الجهود العظيمة التي عُنيت بالمحافظة على السنّة النبوية؛ لا يزال لكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة حظّ في التداول على ألسنة الناس، وعلى صفحات الجرائد والمجلّات، وبعض الكتب الوعظية وغيرها.

وذلك راجعٌ إلى التساهُل في التثبُّت من صحَّة الحديث، أو الجهل بعلم الحديث روايةً.

ويجمع هذا كلّه: عدمُ السؤال، والإصرار على ما اشتهر على الألسنة.

وإذا كان المحدِّثون السابقون ـ على اختلاف أزمنتهم ـ قد بذلوا جهودًا عظيمةً في شأن الدِّفاع عن حياض السنّة كما تقدّم، فإنّ إخوانهم من المحدِّثين المعاصرين قد تولّوا قيادة سفينة السنّة والمحافظة عليها وبيان الدخيل عليها.

ولعل الإمام الألباني : يتقدّم تلك الثلّة المباركة في مجال التحقيق الحديثي، وكيف لا يكون ذلك وقد شهد له الأكابر من علماء الأمة بالرسوخ في هذا الشأن، بل نصّ أبرز العلماء في عصره ـ وهو شيخ الإسلام ابن باز ـ على أنّ الإمام الألباني يتبوّأ الصدارة في هذا الشأن[١].

بعد هذا يقال:

إنّ جهود الإمام الألباني في العناية بالتحقيق الحديثي أشهر من علَم في رأسه نار، ومن جهوده في ذلك:

- «سلسلة الأحاديث الصحيحة». المطبوع منها سبعة أجزاء تحتوي على ٤٠٣٥ حديثًا.
- «سلسلة الأحاديث الضعيفة». المطبوع منها ١٤ جزءًا تحتوي على ٧١٦٢ حديثًا.
- «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل».

(١) انظر مبحث: مكانته وثناء العلماء عليه (ص٢١٧).

- «صحيح الجامع الصغير وزيادته».
- «ضعيف الجامع الصغير وزيادته».
- «صحيح الأدب المفرد».
- «ضعيف الأدب المفرد».

إلى غير ذلك ممّا تراه مثبتًا في مبحث: آثاره العلمية.

ولم تقف همَّة الإمام الألباني وعزيمته على جانب التحقيق الحديثي فحسب، بل بذلك جهودًا كثيرةً في وجوه متنوِّعة في نصرة السنّة، فمن ذلك:

١ - تحقيق بعض رسائل شيوخ وأئمَّة من أهل السُّنّة المتقدِّمين:

«أصول السُّنّة واعتقاد الدِّين» للحُمَيدي.

«الإيمان» لابن أبي شيبة.

«الإيمان» لأبي عُبَيد القاسم بن سلام.

«الاحتجاج بالقدَر» لابن تيمية.

«الإيمان» لابن تيمية.

٢ - تحقيق بعض رسائل شيوخ من أهل السنة المتأخرين والمعاصرين:

«القائد إلى تصحيح العقائد» للمُعَلِّمي.

«التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» للمُعَلِّمي.

«إصلاح المساجد من البدع والعوائد» للقاسمي.

٣- إبراز كتُب السُّنّة بالنصّ على وجودها فيما وقع عليه منها أثناء بحثه في المخطوطات بفهرستها:

٤ - التصنيف في مسائل عقدية:

«الآيات والأحاديث في ذمّ البدعة».

«تحذير السَّاجد من اتِّخاذ القبور مساجد».

«الحديث حُجَّة بنفسه في العقائد والأحكام».

«قاموس البدع».

«منزلة السُّنَّة في الإسلام وبيان أنه لا يُسْتَغْنَى عنها بالقرآن».

٥ - الرَّدّ على المخالفين:

«الرَّدّ على السَّخَّاف فيما سوّده على دفع شبه التشبيه».

«الرَّدّ على التعقّب الحثيث».

«مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية».

٦ - ثناؤه على أئمة السنة ومحبته لهم واعترافه بفضلهم وما لهم من الحقوق:

- قال في أثناء كلامه عن سبب تأليف كتابه «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»: «... فرأيتُ من واجبي تجاه إمام السُّنّة ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ ومن حقِّه عليَّ أن أقوم بخدمة متواضعة لمذهبه وفقهه رحمه الله تعالى، وذلك بتخريج هذا الكتاب».
- ومن ثنائه على شيخ الإسلام والإمام ابن القيِّم قوله : : «... كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيِّم الجوزية ـ رحمهما الله ـ الذي أعتقد أنهما من نوادر علماء المسلمين الذين سلكوا منهج السَّلَف الصالح في فقههم، مع التقوى والصلاح ولا نزكِّي على الله أحدًا»[(١)].
- انظر كتابه «تحذير الساجد» (ص٦٣) في ثنائه العاطر البليغ أيضًا على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
- وقال : : «ليس غرضي الآن أن أُشبع الكلام في توحيد الربوبية والألوهية وما يُنافيهما من الشِّرك والوثنية، فذلك أمرٌ لا تتّسع له هذه المقدمة، لا سيما

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص١٤١).

وقد قام بذلك خيرَ قيام أئمة التوحيد وشيوخ الإسلام، كالإمام ابن تيمية، وابن قيِّم الجَوزية، ومحمد بن عبدالوهَّاب، والصنعاني، والشوكاني، وغيرهم من أولي الألباب»[١].

- وقال : : «فلا بُدّ أن نعلم أنّ الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب كان سلفيًّا في العقيدة، وله الفضل الأوَّل من بعد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهم الله جميعًا ـ في نشر دعوة التوحيد في العالَم الإسلامي بصورة عامَّة، وفي البلاد النجدية والحجازية بصورة خاصَّة، يعود الفضل إليه بعد ابن تيمية»[٢].

٧- الدِّفاع عن أئمة السُّنّة:

- انظر مثلًا دفاعه عن الإمام القَطِيعِي رحمه الله تعالى؛ فقد نقل الألباني رحمه الله تعالى قول الطاعن في الإمام القطيعي: «وهذا الرجُل كان فاسدَ العقيدة من أشرار الناس»!

ثمَّ قال الشيخ الألباني : : «فأقول: سُبحانكَ هذا بُهتانٌ عظيمٌ مِنْ هذا الأفّاك الأثيم، الطاعن في العلماء الصالحين، بغير حقٍّ مبين! فقد مضى على وفاة القَطيعي : أكثرُ من عشرة قرون لم يتعرَّض أحَدٌ له بطعن في عقيدته، ولا في خلُقه مُطلَقًا، لا تلويحًا ولا تصريحًا، بل إنّ العلماء الذين ترجموا له كلّهم أجمعوا على أنه كان حسنَ العقيدة صالحًا، وإليك بعض ما يحضُرُنا من أقوالهم...».

ثم ساق ـ رحمه الله تعالى ـ أقوالًا لبعض أهل العلم[٣].

- مقدمته لكتاب «مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي»، ومن ذلك مثلًا دفاعُه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
- وانظر «الضعيفة» (ص٦٤) (حديث ٤٧) فقد دافع أيضًا عن شيخ الإسلام.

---

(١) «الآيات البيِّنات في عدم سماع الأموات» (ص١٥). وعنه: «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٤٤).

(٢) «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» (ص١١٢).

(٣) «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد» (ص٣١).

- وقال : : «... ونحنُ ـ بلا شكّ ـ لا يسُرُّنا أبدًا أن ينالَ أحَدٌ من الشيخ محمد بن عبدالوهاب كما يفعلُ أعداءُ الدعوة وأعداء التوحيد، حيث يتّهمونه بكلّ ما اتُّهِم به السلفيُّون في كل بلاد الدنيا»(١).
- وقال : ـ بعد تخريجه الحديث المشهور في: «نجد قرن الشيطان» ـ: «.. وإنما أفضتُ في تخريج هذا الحديث الصحيح وذِكر طرُقه وبعض ألفاظه؛ لأنّ بعض المبتدعة المُحارِبين للسنّة والمنحرفين عن التوحيد يَطعنون في الإمام محمد بن عبدالوهاب مجدِّد دعوة التوحيد في الجزيرة العربية، ويحملون الحديثَ عليه باعتباره من بلاد «نجد» المعروفة اليوم بهذا الاسم! وجهلوا ـ أو تجاهلوا ـ أنها ليست هي المقصودةَ بهذا الحديث، وإنما هي «العراق» كما دلّ عليه أكثرُ طرُق الحديث، وبذلك قال العلماء قديمًا، كالإمام الخطابي، وابن حجَر العسقلاني، وغيرهم»(٢).
- وزاد في موضع آخَر تعليقًا على الحديث السابق قوله : : «... خلافًا لما عليه كثيرٌ من الناس اليوم، ويَزعُمون ـ لجهلهم ـ أنّ المقصود بـ«نجد» هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم، وأنّ الحديثَ يُشير إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه! حاشاهم؛ فإنهم الذين رفعوا رايةَ التوحيد خفّاقةً في بلاد نجد وغيرها، جزاهم الله عن الإسلام خيرًا»(٣).
- تعليقاته المنثورة في حواشي كتاب «التنكيل» للمعلِّمي رحمه الله تعالى.

٨ - الثناء على كتُب السُّنّة:

- من ذلك حضّه : لمن أراد معرفة الحقّ في بعض مسائل التوحيد وما يناقضه فعليه بالرجوع إلى كتاب «مجموعة التوحيد النجدية»، وكتاب «قاعدة

---

(١) «مسائل علمية» (ص١١٥).
(٢) «مسائل علمية» (ص١١٨) نقلًا عن «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٣٠٥).
(٣) «مسائل علمية» (ص١١٩) نقلًا عن تعليق للشيخ على كتابه «مختصر صحيح البخاري» (ص٤٨٠).

جليلة في التوسُّل والوسيلة» و«الردّ على البكري» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية :[١].

- وانظر كثيرًا من مقدماته لكتب العقيدة التي حققها.

٩ - تدريسه لكتب أئمة السنة:

«اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

«تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» للإمام الصنعاني.

«فتح المجيد» للعلّامة عبدالرحمن بن حسن.

واقرأ ما خطه الأستاذ عبدالله بن خميس انظر (ص٢٢٥) من هذا الكتاب.

١٠ - رحلاته لنشر السنّة.

انظر: مبحث «من رحلات الألباني العلمية» (ص١٩٣).

١١ - شكره لمن سعى في نشر كتُب السنّة:

- قال رحمه الله تعالى في مقدمة تحقيقه لكتاب «الإيمان» لابن أبي شيبه ـ مطبوع ضمن أربع رسائل ـ: «فهذه أربع رسائل من آثار سلفنا الصالح وأئمَّتنا المحدِّثين، أزمعنا على نشرها بعد أن يسَّر الله تبارك وتعالى لها من يُنفِق على طبعها من ذوي الكرم والشرف، ويعود الفضل في البدء بذلك إلى فضيلة الشيخ محمد نصيف السَّلفي الشهير، فهو الذي كان كتب إليَّ سنة ١٣٨٣ ـ وأنا يومئذ في المدينة المنورة ـ أن أختار له بعض الرَّسائل المخطوطة التي لم يَسبِق أن نُشِرت من قبل، فانتقيتُ له من فهرستي ـ التي كنت جمعت فيها أسماء كتب الحديث المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ـ الرسائل المشار إليها، وهي لبعض الأئمَّة المعروفين بالحفظ والعلم والعقيدة، وأرسلت بأسمائها إليه، وهي:

(١) «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٣٢).

«كتاب الإيمان» للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة.

«كتاب الإيمان» للإمام أبي عُبَيد القاسم بن سلام.

«كتاب العلم» للحافظ أبي خيثمة زُهَير بن حرب.

«كتاب اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي...».

ثمَّ ختم بقوله: «فخذها أيّها القارئ الكريم رسائل أربعًا مصحَّحة منقَّحة، معلّقةً مخرجةً، مطبوعةً طبعًا مُتقَنًا، ولا تنسَ من دُعائك الصَّالح مؤلفيها، ومَن كان له فضل في السَّعي لطبعها والإنفاق عليها، ومَن قام على تحقيقها وتخريج أحاديثها. والله تعالى هو المسؤول أن يَجْزِيَ من ذكرنا خيرَ ما يجزي من يسعى لنشر دينه وحفظ سنة نبيه ﷺ، ويجعله لهم أجرًا مستمرًّا إلى يوم الدِّين ﴿ : ; < = > ? @ A B C D E F ﴾، والحمد لله ربِّ العالمين».

- ويقول في مقدمة «مختصر العلوّ للعليّ الغفار»[1]: «... ويعود الفضل في إقدامي على اختصار هذا الكتاب الجليل ـ فضلًا عن نشره ـ إلى أخي في الله تعالى الأستاذ زُهَير الشاويش، فقد كنتُ في حديثٍ علميّ معه والكتب المؤلفة في العقيدة حين جاء ذِكر هذا الكتاب».
- «... وشكر الله له سعيهُ في قيامه على طبع آثار السلف الصالح»[2].
- «... وهو ـ كتاب «الجوهر الباهر في زوار المقابر» ـ كتابٌ نفيس جامع في بابه، وفّق الله له من يطبعُه، ثم حقّق الله الأمنية فطبع عن النسخة الظاهرية في المطبعة السلفية في القاهرة، عُني بنشره العالمان الجليلان: الشيخ عبدالملك بن إبراهيم رئيس هيئة الأمر بالمعروف في الحجاز بارك الله في عُمره، والشيخ محمد نصيف رحمه الله وجزاه عن السنّة خيرًا»[3].

---

(١) (ص٥).

(٢) «كتاب فضل الصلاة على النبيّ ﷺ» (ص٥).

(٣) «تحذير الساجد» (ص١٨٢-١٨٣) حاشية (١).

١٢ - شكره للمسؤولين عند قيامهم بما ينصر السنّة:

ومن ذلك قوله:

- «... أقول هذا مع الاعتراف بأنني لم أر أحدًا يأتي ذلك المكان للصلاة فيه؛ لشدّة المراقبة من قِبَل الحرَّاس الموكَّلين على منع الناس من أن يأتوا بما يخالف الشرع عند القبر الشريف، فهذا ممَّا تُشكر عليه الدولة السُّعودية»(١).
- «... ونحن نشكر الأوقاف ـ في سوريا ـ على هذه المواقف الطيِّبة وحرصها على منع الدفن في المساجد»(٢).
- «... لا سيما وزير الأوقاف فضيلة الشيخ الباقوري له مواقف كريمة في محاربة كثير من هذه المنكَرات، وخصوصًا بناء المساجد على القبور»(٣).
- «... كان ذلك مساعدةً من المسؤولين في المكتبة ـ الظاهرية ـ والمجمع العلمي على التحقيق في علم الحديث والسنّة، فلهم منِّي الشكر الجزيل، فإنّ «**مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله**»»(٤).

١٣ - التسجيل الصوتي لكثير في مسائل عقدية وغيرها.

١٤ - مسارعتُه إلى دعم ما ينصُر السنّة:

قدّمت له لجنة مسجد الجامعة سنة ١٣٧٠هـ أسئلةً تتعلق بأحكام المسجد، قال الشيخ رحمه الله تعالى: «... فلما قدّمت إليَّ هذه الأسئلة رأيتني مندفعًا إلى الإجابة عنها محاولةً منِّي ومشاركةً في جعل مسجد الجامعة أقرب إلى السنّة وأبعد عن البدعة...»(٥).

---

(١) «تحذير الساجد» (ص٩٢).
(٢) «تحذير الساجد» (ص١٠).
(٣) «تحذير الساجد» (ص١٠).
(٤) «كتاب فضل الصلاة على النبيّ ﷺ» (ص٤) حاشية (٢).
(٥) «الأجوبة النافعة» (ص٤).

من دفاع مشايخ السنة
عن الشيخ الألباني

معرفة حقّ العلماء مما نصّ عليه الشرع وعني بشأنه، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «**ليس منّا من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه**»[1].

وهذا الوعيد ـ «**ليس منّا**» ـ دليلٌ على خطورة الاستخفاف بحقّ العلماء، وإضافة النبيّ ﷺ لفظ «العالم» ـ «**عالمنا**» ـ إلى الأمة دليلٌ على ما لعلماء السنّة من المكانة الرفيعة والرتبة الشريفة.

ولبيان خطورة هذا الأمر يُقال:

إنّ إهانة العلماء أو ازدراءَهم أو تنقُّصهم أو الاستخفاف بهم أعظمُ جُرمًا وأشدُّ إثمًا من إهانة وازدراء غيرهم؛ ذلك لأنّ إهانة العلماء ليست إهانة لذواتهم فحسب، بل تتعدّى ذلك إلى إهانة ما يحملونه من العلم، وما يتمثلون به من الدِّين والخُلق، ولذا يُخشى على من أهان أهل العلم من حُلول العقوبة المعجَّلة به؛ لشناعة جُرمه وعظيم جنايته.

والعجب أنّ رمي العلماء بالجهل وازدراءهم قضيةٌ ليست وليدة هذا العهد، بل أصولها ضاربةٌ في أول عُهود الإسلام، وكان ممَّن تبوَّأ إثمها وباء بوبالها شراذمُ المبتدعة على اختلاف مشاربهم.

فقد ذكر الإمام الشاطبيُّ في «الاعتصام»: «أنّ المعتزلي واصلَ بنَ عطاء تكلّم يومًا وعنده عمرو بن عُبيد، فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلامُ الحسن وابن سيرين عند ما تسمعون إلّا خرقةُ حيضٍ مُلقاة!

(١) رواه أحمد والحاكم من حديث عُبادة رضي الله تعالى عنه. وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير».

وروي أنّ زعيمًا من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل علم الكلام على الفقه، فكان يقول: إنّ علم الشافعي وأبي حنيفة جملتُه لا يخرج من سراويل امرأة!

هذا كلام هؤلاء الزائغين! قاتلهم الله» انتهى كلام الشاطبي : .

ولا يزال أهل الضلال يكيدون للعلماء؛ بغية الحطّ من سُمعتهم وكرامتهم، وتتنوَّع أساليبهم بحسب البيئة التي يعيشون فيها والمظلة التي يستظلون بها؛ فللمعتزلة أذناب، وللخوارج أفراخ، وكذا لغيرهم ممن جانب طريق الهداية وسلك طرق الغواية، يتبعونهم حذو القذّة بالقذّة، وحذو النعل بالنعل، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لدخلوه هم تبعًا.

وكيدُ أولئك العلماءَ ليس أمرًا غريبًا ومستنكَرًا منهم، بل ذلك من صميم مبدئهم ومذهبهم، لكن الذي يندى له الجبين وتدمع له العين أن تُشمّ رائحةُ ازدراء العلماء وتنقّصهم ممّن نصب نفسَه مُدافعًا عن السنّة! وهذا من المصاب العظيم في قلعة السنّة، وهم بصنيعهم ذاك لا للسنّة نصروا ولا للبدعة كسروا، بل للسنّة كسروا وللبدعة نصروا.

ولو أنهم سلكوا مسلك الأدب في الردّ لكان ذلك زيادة في رأب الصدع وقوّة البنيان.

نسأل الله أن يهدينا إلى الخلق القويم على صراطه المستقيم.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فالحذر كل الحذر من الجُرأة باللسان والبنان على صفحة العلماء، ومحاولة تشويه سُمعتهم أو توزيع التُّهَم عليهم، فإنّ ذلك يفتح بابًا من الشرّ عظيمًا؛ لما يجرُّه من الفساد والإفساد الحسِّي والمعنوي، لا إلى قائله فحسب، بل إلى المجتمع.

وبعد هذا يقال:

لقد كان علماء السنّة جسدًا واحدًا متى اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد، ومن تصفّح كتب التراجم رأى مصداق ذلك، بل قد صُنِّفت مصنّفات

في هذا الأمر، فمن ذلك:

- «الردّ الوافر على من زعم أنّ مَن سمَّى ابنَ تيمية شيخ الإسلام كافر» للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن شمس الدِّين أبي بكر بن ناصر الدين الشافعي الدمشقي.
- ردّ اليافعي على قصيدة السبكي التي طعن فيها على شيخ الإسلام ابن تيمية.
- «جلاء العينين» للآلوسي.
- «صيانة الإنسان» للسهواني.
- «القول الجليّ في تبرئة ابن تيمية الحنبلي» للصفي البخاري.

وعودًا على بدء يقال:

لقد طال الإمامَ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كما طال غيرَه من علماء السنّة سهامٌ مسمومة أراد بها أصحابُها سُوءًا، ولكن الله تعالى قيَّض له من يُدافع عنه من علماء وطلبة علم ومحبِّين، فردّوا وأنكروا تارةً مكاتبةً، وتارةً مشافهةً، وإليك يسيرًا من كثير في شأن دفاع بعض علماء السنّة عن الإمام الألباني رحمه الله تعالى:

- **دفاع سماحة الشيخ عبدالله بن حميد عن الشيخ الألباني رحمه الله تعالى**: في أحَد دروس شيخنا عبدالله بن حميد أحضر أحدُهُم كتابًا فيه قدحٌ شَنيع في مقام الشيخ الألباني، وفي أثناء قراءة القارئ ـ وكنتُ حاضرًا أسمع ـ قاطعَ سماحة الشيخ ابن حميد القارئَ وقد بدأ عليه التضجُّر ثمَّ قال ما معناه: «هذا كلامٌ قبيحٌ لا يجوز مثله، والرَّدّ على أهل العلم ينبغي أن يكون بأدب». ثمَّ ذكر الشيخ ابن حميد مكانةَ الألباني وخدمتَه للسُّنّة، ثمَّ قال: «كان للشيخ الألباني آراءٌ لا يوافَق فيها، لكن لا يجوز الطعن فيه».
- وبلغني ساعتها أنّ الإمام ابن باز ـ قبل زمن ـ استدعى مؤلِّف الكتاب المذكور وناصحه وذكَّره بالله، فلمَّا أصرَّ المؤلِّف على كتابه كلّم سماحتُه الملك فيصلًا : ـأو خالدًا : ـ ليمنع الكتاب، فوجَّه الملِك بمنعه.
- وقال سماحة الشيخ ابن باز أيضًا: «الشيخ ناصر الدِّين الألباني من إخواننا المعروفين المحدِّثين من أهل السُّنّة والجماعة، نسأل الله لنا وله التوفيق والإعانة

على كلِّ خير، والواجب على كلِّ مسلم أن يتَّقي الله وأن يُراقِب اللهَ في العلماء وألّا يتكلم إلّا عن بصيرة»[(١)].

- وسُئِل سماحتُه في مخيَّمه بمنى فجرَ يوم الجمعة ١٣/١٢/١٤١٨هـ عن الكلام في الألباني بقصد القدح، فجاء في ضمن جواب سماحته: «الألباني معروفٌ بأنه من أهل السُّنّة والجماعة، ومن أنصار السنّة، والذي تكلم فيه قد غَلِطَ وأخطأ، فهو من إخواننا الطيِّبين ومن أنصار السنّة، وله جهودٌ مبارَكة في السنّة، وليس بمعصوم؛ كلٌّ يخطئ ويصيب، كلّ واحد يخطئ ويصيب. يقول الإمام مالك : «ما منّا إلّا رادّ ومردودٌ عليه إلّا صاحب هذا القبر ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ». كلّ عالم له أخطاء؛ الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد، والثوري، والأوزاعي، ومَن بعدَهم إلى عصرنا هذا، كلّ واحدٍ ما يَسْلَم من الخطأ، كلّ بني آدمَ خطّاء، لكن المهمّ أنه معروفٌ من أنصار السُّنّة، ومن دُعاة السنّة، ومن حفّاظ السنّة، ومِنَ المجاهدين في حفظ السنّة، وفّقه الله وزاده خيرًا».

- وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ في مَعْرِض دفاعه عن الشيخ الألباني: «أقول كما قال الأول:

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللَّوم
أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

الألباني : عالِمٌ محدِّث فقيه، وإن كان محدِّثًا أقوى منه فقيهًا، ولا أعلم لهُ كلامًا يدلّ على الإرجاء أبدًا، لكن الذين يريدون أن يُكفِّروا الناس يقولون عنه وعن أمثاله: مرجئة! فهو من باب التلقيب بألقاب سُوء، وأنا أشهَدُ للشيخ الألباني بالاستقامة وسلامة المعتقَد»[(٢)].

---

(١) «الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء» (ص٤٠-٤١).

(٢) «الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء» فيه ردّ على كتيِّب «حقيقة الإيمان عند الشيخ الألباني» (ص٤٢).

- وكتب إليَّ الشيخ أبو محمد عبدالله بن رشيد العنزي[١] قال: «حدّثني من أثق به أنه سمع بعض الناس من المحسوبين على العلم يقول عن الشيخ الألباني: إنّ الشيخ الألباني كَبِرَ وبدأ يتخبَّط في بعض مسائل العقيدة!!

قال الشيخ أبو محمد عبدالله بن رشيد: فعزمتُ السَّفر للقاء هذا القائل والذبّ عن هذا الإمام الجليل، وقبل أن ألقى القائل حضرتُ محاضرةً للشيخ ابن عثيمين : ، وبعد أن أنهى محاضرته تبعتُه خارج القاعة وحدّثتُه بما سمعت، فرأيتُ علامات الغضب والانزعاج على وجهه : ، وبعدما أنهيتُ حديثي قال الشيخ ابن عثيمين: والله مَن قال عن الشيخ الألباني «بدأ يتخبَّط» والله هو الذي يتخبَّط وليس الشيخ! ثم قال: إنّ كثيرًا من المشايخ قبل دعوة الشيخ ما كانوا يفرِّقون بين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع، ومن المشايخ من كان يُفتي ويبني فتواه على أحاديث ضعيفة، بل بعضها موضوع! فبدأ الشيخ ينشُر هذا العلم الشريف حتّى تبصَّر الناس وعرفوا الصحيح من الضعيف، فجزاه الله خير الجزاء... ثمَّ بدأ يوصيني ويُحذِّرني من أولئك الذين يقعون ويتكلمون في العلماء..».

- وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى: «الألباني الآن عَلَمٌ على السُّنّة، الطعن فيه إعانةٌ على الطعن في السُّنّة».

- وقال الشيخ حمَّاد الأنصاري ـ في معرض دفاعه عن الألباني ـ: «صاحب كتاب «تنبيه المسلم على تعدِّي الألباني على صحيح مسلم» ليس له ذَوْقٌ ولا عِلم»[٢].

- وقال الشيخ عبدالمحسن العبَّاد: «الألباني عالمٌ جليلٌ خَدَم السُّنّة، وعقيدتُه طيِّبة، والطعن فيه لا يجوز». ثمَّ نقل الشيخ عبدالمحسن ـ أثابه الله تعالى ـ كلامَ الإمام الطحاوي إذ يقول: «وعلماء السَّلف من السَّابقين ومَن بعدَهُم من

---

(١) إمام مسجد هشام بن العاص بمحافظة حفر الباطن، وقد كتب لي بذلك في رسالة أرسلها بالفاكس بتاريخ ١٨/١٤٢٨هـ.

(٢) «المجموع» (٦٢٣/٢).

التابعين ـ أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر ـ لا يُذكَرُون إلّا بالجميل، ومَن ذَكَرَهم بسُوء فهو على غير السبيل».

- وقال الشيخ عبدالمحسن العبَّاد أيضًا: «والله الشيخ الألباني عالمٌ كبير، ومحدِّث مشهور، وخَدَم السُّنّة، وعقيدتُه طيِّبة، وله جُهُودٌ في العقيدة، وكتاباتٌ في العقيدة السَّليمة، لا يَستَغْنِي طلبةُ العلم عن علمه وعن كُتبه، فالإنسان عندما يتكلم في عالم كبير... والرَّسول ﷺ قال: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمُت**»، وما ذا يريد من الكلام؟! هل يريد من هذا الكلام أن يُحذِّر الناس من الخير الذي كتبَهُ الألباني؟ ومن الخدمة التي خدمها الألباني لسنة الرَّسُول ﷺ؟! هل المقصود من ذلك قطع الطريق أمام طلبة العلم إلى أن لا يستفيدوا من هذا العلم؟! الإنسان عليه أن يتّقي الله ﷻ وأن يحفظ لسانه عن الكلام في مثل الألباني إلّا بخير»[(١)].

- ولمّا نقل الشيخ بكر أبو زيد مقولة بعض الطاعنين في الإمام الألباني قال ـ الشيخ بكر ـ ما نصُّه: «وهذا عينُ التجاهل وغمط الناس أشياءهم بغير حقّ، وارتسام علمية الألباني في نفوس أهل العلم ونصرته للسنّة وعقيدة السلف أمرٌ لا يُنازِع فيه إلّا عدوٌّ جاهل، والحكم ندعُه للقرَّاء فلا نطيل»[(٢)].

---

(١) «الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء» (ص٤٢-٤٣).
(٢) «كتاب الرُّدود» (ص٣٤٤).

من كلمات الشيخ الألباني

من المألوف في كتُب التراجم ذِكر شيء من أقوال المترجَم له، سواء كان ذلك عرضًا في أثناء الترجمة أو عقد مبحث مستقلّ لذلك، وأصبحت بعض تلك الأقوال دارجةً على ألسنة كثير من الناس، ناهيك عن كثرة الاستشهاد بها في مباحث العلم.

ومن هذا المنطلَق انتقيت قليلًا من كثير من سديد كلام الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، فمن أقواله:

- «يجب عليك أيها المسلم أن تعتقد أنّ لله في كلِّ ما شرع لعباده من أمر أو نهي أو إباحة ـ حكمةٌ بل حِكَمًا بالغة، عَلِمَها من علمها وجهلها من جهلها، تظهر لبعضهم وتخفى على آخَرين، ولذلك فالواجب على المسلم حقًّا أن يُبادِر إلى طاعة الله، ولا يتلكّأ في ذلك حتّى تتبيَّن له الحكمة، فإنّ ذلك ممّا يُنافي الإيمان الذي هو التسليم المطلَق للشارع الحكيم، ولذا قال ﷻ في القرآن الكريم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ´ µ ¶ ¸ يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1].

وعلى هذا عاش سلفُنا الصالح، فأعزّهم الله وفتح له البلاد وقلوب العباد، ولا يصلح آخر هذه الأمَّة إلّا بما صلح به أوَّلُها، ولقد كان لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قصب السبق فيه، وكان مثالًا صالحًا لغيره، كما يدُلّ على ذلك موقفه الرائع في قصّة صلح الحُدَيبية..»[2].

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) «تحريم آلات الطرب» (ص١٣٧).

- «... لا بُدّ من التركيز على الدعوة إلى التوحيد في كلّ مجتمع أو تكتّل إسلامي يسعى ـ حقيقةً وحثيثًا ـ إلى ما تُدَندِن به كلّ الجماعات الإسلامية أو جُلّها، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله على أيِّ أرض لا تحكم بما أنزل الله.. هذه الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنها أن تحقِّق هذه الغاية التي أجمعوا على تحقيقها، وعلى السَّعي حثيثًا إلى جعلها حقيقةً واقعيةً إلّا بالبدء بما بدأ به الرَّسول ﷺ»(١).
- «... واعتقادي أنّ كثيرًا مِنَ الكفّار لو أُتِيحَ لهم الاطِّلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام لَسارعوا إلى الدُّخول فيه أفواجًا، كما وقع ذلك في أوَّل الأمر، فليتَ أنّ بعض الدُّوَل الإسلامية تُرسِل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ممَّن هو على عِلمٍ به على حقيقته، وعلى معرفةٍ بما أُلصِقَ به من الخرافات والبدع والافتراءات ليُحْسِنَ عَرْضَه على المدعوِّين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسُّنَّة الصحيحة، ومعرفةٍ ببعض اللغات الأجنبية الرَّائجة، وهذا شيءٌ عزيز يكاد يكون مفقودًا، فالقضية تتطلب استعداداتٍ هامَّةً؛ فلعلهم يفعلون»(٢).
- «... فوَا أسفاه، لقد كنَّا سادةً وقادةً لغيرنا بعلمنا و تمسُّكنا بشريعتنا، وإذا بنا اليوم أتباع و مقلِّدون! ولمن؟ لمن كانوا في الأمس القريب يقلِّدوننا ويأخذون العلوم عنّا! ولكن لا بُدّ لهذا الليل من أن ينجلي، ولا بُدّ للشمس أن تُشرِق مرَّةً أخرى، وها قد لاحت تباشيرُ الصبح، وأخذت الدُّوَل الإسلامية تعتمد على نفسها في كلِّ شؤون حياتها، بعد أن كانت فيها عالةً على غيرها، ولعلّها تسير في ذلك على هدي كتاب ربِّها وسُنّة نبيِّها، ولله في خلقه شؤون»(٣).

---

(١) «التوحيد أولًا يا دُعاة الإسلام» (ص٢١-٢٢).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/تحت الحديث ١٥٧).

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/تحت الحديث ١٦٥).

- «... ويجب على أهل العلم أن يتولّوا تربية النشء المسلم الجديد على ضوء ما ثبت في الكتاب والسُّنّة، فلا يجوز أن نَدَع الناس على ما توارثوه من مفاهيم وأخطاء؛ بعضها باطل قطعًا باتفاق الأئمَّة، وبعضها مختلف فيه وله وجهٌ من النظر والاجتهاد والرَّأي، وبعض هذا الاجتهاد والرَّأي مخالف للسنة»[١].
- «... وبدون هاتين المقدّمتين: «العلم الصحيح»، و«التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح» يستحيل ـ في اعتقادي ـ أن تقوم قائمةُ الإسلام أو حكم الإسلام أو دولة الإسلام»[٢].
- «... وإذا كان الرَّسول ـ عليه الصلاة والسَّلام ـ جعل العلاج في رفع الذلّ المخيِّم علينا إنّما هو الرُّجوع إلى الدِّين، فيجب علينا إذن أن نفهم الدِّين بواسطة أهل العلم فَهْمًا صحيحًا موافقًا للكتاب والسُّنّة، وأن نُرَبِّيَ النَّشْءَ الصالح الطيِّب على ذلك، وهذا هو الطريق لمعالجة المشكلة التي يشكو منها المسلم.

وقد أعجبتني كلمةٌ ـ هي في الواقع كأنها خُلَاصة لما قُلتُه أو بيَّنتُه آنفًا ـ لبعض المُصْلِحين في العصر الحاضر، وهي في رأيي كأنّها من وحي السَّماء؛ يقول: «أقيموا دولةَ الإسلام في قُلُوبكم تُقَمْ لَكُم على أرضكم». ولا بُدّ من أن نُصلِح نفوسَنا على أساس من إسلامنا وديننا، وهذا ـ كما ذكرنا ـ لا يكون بالجهل؛ وإنما بالعلم، حتى تقوم دولة الإسلام على أرضنا هذه.

وفي الختام؛ أوصي كلّ من يستطيع أن يُشارك في تحقيق هذا الأمر العظيم أن يتعاون هو وغيرُه ـ من ذوي الاختصاصات ـ على بيان الإسلام الذي جاء في الكتاب والسُّنّة، وتربية النشء على ذلك، وهذه ذِكرى، والذكرى تنفع المؤمنين»[٣].

---

(١) «التصفية والتربية» (ص٣٠).

(٢) «التصفية والتربية» (ص٣١).

(٣) «التصفية والتربية» (ص٣٣-٣٤).

- «... فثبت أنّ الإسلام يَعِزّ ويَذِلّ بِعِزّ أهله وذلهم، سواء كانوا عربًا أو عجمًا، و«**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**»، فاللهُمَّ أعزَّ المسلمين وألهمهم الرُّجوع إلى كتابك وسُنّة نبيِّك حتى تعزّ بهم الإسلام»[١].
- «ينبغي أن يُلاحِظ الداعية أنه إذا تبيَّن له أنه لا جدوى من المجادلة مع المخالف له لتعصبه لرأيه، وأنه إذا صابره على الجدل فلرُبما ترتّب عليه ما لا يجوز، فمن الخير له حينئذ أن يَدَع الجدال معه؛ لقوله ﷺ: «**أنا زعيمٌ ببيت في رَبَضِ الجنّة لمن ترك المِرَاء وإن كان مُحِقًّا**» رواه أبو داود بسند حسن عن أبي أمامة، وللترمذي نحوه من حديث أنس وحسَّنه»[٢].
- «... ومن القواعد التي يدخل تحتها فرعيات كثيرة، وتظهر بها عظمة الإسلام وسعة دائرة الإسلام في التشريع قوله ﷺ على سبيل المثال: «**لا ضرر ولا ضرار**»، وقوله ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**»، وقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**». هذه قواعد وكلِّيات لا يفوتها شيءٌ ممَّا يتعلق بالضرر بالنفس أو الضرر بالمال»[٣].
- «نلحّ دائمًا في دروسنا ومحاضراتنا أنه لا يكفي إذا دعونا الناس إلى العمل بالكتاب والسُّنّة أن نقتصر على هذا فقط في الدعوة، بل لا بُدّ من أن نضمّ إلى ذلك جملة «على منهج السَّلف الصالح» أو نحوها؛ لقيام الأدلة الشرعية على ذلك، وهي مذكورة في غير هذا الموضع، لا بُدّ من ذلك، وخصوصًا في هذا العصر حيث صارت الدعوة إلى الكتاب والسنّة موضةَ العصر الحاضر، ودعوة كلّ الجماعات الإسلامية والدُّعاة الإسلاميِّين ـ على ما بينهم من اختلافات أساسية أو فرعية ـ، وقد يكون فيهم من هو من أعداء السنّة عمليًّا، ومن يَزعُم أنّ الدعوة إليها يفرِّق الصَّفّ! عياذًا بالله منهم.

---

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ في الأمة» (١/ ٣٠٣).
(٢) «حجّة النبي ﷺ» (ص٢٥).
(٣) «كيف يجب علينا أن نفسِّر القرآن» (ص٩).

أسأل الله تعالى أن يُحيِيَنا على السنّة وأن يُميتَنا عليها، متَّبعين لمن أثنى الله تبارك وتعالى عليهم بقوله: ﴿ ! " # $ % &
' ( ) * + , - . / 0 1 2
3 4 5 6 | 8 9 : ﴾[١]، وأن يجعلنا ممن قال فيهم:
﴿ ! " # $ % & ' ( ) * +
, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 ﴾»[٢][٣].

- «... فحسبي أنني معتقدٌ أنّ ذلك هو الطريق الأقوَم الذي أمر الله تعالى به المؤمنين، وبيَّنه نبيُّنا محمَّدٌ سيِّدُ المرسَلين، وهو الذي سلكه السَّلَف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وفيهم الأئمَّة الأربعة ـ الذين ينتمي اليوم إلى مذاهبهم جمهور المسلمين ـ وكلهم متَّفِقٌ على وجوب التمسُّك بالسُّنّة والرُّجوع إليها، وترك كلِّ قولٍ يخالفها مهما كان القائلُ عظيمًا؛ فإنّ شأنه ﷺ أعظم، وسبيله أقوَم، ولذلك فإنِّي اقتديتُ بهُداهم واقتفيتُ آثارَهم، وتبعتُ أوامر التمسُّك بالحديث وإن خالف أقوالهم، ولقد كان لهذه الأوامر أكبرُ الأثر في نهجي هذا النهج المستقيم، وإعراضي عن التقليد الأعمى، فجزاهم الله تعالى عنِّي خيرًا»[٤].

- «كتاب «الجامع الصغير من حديث البشير النذير» للحافظ السُّيوطي من أجمع كتُب الحديث مادَّة وأغزرِها فائدةً، وأقربِها تناوُلًا، وأسهلِها ترتيبًا، فلا غرابةَ أن سارت به الرُّكبان، وتداولته أيدي العلماء والطلاب في كلِّ زمان ومكان، على اختلاف درجاتهم وتبايُن مَشَاربهم وتَبَاعُد اختصاصاتهم؛ فلا يكاد يستغني عنه

---

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) «صفة صلاة النبيِّ ﷺ» (ص٢٥).

(٤) «صفة صلاة النبيِّ ﷺ» (ص٤٥).

المحدِّث، فضلًا عن الفقيه والخطيب، بل الأديب، ولذلك تعدَّدت طبعاتُه، وكثُرَ شُرَّاحُه، ولكنه مع ذلك...»[١].

- «فالنصيحة أسُّ الدِّين، وكشف المُبْطِل صيانةٌ للحقِّ المبين، ﴿ J K L M ... ﴾[٢] ولو بعد حين»[٣].
- «فالغُرور قتَّال، وحُبُّ الظهور يَقْصِمُ الظهور...»[٤].
- «... إنّه كلامٌ مُرْتَجَل لا سَنَام له ولا خِطام، لم يَقُله عالمٌ من قبل، فليضرب به عرض الحائط»[٥].
- «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية «كُنَيْفٌ مُلئَ علمًا»[٦].
- «عِلم الكلام مزلّةٌ للأقدام»[٧].
- «وأمَّا أنا؛ فإنِّي أرجو منه تعالى أن يزيدَني توفيقًا في خدمة الحديث والسنّة والانتصار لها، وأن يُسدِّد في ذلك خُطاي، وأن يجعل ذلك سببًا ليغفر لي خطيئتي يوم الدِّين.

وأمَّا الخلاص من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، وطعن الطاعنين؛ فلا سبيل إليه إلّا بالوفاة على الإيمان إن شاء الله تعالى. وما أحسن ما قيل:

ولستُ بناجٍ من مَقالةِ طاعنٍ ... ولو كنتُ في غارٍ على جبلٍ وعرِ
ومَن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا ... ولو غاب عنهم بين خَافِيَتَيْ نَسْرِ»[٨].

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (ص٣-٤).
(٢) الحج: ٤٠.
(٣) «النصيحة» (ص٧).
(٤) «النصيحة» (ص٧).
(٥) «تحريم آلات الطرب» (ص٩-١٠).
(٦) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧/ ١١٥).
(٧) «محدِّث العصر» لعصام موسى هادي (ص١٢٧).
(٨) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧/ ٣٧١-٣٧٢).

- «إنّ المسلمين كانوا وما زالوا يُعانونَ أزمةَ عقيدة، وقد أُضيفت إليها أزمةُ أخلاق، وهما أزمتان حادَّتان خطيرتان لا تطيب الحياةُ معهما»(١).
- «إنّ وضع الخطّ فوق الكلمات المراد لفظ النظر إليها هو صنيع علمائنا تبعًا لطريقة المحدِّثين، وأمَّا وضع الخطّ تحت الكلمة فهو من صنع الأوروبيِّين، وقد أُمِرنا بمخالفتهم»(٢).
- «التسلسُل الشرعي المنطقي هو أنّ نبدأ بالعقيدة، ونُثَنِّي بالعبادة، ثم بالسلوك تصحيحًا وتربيةً، ثمَّ لا بُدّ أن يأتي يومٌ ندخل فيه مرحلة السِّياسة بمفهومها الشرعي»(٣).
- خرَّج حديث: «**أحصوا لي كلّ من تلفّظ بالإسلام**»، ثمَّ عنون عليه بـ: «أصل إحصاء النفوس»(٤).
- «... حتى يعلم الناسُ أنّ في فضل الشام أحاديث كثيرة صحيحة؛ خلافًا لظنّ بعض الكُتَّاب، وحتى يعرف المستوطنون فيه فضلَ ما أنعم الله به عليهم، فيقوموا بشُكره بالعمل الصالح وإخلاص العبادة لوجهه سبحانه وتعالى، وإلّا فإنّ الأمر كما قال سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما: «إنّ الأرض المقدّسة لا تُقدِّس أحدًا، وإنما يُقدِّس الإنسانَ عملُه» رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٢٣٥)»(٥).
- «.. وفي الحقيقة إنّ كل هدفي من هذه الحياة ـ بعد القيام بما فرض اللهُ عليَّ من

---

(١) «من ذكرياتي مع الشيخ ناصر الدِّين الألباني : » بقلم الشيخ العلّامة الفقيه أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، مقال منشور في موقع الألوكة قرأه وقدّم له: د. جمال عزّون.

(٢) «حياة الألباني» للشيباني (٢/ ٤٦٥). وانظر: «إرواء الغليل» (١/ ٢٢).

(٣) «التوحيد أوَّلًا يا دُعاة الإسلام» (ص٣٧).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١/ حديث٢٤٦).

(٥) مقدمة كتابه «تخريج أحاديث فضائل الشام وأهله» (ص٦).

الواجبات والحقوق ـ إنما هو تعريف المسلمين تدريسًا ومحاضرةً وتأليفًا بسيرة النبيِّ ﷺ الصحيحة من جميع نواحيها، حسب استطاعتي، وحضّهم على أن يتّخذوه القدوة الوحيدة لهم، كما رغب الله تعالى منهم في مثل قوله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾؛ وفي ذلك سعادتهم في الدنيا والآخرة»[1].

(١) «بداية السول» (ص٧) نقلًا عن «حياة العلامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص٢٨).

من أوجه التشابه بين الإمامين الألباني وابن باز رحمهما الله تعالى

بادي بدء أقول:

كان بين الشيخين الإمامين وشائج محبَّة عظيمة؛ فقد اجتمعا في ظرف المكان بأبدانهما وقلوبهما، وفي ظرف الزمان بقلوبهما... اجتمعا في ظرف المكان في الجامعة الإسلامية في المدينة النبويَّة، واجتمعا في ظرف الزمان بمحبَّة كلٍّ منهما لصاحبه وتقديره له مع تباعد المكان، إلّا أنّ القواسم المشتركة بينهما قد قرَّبت ـ بل جمعت بفضل الله تعالى ـ قلبَيْهما مع تباعُد بَدَنَيْهما.

ومن القواسم المشتركة بينهما بالإضافة إلى ما سبق:

- رَفْعُهما لراية السُّنَّة ومنهج السَّلف الصالح.
- كونهما من أشهر علماء السُّنّة في هذا العصر.
- العناية بصحة الحديث النبويّ من ضعفه.
- البذل والعطاء العلمي مشافهة ومكاتبة.
- التراث العلمي المكتوب والمسموع.
- حرصهما وعنايتهما على إخراج كتب السنّة والدِّفاع عنها:

جاء في مقدمة «كتاب السنّة» لابن أبي عاصم رحمه الله تعالى قول الناشر أثابه الله تعالى: «وأوَّل بحث جَرَى حول هذا الكتاب كان بيني وبين أستاذي المحدِّث الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني يوم كنّا نتدارس فيما يجب علينا تقديمه من كتُب

لأئمَّة الإسلام خدمةً لأنفسنا ولأبناء ملّتنا ممَّا ينفع يوم الدِّين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم... إلى أن قال: وبعد مدّة كتب إليّ سماحة الأستاذ الفاضل العالم العامل الشيخ عبدالعزيز بن باز مستفهمًا عمَّا ترامى إليه من موضوع نشر هذا الكتاب، وسأل عن الطريقة التي سيُنشَر بها ومنهج التحقيق، فكتبتُ إليه بما عندي، ثمَّ قدَّر اللهُ لقاءً بيني وبين الشيخ ناصر الدِّين الألباني، فتحدّثا بهذا الموضوع وعرفتُ منهما بعد ذلك ما جرى بينهما».

وجاء في مقدّمة كتاب «فضل الصلاة على النبيِّ ﷺ» للإمام الجهضمي رحمه الله تعالى قول الشيخ ناصر رحمه الله تعالى: «فقد كنتُ في مذاكرة علمية في إدارة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٣٨١هـ مع فضيلة نائب رئيسها الشيخ عبدالعزيز بن باز، فجرى الحديث فيها عن كتُب السُّنّة ومخطوطاتها، فذكرتُ لفضيلته أنّ في المكتبة الظاهرية بدمشق مخطوطًا قيِّماً بعنوان «كتاب فضل الصلاة على النبيِّ ﷺ» للإمام الحافظ إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي، وأنّ المؤلِّف يسوق فيه الأحاديث والآثار الواردة في فضل الصلاة عليه ﷺ وذكر مواضعها بالأسانيد المتصلة منه إلى رُوَاتها من الصحابة والتابعين، كما هي طريقة المتقدِّمين من المحدِّثين، بحيث يتمكن العارف بعلم الحديث ورجاله من الحكم على أخباره بما تستحقّه من صحَّة أو ضعف، فقال حفظه الله تعالى: لعله لا يوجد فيه من الموضوعات والخرافات ممَّا يوجد عادةً في كتُب الفضائل والرَّقائق؟ أو نحو هذا من الكلام. فقلتُ: الذي أذكره ـ وعهدي بالكتاب بعيد ـ أنه ليس فيه شيء من ذلك. فقال: إذا انتهت السَّنة الدِّراسية ورجعتَ إلى دمشق إن شاء الله تعالى فأعِد النظر في الكتاب فإذا وجدتَه كما ذكرت فاستنسخه، ثمَّ خَرِّج أحاديثَه ـ وأظنه قال: على وجه الاختصار، ثمَّ قدِّمه إلى الأخ زهير الشاويش ليطبعه على نفقتنا.

فلمّا انتهت السَّنة وعُدتُ إلى دمشق في أواخر شهر محرَّم سنة ١٣٨٢ واستقرَّ بي المُقام في غرفتي الخاصة بي من المكتبة الظاهرية، وأعيدت إليها الكتُب التي

كانت فيها، وكنتُ سلّمتها إلى أمين المكتبة قبل سفري إلى الجامعة الإسلامية في السَّنة السابقة ١٣٨١، بادرتُ إلى تحقيق رغبة فضيلة الشيخ».

- تخرّج كثير من طلبة العلم في مدارسهم، وإن كان للشيخ ابن باز النصيب الأكبر بحكم أنّ تفرّغه للتدريس أكثر، وتفرّغ الشيخ ناصر للتأليف أكثر، ولعل كثيرًا من المستفيدين من كتُب الإمام الألباني يكونون من طلّابه حُكمًا، وكذا مَن استفاد من كتُب الإمام ابن باز ولم يحضر دروسَه.
- الزهد في متاع الدنيا.
- القبول في الداخل والخارج.
- تقدير كلٍّ منهما لصاحبه مع طول زمن معرفتهما وتباعُد أقطارهما، ومن أدلة ذلك المكاتبات بينهما، وثناء كلٍّ منهما على صاحبه عندما يَذكره في كتاب له أو في مجلسه، وهذا مشهور عند الأباعد فضلًا عن الأقارب وخاصَّة الطلّاب.
- وقد حدَّثني أحَدُ كبار السِّنِّ في المدينة أنّ الشيخ ناصر الألباني كان مرَّةً في مجلس علميّ والطلّاب حولَه، فلمَّا كان في ابتداء الدَّرس أسرَّ أحَدُهم في أذنه حديثًا، فاعتذر الشيخُ عن المواصلة وتعذّر بأنّ الشيخ ابنَ باز سيصل إلى المدينة وسيذهب للسلام عليه أو سيكون في استقباله في المطار، وذلك عندما كان الشيخ ابنُ باز في الجامعة الإسلامية، لكن الذي لا أجزم به هل كان ذلك عندما كان الشيخ ناصر أستاذًا في الجامعة أو أنه كان في زيارة للمدينة فصادف وجودُه مجيءَ الشيخ إليها من أحد أسفاره؟
- وقال الشيخ باسم بن فيصل الجوابرة أثابه الله تعالى:

«ومن الأمور التي يجب أن تُعرَف للشيخ ـ الألباني ـ أنّ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز : يَعرِف الشيخ ناصرًا من زمن طويل، فقد حدَّثَنا سموّ الأمير عبدالله بن فيصل الفرحان ـ شفاه الله وعافاه[1] ـ بأنه أراد

(١) قد توفِّي رحمه الله تعالى.

الذهاب إلى الشام قبل خمس وأربعين سنةً تقريبًا. فقال: فذهبتُ إلى سماحة الشيخ ابن باز وقلت له بأنني ذاهب إلى الشام وأنا لا أعرفُ أحَدًا هناك، فهل تَعرِفُ أحدًا أذهب إليه وهو على عقيدة سليمة وبعيد عن البدع والخرافات؟ فقال الشيخ ابن باز : : اذهب إلى الشيخ ناصر الدِّين الألباني فإنه على عقيدة سليمة.

فيقول سموّ الأمير: فذهبتُ إلى الشيخ ناصر، فعلمتُ أنّ له درسًا أسبوعيًّا في بيته ـ أظنّه من كلّ يوم خميس ـ بعد المغرب، فكنتُ أذهبُ إليه طيلةَ مكثي في دمشق التي استمرَّت حوالي شهرين»[١].

قلت: وهذه القصَّة تذكِّرُني بخبر سلمة عندما أراد ابنُه أحمد بن سلمة أن يرحل إلى قُتَيبة بن سعيد فسأل سلمةُ إسحاق في رحيل ابنه إلى قتيبة، فقال إسحاق: إنّ ابنك هذا قد أخذ عنِّي وروى عنِّي وأرى أن تأذن له في الرَّحيل إلى قتيبة ليأخذ عنه، فإنّ عند قتيبة ما ليس عندنا، عسى أن ينتفع[٢].

- استفادة كلٍّ منهما من صاحبه: كَتَب الشيخ الألباني للشيخ ابن باز كلامًا يتعلق بالأموال الرّبوية المودعة في البنوك وأنه ـ الألباني ـ توصَّل إلى أنها تُنفَق في وُجُوه الخير غير الطعام والشراب واللباس، وأنها تُدفع قيمةً للمحروقات من بنزين وحطب وإصلاح حمامات وطرُق وطبع كتُب... فكتب إليه الشيخ ابن باز موافقًا له على رأيه[٣].

وكتب الشيخ ابن باز كتابًا إلى الشيخ الألباني يَطلُب منه إطلاعَه والإفادة بما لديه حول مقالة زعم صاحبُها عدمَ صحَّة نسبة «المسنَد» إلى الإمام أحمد وكذا طعنه في الإمام القَطِيعي... إلى آخر الرِّسالة.

(١) «مقالات الألباني» (ص٢١٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٠-٢١) بتصرُّف.
(٣) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص١٣٣).

- تواضعهما وهضم نفسيهما عند مدحهما، وأكتفي بمثال لكلّ منهما:

أمَّا الإمام ابن باز فلمَّا مدحه أحَدُ أهلِ العلم الأفاضل رحمه الله تعالى بقصيدة، وفضَّله فيها على ابنِ أدهم في الزُّهد، وعلى حاتم في الكرم، وجعله مساويًا لشُرَيح في القضاء، ولما كان ذلك كتب الإمام ابن باز خطابًا إلى المجلّة التي نشرت القصيدة وذكر في خطابه أنّ تلك القصيدة كدّرتهُ وأنه يبرأ إلى الله من الرِّضا بها وأنه كرهها وامتعض منها.

والإمام الألباني كلّما مدح هضم نفسه ثمَّ ذكر الأثر المشهور عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: «اللهمَّ لا تؤاخذني بما يقولون...»، وأحيانا يَبكي عند ذِكر المدح أو البشائر له.

- الفراغ الكبير بعد موتهما: ويُضاف إليهما الإمام ابن عثيمين؛ فموتُ مِثل هؤلاء الثلاثة في وقت متقارب خطبٌ جَلَل، وممَّا يحسن ذِكرُه في مثل هذا ما ذَكَره الإمام الذهبي عندما ترجم لإسحاق بن الفرات، قال الذهبي ما نصه: «إسحاق بن الفرات، الإمام الكبير فقيه الدِّيار المصرية وقاضيها. قال أبو سعيد بن يونس: مات في شهر ذي الحجة سنة أربع ومائتين. قلت ـ الذهبي ـ: وفيها مات قبله الشافعي وأشهب بمصر، فمثل هؤلاء الثلاثة إذا خلت منهم مدينة في عام واحد فقد بان عليها النقص»[1] انتهى.

وما أحسن قول القائل:

الأرضُ تحيا إذا ما عاش عالمها ... متى يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث بها ... وإن أبى عاد في أكفانها التلف

- تقاربهما في المات: الإمام ابن باز في ٢٥/١/١٤٢٠هـ، والإمام الألباني في ٢٢/٦/١٤٢٠هـ رحمهما الله تعالى.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥٠٤).

- اتفاقهما في مبدأ قول الحقّ دون مُبَالاة للمخالف قريبًا كان أو بعيدًا:

قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: «إنِّي بحمد الله منذ عرفتُ الحقَّ في شبابي وأنا أدعو إليه وأصبِرُ على الأذى في ذلك، ولا أُحَابي في ذلك أحَدًا، ولا أُدَاهِنُ في ذلك أحدًا، أقول الحقّ وأصبر على الأذى؛ فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فالحمد لله».

وقال الإمام الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ عندما سَعَى خصومُه في الكيد له: «لقد كان لهذا كلّه آثارٌ عكسية لما أرادوه، إذا ضاعفتُ من تصميمي على العمل في خدمة الدعوة حتى يقضي الله بأمره»(١).

وقال أيضًا: «وجوب بيان العلم وحُرمة كِتمانه يحملاني على ألّا أبالي بالناس رَضُوا أم سَخِطوا»(٢).

- حصول كلّ منهما على جائزة الملك فيصل العالمية.
- الرُّؤيا المشهورة، ولعلهما المُرَادان بها: حدّثني الشيخ محمد إبراهيم شقرة حفظه الله تعالى ـ أحَد كبار طلبة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ـ قال: «رأى أحَد الصَّالحين عندنا في الشام رُؤيا قبل وفاة الشيخ ابن باز بفترة يسيرة، رأى كوكبين في السَّماء وقد اتّجها بقوّة نحو الأرض، أمَّا أحدهما فوصل إلى الأرض، وبقي الآخَر قريبًا من الأرض. فأمَّا الذي وصل إلى الأرض فأحدث دويًّا هائلًا جعل الناس يَفْزَعون ويتساءلون ما الخبر؟! ثمَّ استيقظ، فسأل أحَد المعبِّرين عن تلك الرُّؤيا فقال المعبِّر: هذا أمرٌ يحدُث يهتزّ له المجتمع ويكون لذلك أثرٌ بليغ، ثمَّ يَعقُبه مثلُه وهو الكوكب الثاني.

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب (ص٢٩٥).
(٢) «حياة الألباني» (ص٤١).

قال مُحَدِّثي: فلم يمضِ أيامٌ حتّى جاء الخبرُ بموت الشيخ ابن باز : ، ثمَّ مات الشيخ الألباني : بعده بفترة يسيرة، وهو تأويل الكوكب الثاني الذي تأخَّر عن اللحوق بالكوكب الأوَّل.

رحم الله الشيخين وجعل الفردوس الأعلى مستقرّهما ومثواهما.

- اشتراكهما في الآلام والآمال، فما سار أحدُهُما مسيرًا ولا هَبَط واديًا إلّا كان صاحبُه معه يألم لألمه ويؤمِّل لأمله؛ أمَّا اشتراكهما في الآمال فيدخل في ذلك نصرتهما للسُّنّة وكتُبها، والسَّعي في نشرها، وقد تقدّم شيءٌ من ذلك في حرصهما وعنايتهما على إخراج كتُب السنّة، وأمَّا اشتراكهما في الآلام فمن صوره:

o عندما حصل للإمام الألباني ما حصل من بعضهم في الجامعة الإسلامية، وقامت إدارة الجامعة بدورها على إنهاء خدماته، وبلغ ذلك الشيخ ناصر قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قال الإمام ابن باز مسلِّيًا له: «حيثما تقوم بواجب الدعوة لا فرق عندك».

o وعندما بلغ الشيخ ابن باز أنّ حكومة الأردنّ قرَّرت إخراج الشيخ من الأردن كتب الشيخ كتابًا إلى مَلِكِ الأردن السَّابق يَشفَعُ فيه بعدم إخراج الشيخ ناصر ويذكِّرهم بمقام الشيخ، فما كان من المَلِك إلّا الموافقة، وقرَّت عينُ الشيخ ابن باز بقبول الشفاعة، وعَيْن الشيخ ناصر بالبقاء.

o ومن دفاع الشيخ الألباني عن الشيخ ابن باز أنّ الشيخ الألباني ذكر كلامًا لأحَد المخالفين جاء فيه:

«ولا عبرة بكلام المعلِّق على «الفتح» البتة؛ لأنه لا يعرف، فليخجل بعد هذا من يدعو الناس إلى عقيدة «الله في السماء» وليتُب!».

فتعقّبه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى بقوله: «... ويشير بقوله: «المعلق على الفتح» إلى فضيلة الشيخ ابن باز حفظه الله من كلِّ مكروه ونفع به المسلمين، وذلك لأنه قال في تعليقه: الصواب عند أهل السنة وصف الله سبحانه بأنه

فوق العرش كما دلّت على ذلك نصوص الكتاب والسنّة، ويجوز عند أهل السنّة السؤال عنه بـ«أين»، كما في «صحيح مسلم»...
وهذا حقّ لا يخفى إلّا على أعمى البصر والبصيرة عياذًا بالله تعالى»[١].

- وجاء في رسالة كتبها الشيخ ابن باز إلى الشيخ ناصر: «... فأرجو الله أنكم في صحَّة وعافية وأنّ المرض الذي ألمّ بكم قد زال، شفاكم الله من كلّ سوء ونصر بكم الحقّ، وأسبغ علينا وعليكم وعلى جميع إخواننا لباسَ العافية في الدِّين والبدن إنه خير مسؤول»[٢].
- عندما بلغ الشيخَ ناصر خبرُ موت الشيخ ابن باز لم يتمالك نفسَه من البكاء فدمعت عيناه دمعات حارَّة، وتكلم عنه بكلمات رقيقة بارَّة، وقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهمَّ أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها، رحمه الله رحمةً واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

كلّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامتُه ... يومًا على آلة حدباء محمولُ

لقد كان الشيخ عبدالعزيز : من خِيرة العلماء، نسأل الله تعالى أن يجعل مأواه الجنة، ولو أنّ هذه الحياة دامت لأحَد لدامت للمصطفى صلوات الله وسلامُه عليه، : وألحقنا وإياه بالصالحين»[٣].

- ومن لطيف ما قرأتُ من بَديع الشعر في وصف الاثنين الذين يشتركان في صفات متشابهة خمسة أبيات[٤] أسوقها مع تغيير يسير في ثلاث كلمات لا يختلّ بها وزن الأبيات، وأحسب أنّ هذه الأبيات تناسب تشابه الإمامين ابن باز والألباني رحمهما الله تعالى:

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٣ /القسم الثاني ص٧٣٢-٧٣٣).
(٢) «الرَّسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» (ص١٦٧).
(٣) «مع شيخنا ناصر الدين والسنة» (ص١٥).
(٤) الأبيات لأصرم بن حميد، وقد نقلها الإمام السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص٣٠٤).

رأيــتُ ســفينةً تجــري ببحــر إلى بحــرين دونَهُــما البُحُــورُ
إلى قَمَــرَيْنِ[١] ضــوؤُهما جميعًــا ســـواءٌ حَــارَ بيــنَهُما البــصيرُ
كِلَا القمرين[٢] يُشبِه ذَاك هــذا وذا هــذا وذاك وذا بَــصِيرُ[٣]
فــإن يَــكُ ذاك ذا أو ذاك هــذا فَــلِي في ذا و ذاك معًــا سُرُورُ
رِوَاقُ المَجْــدِ ممــدودٌ عــلى ذا وهـــذا وجهُـــه بـــدرٌ مُنـــير

• **ثمراتٌ من رياض محبَّتهما:** آثرتُ أن أذكر كلماتٍ انتقيتُها من رسائل[٤] بعضهم لبعض، فممَّا جاء في بعض رسائل الإمام ابن باز إلى الإمام الألباني:

«... ومُحِبُّكم مستعدٌّ لكل لازم وحاجة في إمكانه قضائها، جعلني الله وإياكم من المتحابِّين في جلاله إلى أن نلقاه سبحانه».

«وسنبذِل الوُسع ـ إن شاء الله ـ في التوسُّط لَدَى بعض محبِّي الخير للقيام بطبع مختصركم لـ«صحيح مسلم»، ونفيدكم بما يتمُّ في ذلك إن شاء الله».

وممَّا جاء في بعض رسائل الإمام الألباني إلى أخيه الإمام ابن باز رحمهما الله:

«... فإنِّي أتقدَّم إلى سماحتكم بالشكر الأخويّ الجزيل على ما بذلتموه من جُهُود حثيثة في سبيل تيسير شأن زيارتي للمملكة العربية السُّعودية وتسهيل ظروف معالجتي في مستشفياتها».

«... وأشكر لكم حُسنَ ظنِّكم بأخيكم حيث رشّحتموني لأقوم على تصحيح نسخته المعدّة للطبع ومقابلتها بالنسخ المطبوعة والمخطوطة، ولكني أرى أن تُعفوني من القيام بذلك وتكلفوا به غيري...».

---

(١) في أصل القصيدة: «ملكين».
(٢) في أصل القصيدة: «الملكين».
(٣) في أصل القصيدة: «أمير».
(٤) انظر: الرسائل كاملة من (ص١٥١) إلى (ص١٧٣) في كتاب «الرَّسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» إعداد: محمد الموسى ومحمد الحمد.

- ومن باب الترويح أسوق هذه القصة المتعلقة بالإمامين:

كان أَحَد طلبة العلم راكبًا مع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : ، وكان الشيخ ناصر يُسرِع في قيادته للسيَّارة، فقال ذاك الطالب: يا شيخ، هذه سرعة ولا تجوز، والشيخ ابن باز أخبر أنّ ذلك من إلقاء النفس إلى التهلكة. أو كلامًا قريبًا من هذا، فضحك الشيخ الألباني وقال: هذه فتيا من لم يجرِّب فنّ القيادة! فقال الطالب: يا شيخ، سأنقل هذا الكلام إلى الشيخ عبدالعزيز. فقال: انقُله. قال الطالب: فقابلتُ الشيخَ عبدالعزيز : في مكة وأخبرتُه بكلامي مع الشيخ الألباني وأخبرته بكلام الشيخ لي، فضحكَ وقال: هذه فتوى من لم يجرّب دفع الدية![1].

- ومن لطائف الموافقات فيما يتعلق بِاسم الإمام ابن باز ما جاء في «سير أعلام النبلاء» أنّ الإمام الذهبي رحمه الله تعالى ترجم لإمام يُشارِكُه الشيخُ في الكنية واللقب، فقال: «ابن باز الحافظ الإمام، أبو عبدالله...» ثمَّ قال: «محدِّث مُتقِن مفيد، وُلِد سنة ٥٢٢هـ ومات ٦٢٢هـ».

وممَّا يتعلق بِاسم الإمام الألباني ما جاء في «تاريخ دمشق» لابن عساكر[2]: «محمد بن نوح، قدم دمشق وحدَّث بها وببغداد ومصر. قال الخطيب: كان ثقةً مأمونًا، وما رأينا كتبًا أصحَّ من كتُبه ولا أحسن».

- ومما يحسُن ذِكرُه ختامًا لهذا المبحث كلامٌ سديدٌ عن الشيخين قاله الشيخ المحدِّث عبدالمحسن العبَّاد البدر أثابه الله تعالى، ونصّ كلامه: «وإنّ هذين العَلَمين ـ أي ابن باز والألباني ـ من العلماء الكبار الجهابذة المحقِّقين، الَّذين لهم العناية الفائقة، والهمَّة العالية، وكلٌّ منهما له جُهُودٌ عظيمة في العقيدة، وقد

---

(١) «الإمام ابن باز» (ص٧٣).
(٢) (٥٦/ ١٣٣-١٣٤).

حصل على أيديهما الخير الكثير، وحصل بسببهما النفع العظيم للإسلام والمسلمين، فجزاهما الله أحسن الجزاء، وغفر لهما، وتجاوز عن سيِّئاتهما».

بين الشيخين الألباني وحمود التويجري عليهما رحمة الله تعالى

آثرتُ إفرادَ هذا الموضوع بمبحث مستقل لأنّ فيه فوائدَ كثيرةً وتذكرةً بآداب أهل العلم التي قرأناها مكتوبةً فرأيناها ترجمةً عمليةً بين أهل العلم، ومنهم الشيخان الألباني وحمود التويجري عليهما رحمة الله تعالى، وأيضًا لإزالة توهُّم في أذهان بعض الناس ممَّن يظنّ أنّ بين الشيخين عداءًا وشحناء، أعاذهما الله تعالى من ذلك.

واللهَ تعالى نسأل أن يُعيننا على التخلّق بحسن الأخلاق وأن يصرف عنّا سيِّئها.

عوداً على بدء.. أذكر مقدّمة ثمَّ أعقبها بنتيجة:

أما المقدمة: فعلماء السُّنّة تجمعهم المحبَّة في الله ونصرة السُّنّة وإن اختلفت أعصارُهم وتباعدت أقطارُهم، فالحقّ رائدُهم والنصُّ قائدُهم.

وما يقع بينهم من الخلاف في المسائل العلمية فهو خلاف له حظّ من النظر؛ المجتهِدُ المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجرٌ واحد، أمَّا مسائل الأصول فهم على قلب رجل واحد.

ردَّ الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ على الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ في غير مسألة، وردَّ الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ على الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ، فكان ماذا؟

لزومٌ لمنهج الأدب يعرف كلٌّ منهما صاحبه بالعلم ونصرة السُّنّة، بل بينهما قواسم مشتركة متشابهة:

فالشيخان من علماء السُّنّة ومن أبعد الناس عن المناصب والشهرة.

والشيخان ممَّن لهما المكانة والتقدير عند مشايخ العلم وطلبته.

والشيخان من المكثرين في التصنيف.

والشيخان من أصحاب الرُّدود على المخالفين، وإن كان للشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ قصبُ السَّبق والكثرة في ذلك.

وكتُبهما مشهورةٌ متداوَلة، وإن كان للشيخ الألباني قصب السَّبق في كثرة تداول كتُبه وطباعتها.

شاهد المقال: أنّ الرُّدود بينهما كانت مأطورةً بإطار أدب الخلاف، وطلب الحقّ مقصد الجميع.

ردَّ الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ على الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في بعض مسائل الصلاة، فقال الشيخ حمود ـ رحمه الله تعالى ـ في فاتحة كتابه «التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة»: «وقبل ذِكر التنبيهات نبدأ بشُكر الشيخ الألباني على اعتنائه بشأن الصَّلاة، وعلى إنكاره على المبتدعين في النية، وعلى ردِّه على من أنكر الصلاة على آل النبيِّ ﷺ، وعلى إنكاره على المحافظين على التوسُّلات المبتدَعة كالتوسُّل بالجاه والحرمة والحقِّ وغير ذلك ممَّا لا يجوز التوسُّل به، والله المسؤول أن يجعلنا وإيَّاه من حزبه المفلحين الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

وقال في (ص٦): «وما وقع من المؤلِّف ـ وفقنا الله وإيَّاه ـ فهو لا شكّ سهوٌ منه، وقَلَّ من يَسلم من ذلك...».

وفي (ص١٣) نقل عن الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كلامًا حول تفسير قوله ﷺ: «**والشرُّ ليس إليك**» بيّن أنّ في تفسيره نظرًا، ثمَّ ساق الأدلة والتعليل، ثمَّ قال في آخر كلامه: «... ومن تدبَّر ما قرَّره الشيخُ الألباني في أثناء كلامه لم يشكّ في حُسن عقيدته في باب القَدَر، وما وقع في أوَّل كلامه وآخِره فذلك خطأ في العبارة وقلَّ

أن يسلم من الخطأ أحَدٌ من البشر، والله المسؤول أن يوفِّقنا وإيَّاه وجميع المسلمين لما يحبُّ ويَرضى من الأقوال والأعمال، وأن يسلك بالجميع سبيلَ السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، إنّ ربِّي لسميع الدعاء قريب مجيب».

وجاء في مقدِّمة الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ لكتابه «صفة صلاة النبيِّ ﷺ» (ص٣٢) الطبعة الأولى لمكتبة المعارف: «وختامًا لا بُدَّ لي أن أشكر فضيلة الشيخ التويجري على اهتمامه بالكتاب وحرصه على نُصح القرَّاء والطلّاب...» إلى أن قال: «... وأرى من تمام الشكر أن أعترف بإصابته الحقَّ فيها ـ وهي أربع مسائل من ثلاث عشرة مسألة، وإنِّي رجعتُ إلى رأيه فيها...».

هذا مجمل كلاميهما.

ومع أنّ كلامهما في كتابيهما قد مرَّ عليه أكثرُ من أربعينَ سنةً إلّا أن محبَّتهما لبعضهما وتوقير كلٍّ منهما للآخَر دام حتى موتهما، وهذا أمرٌ معلوم بل هو الأصل بين علماء السُّنة، والناقل عن الأصل محجوج بإيراد الدليل، ولا دليل هنا، فكيف إذا كان مع استصحاب حال الأصل أدلةٌ كثيرة؟ منها:

* زار الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ الرِّياض عام ١٤١٠هـ وأخبر بعض من معه أنّه يَوَدُّ مقابلةَ الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى، فأُخبِر الشيخ حمود ودُعي إلى وليمة مُقَامة للشيخ الألباني فحضر الشيخ حمود ودعَا الألباني إلى بيته فلبَّى الشيخُ الألباني الدعوةَ وحضر جمعٌ كثيرٌ من طلبة العلم فتحَ لهم الشيخ حمود قلبَه قبل بيته، فكان لقاءَ تقديرٍ ومحبَّة وتوقير، انتهى الشاهد منه.

* كان الشيخ الألباني ـ كما حدثني الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد وهو من خواص طلابه ـ يُعَظِّم ردود الشيخ حمود ويُفخِّمها ويقول: إنّ فيها نَصْرًا للسُّنّة وأهل السُّنة.

* وبمناسبة صدور جائزة الملك فيصل قال الشيخ حمود: «إنّ الشيخ ناصرًا من أحقّ مَن يُعطاها لخدمته للسنة». وقد أصابت فِراسة الشيخ حمود، فقد مُنِحَ

الشيخ الألباني تلك الجائزة سنة ١٤١٩هـ، وذلك بعد موت الشيخ حمود بسبع سنين تقريبًا.

* وقال الشيخ حمود أيضًا: «الألباني عَلَمٌ على السُّنة، الطعن فيه طعنٌ في السُّنة».

بعد هذا نخلص بنتيجة فيها فوائد جمَّة، منها:

* حرص علماء السُّنّة على طَلَب الحقِّ ولزومه علمًا وعملًا.

* إنّ اختلاف الآراء بين علماء السُّنة لا يلزم منه اختلاف القلوب كما هو الشأن في أهل الأهواء.

* دُعَاء علماء السُّنة لبعضهم مع حمل كلٍّ منه لصاحبه على أحسن المحامل.

* فَرَح علماء السُّنة بلقاء بعضهم بعضًا.

رحم الله الشيخين ناصرًا الألباني وحمودًا التويجري، وجَمَعهما في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مُقتدِر.

فبوركتَ مولودًا وبوركتَ ناشئًا
وبوركتَ عند الشيب إذ أنت أشيَبُ

كانت حياةُ الشيخ حياةَ خير في مقتبل عُمره وشبابه وشيخوخته، وقد أعجبني هذا البيتُ الشِّعري فجعلتُه عنوانًا لهذا المبحث، وذكرتُ حوادث وأخبارًا من حياةِ الشيخ تناسبُه.

وقبل سياق تلك الحوادث والأخبار أذكر كلامًا للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أحسب إن شاء الله تعالى أنّ الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قضى عمره في جميع مراحله على خير، قال الشيخ رحمه الله تعالى:

«وأهمّ المشروعات العلمية عندي هو ما أسميتُه: «تقريب السنّة بين يدي الأمَّة»، قصدتُ فيه جمع ما أمكن من الأحاديث الصحيحة في كتاب واحد، على طريقة المحدِّثين وقواعدهم العلمية في تمييز الصحيح والضعيف. أسأل الله ﷻ أن يُيسِّر لنا تحقيق ذلك»[1].

ثمَّ قال : : «... فإنِّي قد أفنيتُ فيه شبابي، وقضيتُ فيه كُهولتي، وأتمِّم به ـ الآن ـ شيخوختي، سائلًا اللهَ ـ جلّ في عُلاه ـ أن أكون ممَّن قال فيهم الرَّسول ﷺ: «**خيرُكم من طالَ عُمره وحسُن عملُه**»، راجيًا منه جلّ شأنه حُسن الختام، والوفاة على الإيمان»[2].

وقال : : «... فها أنا ذا، وقد بذلتُ نَضارةَ شبابي، ونشاط كُهولتي، وما

(١) «حياة العلّامة الألباني رحمه الله تعالى بقلمه» جمع وإعداد: عصام موسى هادي (ص٢٧-٢٨).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨). نقلًا عن المرجع السابق.

بقي عندي من القوَّة في شيخوختي، وجلّ فراغي ووقتي في خدمة هذا العلم الشريف، مع الحرص الشديد على الاطِّلاع على المخطوطات والمصوَّرات، فضلًا عن المطبوعات، لا يكادُ يَشغَلني عن ذلك شيءٌ ممّا يَشغل غيري من طلّاب العلم وأهله، إلّا ما لا بُدّ منه، ومع ذلك فإنِّي كلما تقادمَ العهدُ بي وطال عُمري ازددتُ إيمانًا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١]، وبأنّ الإنسان كلّما ازداد علمًا مع الزمن كلّما ازداد معرفةً بجهله، ولذلك كان من أمر الله تعالى لنبيِّه ﷺ أن قال له تعليمًا لنا: ﴿ 0 1 2 3 ﴾[٢]. ولذلك كان من دُعائه ﷺ: «**اللهمَّ انفعني بما علّمتني، وعلِّمني ما ينفعُني، وزدني علمًا**»[٣].

* فبوركت مولودًا:

ظهر نبوغُ الشيخ رحمه الله تعالى في مقتبَل عُمره؛ يؤكِّد ذلك حصوله على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات كما سيأتي.

قال رحمه الله تعالى عندما سُئل: هل كان يحسن اللغة العربية عندما هاجر إلى دمشق مع والده وأهله؟

«لا أعرف من اللغة العربية شيئًا، بل كنت لا أعرف من الأحرف العربية شيئًا، من أجل أنه لم يكن هناك عناية من الوالد : في تعليمنا، مع أنه كان إمامَ مسجد، وربما كان شيخ كُتَّاب، فلمَّا جئنا إلى دمشق ما كنّا نعرف شيئًا من القراءة والكتابة، كما يقولون عندنا في سورية: ما نعرف الخمسة من الطمسة! ولا الألف من النفطية! النفطية: هي العصا التي يستعملها شيخ الكُتَّاب حينما يريد أن يصطاد آخِر ولَد يعبث هناك يطوله بها، وكانت المدرسة هناك مدرسةً أهلية لجمعية خيرية اسمها: جمعية الإسعاف الخيري، فهناك بدأتُ تعليمي، وبطبيعة الحال بسبب مخالطة الطلّاب

(١) الإسراء: ٨٥.
(٢) طه: ١١٤.
(٣) تحقيق «الكلم الطيِّب» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧-٨).

كان تعلمي للّغة العربية ـ أو بالأحرى اللغة الشامية ـ أقوى من الذين لم يكونوا منتمين إلى المدرسة، وأذكر جيِّدًا يبدو لتقدمي في السنّ بالنسبة للطلّاب الابتدائيِّين، فقد جاوزت السنة الأولى والثانية في سنة واحدة، ولذلك حصلت على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات، ويبدو أنّ الله ﷻ قد فطرني على حبِّ اللغة العربية، وهذا الحبّ هو الذي كان سببًا كسبب مادِّي بعد الفضل الإلهي أن أكون متميِّزًا متفوِّقًا على زملائي من السوريِّين في علم اللغة العربية ونحوها.

وأذكر جيِّدًا أنّ أستاذ اللغة والنحو حينما كان يكتب جملةً أو بيت شعر على اللوح ويسأل الطلّاب عن إعراب تلك الجملة أو ذلك البيت يكون آخر من يطلب منه هو الألباني، وكنت يومئذ أُعرَف بـ«الأرناؤوط»، أمَّا كلمة «الألباني» فحينما خرجت من المدرسة وبدأتُ أكتب؛ لأنّ كلمة «الأرناؤوط» تشبه أو تقابل كلمة «العرب»، وكما أنّ العرب ينقسمون إلى شعوب ففيهم المصري والشامي والحجازي... إلى آخره، كذلك الأرناؤوط ينقسمون إلى: ألبان، وإلى الصِّرب من يوغسلافيا، وإلى بوشناق، فإذن بين كلمة «الألبان» وكلمة «الأرناؤوط» عموم وخصوص، فالألبان أخصّ من الأرناؤوط.

فكان أستاذ النحو يخرجني آخِر واحد إذا عجز الطلّاب عن الإعراب ويناديني: إيه يا أرناؤوط إيش تقول؟ فأصيب الهدف في كلمة واحدة، فيبدأ يُعيِّر السوريِّين بي ويقول: مش عيب عليكم؟! هذا أرناؤوطي؟

وهذا من فضل الله عليَّ»[1].

* وبوركت ناشئًا:

قال رحمه الله تعالى: «كنتُ من بين كلّ إخواني الولَد الوَحيد الذي يُلازِم أباهُ في ذهابه إلى المساجد»[2].

---

(١) «الإمام الألباني حياته ـ دعوته ـ جهوده في خدمة السنّة» لمحمد بيومي (ص٨-٩).
(٢) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص١٤).

وممّا قاله الشيخ : عن أبيه: «قال لي مرَّةً: أنا لا أُنكِر أنني استفدتُ منك. وأنا ابنُه وصغير، وهذا أنا أعرفه جيِّدًا منه أنه استفاد؛ لأنه كان يأتي للمساجد التي فيها قبور كعامَّة المشايخ، فأنا كنتُ أقول له: هذا يا والدي لا يجوز، وهذا فيه كذا.. وفيه كذا... إلى آخره»(١).

وقال أيضًا عن بعض شيوخه: «.. ولقد كنتُ أذهب مع بعضهم ـ وأنا صغيرٌ لم أتفقّه بالسُّنّة بعد ـ إلى قبر الشيخ ابن عربي لأصلِّي معه عنده! فلمّا أن علمتُ حُرمة ذلك باحثتُ الشيخَ المشار إليه كثيرًا حتّى هداه الله تعالى، وامتنع من الصلاة هناك، وكان يعترف بذلك لي، ويشكرُني على أن كنتُ سببًا لهدايته، رحمه الله تعالى وغفر له، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله»(٢).

وقال أيضًا: «والحقّ أنّ هذه المسألة ـ أي الصلاة عند قبور الصالحين ـ من أوائل الأسباب التي انفصلتُ بها عن معظم المشايخ، إذ كانوا فيها على طريقة والدي؛ فكان من بواكير ما بدأتُ به ممّا يُشبه البحث العلمي أن تتبَّعتُ هذه القضية في بعض المراجع الفقهية والحديثية ممّا تحتوي مكتبة والدي، فكتبتُ بعض الصفحات ذهبتُ فيها إلى كراهية الصلاة تحريمًا في تلك المواطن، وبخاصة المساجد المبنية على قبور الأنبياء والأولياء، مستدلًّا على ذلك بما وقعتُ عليه من أقوال العلماء في تلك المراجع، وقدّمتُ رسالتي إلى شيخي البرهاني في الأواخر من رمضان...»(٣).

ولّما سمع الشيخ راغب الطباخ مؤرِّخ حلب المشهور بالألباني رغب في لقائه، وكان الألباني وقتها شابًّا في مقتبل العُمر، فلمّا قابله أُعجب به لما سمع عنه من نشاطه العلمي والعملي، ورغب الشيخ الطباخ في إجازته بمروياته وقدّم له كتابًا فيه إجازة مشايخه له.

---

(١) «الإمام الألباني» لمحمد بيومي (ص٢٠).
(٢) «تحذير الساجد» (ص١٢٩) نقلًا عن «حياة العلّامة الألباني بقلمه» لعصام هادي (ص١٦).
(٣) «علماء ومفكرون» (ص٢٧٩) نقلًا عن «حياة العلّامة الألباني بقلمه» (ص١١).

وقال عنه الأستاذ أحمد مظهر العظمة: «عَرَفَتْ دمشقُ مُحَدِّثَها الأكبر العلّامة بدر الدِّين الحسيني، فلمّا توفّاه الله خلت الدِّيار من إمام تتّجه الأنظار إليه في علوم الحديث، غير أنّ فتًى أرناؤوطيًّا نشأ نشأةَ علم وتُقى، وكان له من اسمه نصيب: هو الأستاذ محمد ناصر الدِّين الألباني، عرف في أوساط الشباب بخدمته للحديث وعُلومه، وجمع الشباب عليه واشتهر بينهم، واستطاع بفصاحة لسانه العربي وطلاوة حديثه وجَودة مناقشته أن يستأثر بنخبة تأخذ عنه وتتلمذ عليه»[(١)].

وفي مقتبل شبابه كان للألباني ـ رحمه الله تعالى ـ جهودٌ مبارَكة.

قال رحمه الله تعالى: «وبعد الاستمرار في دراسة علم الحديث تبَيَّنَت لي أخطاء كانت سائدةً في ذلك الوقت، باتباعهم بعض البدع.

فمثلًا في «حاشية ابن عابدين» في الكتاب الأخير ذكر فيه عن سفيان الثوري: أنّ الصلاة في مسجد بني أميَّة بسبعين ألف صلاة. وهذا الأثر معزوّ لابن عساكر في «تاريخه»، فوجدتُ هذا الأثر وإذا بإسناده ظلُماتٌ بعضها فوق بعض، فقلت: سبحان الله! كيف يروي هؤلاء الفقهاء هذا الأثر والسند كما ذكرت؟! ولو كان السند غير ذلك لكان معضلًا كما يقول علماء المصطلح»[(٢)].

ومن الأسباب الرئيسة في بداية طلبه لعلم الحديث ـ بعد توفيق الله تعالى ـ قوله رحمه الله تعالى:

«... وذات يوم لاحظت بين الكتب المعروضة لدَى أحَد الباعة جزءًا من «مجلة المنار» فاشتريته[(٣)]؛ ووقعت فيه على بحث بقلم السيِّد رشيد يصف فيه كتاب «الإحياء» للغزالي، ويُشير إلى محَاسنه ومَآخِذِه، ولأَوَّل مرَّة أواجِهُ مثلَ هذا

---

(١) «ترجمة موجَزة» (ص١٩).

(٢) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني» لأبي أسماء عطية بن صدقي علي سالم (ص٢٦).

(٣) انظر القصة كاملةً في مبحث: «الحادثة التي غيَّرت مجرى تاريخ حياة الألباني».

النقد العلمي، فاجتذبني ذلك إلى مطالعة الجزء كلِّه، ثمَّ أمضي لأتابع موضوع «الإحياء»...»[(١)].

*** وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب:**

١ - لمّا ثقل في مرضه الذي مات فيه كان يقول لأهله: احملوني إلى المكتبة، فإذا أدخلوه إليها قال: أجلسوني. قالوا: لا تستطيع. فكان ـ رحمه الله تعالى ـ يضطجع ويأمر بالكتاب فيقرأ عليه.

٢ - لمّا ضعفت يدُه عن الكتابة الطويلة كان يُملي على بعض أبنائه وحفدته ما يخرّجه من أحاديث.

قال الشيخ محمد إبراهيم شقرة حفظه الله تعالى: كان ـ الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ـ لا يهدأ عن البحث، حتى إنه إذا أراد أن يكتب شيئًا قال: اكتب يا عبداللطيف... اكتب يا عبادة... اكتب يا لؤي[(٢)].

٣- قال الشيخ علي بن حسن: «أملى الشيخ الألباني قبل وفاته بشهور قليلة ثماني عشرة صفحة في تخريج حديث ضعيف منكر حشد له بين يديه على طاولته عشرات المراجع الحديثية مخطوطة ومطبوعة».

٤ - وذكر كذلك أنّ الشيخ الألباني اتّصل به قبل شهر من وفاته وسأله عن تفسير للقرآن نسي اسمه.

٥ - وقال أيضًا: «كان آخِر كتاب عمل به شيخنا ـ يرحمه الله ـ في السنتين الأخيرتين هو كتابه «تهذيب صحيح الجامع الصغير والاستدراك عليه»، ولقد قال لي حين سألتُه عنه أوَّلَ اشتغاله به: «هذا مشروعٌ اقترحَهُ عليَّ مَرَضي وعجزي»![(٣)].

---

(١) «علماء ومفكّرون عرفتهم» للمجذوب (ص٢٧١).

(٢) «صفحات بيضاء» (ص٩٤-٩٥).

(٣) «مع شيخنا ناصر السنّة والدّين» (ص١٧).

٦- ذكر الشيخ علي خشّان أنّ الشيخ قبل وفاته بأيام كان إذا أفاق من مرضه قال: أعطوني الجرح الثاني. يعني: كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.

٧- وذكر الشيخ علي بن حسن أنّ عبداللطيف نجل الشيخ الألباني أخبره أنّ الشيخ رحمه الله تعالى طلب منه قبل نحو ثمان وأربعين ساعةً من وفاته إحضار كتاب «صحيح سنن أبي داود» لينظر فيه شيئًا وقع في قلبه وورد على ذهنه.

الألباني... مالئ الدنيا وشاغل الناس

هذا الوصف «مالئ الدُّنيا وشاغل الناس» أطلقه ابنُ رُشَيق على الشاعر المذهل المُبْدِع المتنبِّي، ونصّ عبارة ابنِ رُشيق: «ثمَّ جاء المتنبِّي فملأ الدُّنيا وشغل الناس». وذلك من خلال قوة قريحته مع الظروف والأحوال وتقلّبات الأمور في حياة المتنبِّي التي جعلته يرتقي مرتقًى يَصعُب الوصول إليه على كثير من الشعراء، تلك الأمور وغيرها جعلت ابنَ رشيق يُطلِق هذا الوصف على المتنبي.

وممَّا يحسن ذِكرُه هنا ما قاله الثعالبي عن أحوال الناس في المتنبِّي، قال: «مجالس الدرس غُذِيت بِشِعره، ومجالس الأنس تغنَّت بقوله، وجرى على لسان الخطباء والمتكلِّمين أبرزُ أقواله، واشتغل به المؤَلِّفون وانشغل معهم الناقدون، وكثُرَت التآليف في تفسير قصائده وحلِّ مُشكِلِه وعَوِيصِه، فتفرَّقوا فِرَقًا بين مُحِبّ هائم أو معتدل، وبين قادح جائرٍ أو ناقد صادق، ولا يهتمّ النقّاد عادةً إلّا بالمشهور وبمن طَبَّق الآفاق خبرُه»[١].

وأقول في هذا المقام: «إنِّي ـ بحسب معرفتي واطِّلاعي على أحوال الشيخ الإمام المحدِّث الألباني، من خلال ما رأيت وما سمعتُ منه وعنهُ، وما قرأتُ من كتُبه، وما كُتِبَ عنه دَفْعًا ودِفَاعا أو ظُلمًا وعُدوَانًا، ومن خلال رُدُودِه ومن ردَّ عليه من المُنْصِفِين والشامتين، سواء كانت تلك الرُّدود من علماءَ أو طلبةِ علم أو مُتَعَالمين، فضلًا عن رِحلاته الاختيارية راغبًا أو الاضطرارية راغمًا، وقُل مثلَ هذا في تنوُّع البلاء الذي نَزَل به من طَرْدٍ وسَجْنٍ وتهديد وتشويهِ سُمْعَة ورَمْيٍ

(١) «يتيمة الدهر» (١/ ١١١).

ببُهتان، ناهيكَ عن شُهرَة كتُبه وانتشارِها بعشرات الطبعات المشروعة والمسروقة؛ كتُب في فنون متعدِّدة: مباحث عقدية وفقهية، مع تبحُّر في التخريج ونُكَت علمية وفوائد فقهية وعقدية وتربوية وغير ذلك، زد على ذلك آراؤه وقوَّة انتصارِه لها، وما يعتري ذلك من حِدَّة في القلم ـ وليست الحدَّةُ مذمومةً بإطلاق بل الضابط المصلحة الشرعية ـ تلك الحدّة يُقابِلُها مبادرةٌ في الرُّجوع عن الخطأ متى ما تبيَّن له، مع رِقّة قلب تذوب فيها تلك الحِدّة ـ من خلال ذلك وغيره حُقَّ لي ـ فيما يظهر لي ـ أن أقول:

إنّ الإمامَ الألباني حقيقٌ بهذا الوصف بين عُلَماء عصره، كما أنّ المتنبِّيَ استحقّه بينَ الشعراء، مع أنه لا مقاربةَ ـ بل لا مقارنةَ ـ بما قدَّمَ المتنبِّي وما قدّم الألباني، وهذا من البَدَهيَّات فلن أعرّج عليه، ذلك لأنّ التحذير من كِذْبَةٍ واحدةٍ عن رسول الله ﷺ خيرٌ مِن نَظْمِ مِلْءِ الأرضِ شِعْرًا.

وإنّما الشاهد من المقال ومحطّ الرَّكب وبيت القصيد: أمرُ هذا الإمام العظيم في أطوار حياته وما حَدَث له أو عليه، إنّ ربَّك حكيم عليم[١].

قال الأستاذ المحقِّق والأديب الكبير محمود شاكر : في كتابه «المتنبِّي»[٢]: «ما في الدنيا أديبٌ عربيٌّ لم يَقرَأ هذه الكلمة التي قالها ابنُ رشيق». انتهى كلامُ الأستاذ محمود شاكر.

قلت: ولعلِّي لا أُبالِغ إذا قلتُ: ما في الدُّنيا عالمٌ أو طالبُ عِلم إلّا ويعلم شيئًا عنِ الألباني، ولا شكّ أنّ هناك أكابرَ في عصره حَقيقون بهذا الوصف؛ لكن لعلّ

---

(١) ومُرادي بقولي عنه «ملأ الدنيا»: ما نشر اللهُ تعالى له من الصيت والذكر الحسن. وأمّا «شاغل الناس»: فقد شغل كثيرًا من أهل العلم وطلّابه بالبحث في الأسانيد وتتبُّع كتُب الحديث والعناية بالتحقيق.
كما أنه أشغل أهل البدع المخالفين للسنّة وأقلقهم برُدوده الكتابية واللِّسانية.
أما ردُوده على من ردّ عليهم من أهل السنّة فذلك مسلكٌ معلومٌ عند أهل السنّة، مع محبّة كلّ منهم للآخَر وتوقيره وتقديره، وتجمعُهم قلعة السنّة في المحافظة عليها والذبّ عنها.

(٢) (ص٤١٥).

للألباني قَصَب السَّبق بحُكم مسيرةِ حياته وما حصل له من أحوالٍ كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وأرى أنّ الشيخَ ابنَ بازٍ : حقيقٌ بهذا الوصف مع الشيخ الألباني، عليهما رحمة الله تعالى.

عَودًا على بَدْءٍ أقول:

مِن عجيب شأنِ هذا الإمام أيضًا اجتماعُ متفرِّقات من أحوالِ الأئمَّة في شخصه[(١)]، فمن ذلك:

ابن تيمية والألباني:

- ما ذكره العلّامة إبراهيم بن مُفلِح في أثناء كلامه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، قال ما نصُّه: «ووقع له أمورٌ وأحوال قام عليه فيها المعانِد والحاسد، إلى أن وصل الحالُ به أن وُضِع في قلعة دمشق»[(٢)].
- o قلت: وكذلك الإمام الألباني وقعت له أمورٌ وأحوال قامَ عليه فيها المعانِد والحاسد، إلى أن وصل الحالُ به أن وُضِعَ في قلعة دمشق.
- شيخُ الإسلام ابن تيمية كَتَب لهم ـ لخصومه ـ ألفاظًا اقترحُوها عليه وهُدِّد وتُوُعِّد بالقتل إن لم يَكتُبها[(٣)].
- o والإمام الألباني تحت التهديد اضْطُرَّ إلى توقيع تعهُّد بألّا يُقْدِم على الخَطابة في الناس[(٤)].

(١) ولا يُفهَم من هذا أنّ الشيخَ الألباني أعلمُ من أولئك؛ فهو : يُقِرُّ بفضلهم وعلمهم، بل تلك الأحوال موافقات تذكّرتها أثناءَ قراءتي لسيرة الإمام الألباني، وهي تقع لغيره، فالقواسم المشتركة في حياة العلماء كثيرةٌ، كما هي في حياة غيرهم ممَّن يجمعهم أمرٌ من الأمور.

(٢) «المقصد الأرشد» (١/ ١٣٢-١٣٣). وانظر في ذلك: «العقود الدرِّية» (ص١٩٧).

(٣) «العقود الدرِّية» (ص١٩٧).

(٤) «علماء ومفكّرون عرفتهم» للمجذوب (١/ ٢٩٦).

الإمام أحمد والألباني:

- قال الإمام ابن عقيل[(١)]: «ومن عجيب ما تسمعُه من هؤلاء الأحداث الجهَّال أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه لكنه محدِّث، وهذا غايةُ الجهل»[(٢)].

قال الذهبي بعد سياقه لكلام ابن عقيل: «أحسبُهم يظنّونه كان محدِّثا وبَسْ! بل يتخيَّلونَ من بابة محدِّثي زماننا! والله لقد بلغ في الفقه خاصَّةً رُتبةَ الليث ومالك والشافعي... ـ إلى أن قال رحمه الله تعالى ـ: ولكن الجاهل لا يَعلَمُ رُتبةَ نفسِه، فكيف يَعرِفُ رُتبةَ غيره؟!»[(٣)].

- والألباني لَمّا قيل: إنه محدِّث وليس بفقيه، قال عنه الإمام ابن عقيل[(٤)]: «ما يَضُرُّ الشيخَ الألباني إن تكلم فيه واحدٌ أو اثنان أو عشرة أو مائة، الشيخ الألباني عالم، وهذه آثارُه موجودةٌ مطبوعةٌ، والغلط لا يَضُرُّه، أحَد ما يغلط؟ أحَد ما له غلطات وسقطات؟ الكمال لله تبارك وتعالى» انتهى كلام شيخنا ابن عقيل.

قلت: نَعَم غَلَب على الشيخ رحمه الله تعالى الصَّنعةُ الحديثية من باب الرِّواية، لكن له حظّ كبيرٌ من باب الدِّراية؛ فقد درَّس كثيرًا من كتُب الفقه، وله تصانيفُ مُفرَدة في مسائلَ فقهية[(٥)]، فضلًا عن مئات الفتاوى الفقهية، فيَا

---

(١) هو أبو الوفاء ابن عقيل، وُلد سنة ٤٣١هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٩/٤٤٣).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٦٤)، «ذيل طبقات الحنابلة» (١/١٥٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (/٣٢١).

(٤) هو شيخي الإمام الفقيه المتواضع عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل متّعه الله بالصِّحَّة والعافية، وإنما ذكرتُ الإمامين ـ ابن عقيل المتقدِّم والمتأخِّر ـ بهذا السِّياق لينسجم الكلام اللّاحق مع السابق، وكلامه المذكور انظره في كتاب: «فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبدالله العقيل» (ص١٥٦) حاشية.

(٥) وذكر الشيخ علي بن حسن الحلبي أنّ الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد كتب إليه ضمن رسالة خاصَّة ذكر فيها أنّ له مشروعًا علميًّا باسم: «اختيارات الشيخ الألباني وتحقيقاته»، قال عنه ـ الشيخ بكر ـ: «.. وقد قطعتُ فيه مرحلةً، وكنتُ أبيِّن بإيجاز سلَفَه من أهل العلم فيها، وقصدي تقريب فقه الدليل من ناحية، وإحباط المقولة الشائعة عنه: أنه ليس فقيهًا! أو أنه لديه شذوذٌ في الرَّأي!». «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية» كتبه: علي بن حسن الحلبي (ص٣٧) حاشية.

عجبًا.. مع أنّ هناك غيره ممّن عليه مؤاخذات في اختياراته مع أنه لم يبلغ درجة الألباني في الحديث والفقه ولا يكاد ولم يُشَنَّع عليه ببعض ما شُنِّع على الألباني!

الشافعي والألباني:

- قال ابن أبي حاتم: سمعت المُزَني يقول: «قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمعُ بالحرف ممّا لم أسمعه، فتودُّ أعضائي أنّ لها أسماعًا تتنعَّم به مثل ما تنعَّمت الآذان. فقيل له: كيف حِرصُك عليه؟ قال: حِرْصَ الجَمُوع المَنُوع في بلوغ لذّته للمال. فقيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلبَ المرأة المضلّة ولدَها ليس لها غيرُه»[١].

o وقال الشيخ الألباني ـ في أثناء حديثه عن أوَّل طلبه للعلم عندما قرأ كلامَ الشيخ محمَّد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن كتاب العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» ـ قال الألباني: «فنزلتُ إلى السُّوق أسأل عنه كالعاشق الولهان، ولمّا وجَدَ الكتابَ قال: وأخذتُ الكتابَ وأنا أكادُ أطير فرَحًا».

الآلوسي والألباني:

- الإمام محمود شكري الآلوسي رحمه الله تعالى شغّب عليه أهلُ الباطل ولفّقوا عليه دعوى بث «الوهَّابية»، وهذه التهمة كانت تكفي للإيقاع بصاحبها لما يُضمِرُه السلطان التركي من عداء لها ولأصحابها، وهو عداء سياسي محض[٢].

o والإمام الألباني رحمه الله تعالى كَتَبَ فيه قومٌ من المشايخ عريضةً يَزعُمُون فيها أنه يقوم بدعوة وهَّابية! وجعلوا يجمعون توقيعات الناس ثمَّ رَفَعُوها إلى مُفتي الشام فأحالها بدوره إلى مدير الشرطة[٣].

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» لبدر الدِّين ابن جماعة.
(٢) انظر: مقدمة المحقّق لكتاب «المسك الأذفر» للآلوسي (ص١٧).
(٣) «علماء ومفكّرون عرفتهم» للمجذوب (١/ ٢٩٤).

الإمام مالك والألباني:

- رأى أحدُهم في الإمام مالك رُؤيا خُلَاصتُها أنّ الرَّائي رأى النبيَّ ﷺ في المنام فقال: يا رسولَ الله، مُرْ لَنَا، فقال ﷺ: إنِّي كنزتُ تحت المنبر كنزًا وقد أمرتُ مالكًا أن يَقسِمُه. قال الرَّاوي: فرقَّ مالكٌ وبَكَى ثمَّ خرجتُ وتركتُه[1].

o والألباني قصَّت عليه امرأةٌ جزائرية رُؤيَا رُئِيَ فيها النبيُّ ﷺ والألباني يمشي على نفس الطريق، فلمَّا سَمِعَها الشيخُ الألباني بَكَى ثمَّ طلب ممَّن عنده أن يَنصرِفُوا والشيخ يَبكِي متأثِّرًا.

ابن شاذان والألباني:

- ابن شاذان: هو الإمام مُسْنِد العراق. دخل عليه شاب فسلّم، فقال: أيها الشيخ رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام فقال لي: سَل عن أبي علي بن شاذان، فإذا لقيتَهُ فأقرئهُ منِّي السَّلام، وانصرف الشابُّ، فبكى الشيخ وقال: ما أعرفُ لي عملًا أستحقّ به هذا إلّا أن يكون صبري على قراءة الحديث وتكرير الصلاة على النبيِّ ﷺ كلّما ذُكِر[2].

o والألباني لمّا حدّثه أحدُهم أنه رأى النبيَّ ﷺ فسأله: إذا أشكل عليَّ شيءٌ في الحديث مَن أسأل؟ فقال النبيُّ ﷺ: سل محمَّد ناصر الدِّين الألباني، فما أن انتهى المتحدِّث من قصّ الرُّؤيا حتى بكى الشيخ بكاءً عظيمًا وهو يردِّد: «اللهمَّ اجعلني خيرًا ممّا يَظُنون...».

قلت: ولعلّ صبر الشيخ على قراءة الحديث وتكرير الصلاة على النبيِّ ﷺ كلّما ذُكِر، وخدمته للسُّنّة من عاجل بُشراه، ومن ذلك هذه الرُّؤيا.

---

(١) انظر: «الحلية» لأبي نُعَيم (٦/ ٣١٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤١٧-٤١٨).

الموفق ابن قدامة والألباني:

- كان ابنُ قدامة لا يُناظِر أحَدًا إلّا وهو يبتسم، حتّى قال بعضُ الناس: هذا الشيخ يقتُل خصمَه بتبسُّمه[١].

o والألباني رأيتُه وسمعتُ عنه هدوءَه التامّ عند المناقشة، وهذا أمرٌ شِبه متواتر عنه.

فائدة: يوسف ابن الجوزي كان يُناظِر ولا يحرِّك له جارحة[٢].

الخطيب البغدادي والألباني:

- تمنّى الخطيب البغدادي أن يُدفَن بجانب قبر بِشْرٍ الحافي، فكان ذلك[٣].

o ومرَّ الألباني على مقبرة قديمة قريبة من بيته فتمنّى أن يُدفَن فيها فكان ذلك[٤].

الإمام البخاري والألباني:

- لمّا خرج الإمام البخاري من بُخَارَى، وقيل له: كيف ترى هذا اليوم؟ فقال: لا أبالي إذا سَلِمَ ديني[٥].

o والألباني لمّا عُودِي وأوذي قال: وجوب بيان العلم وحُرمة كتمانه يحملاني ألّا أبالي بالناس رَضُوا أم سَخِطوا[٦].

ابن باز والألباني:

- شُنّع على الإمام ابن باز رحمه الله تعالى لمّا أفتى بالصلح مع اليهود بضوابط مذكورة في تلك الفتوى المشهورة.

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٧).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٦٠).

(٣) «المنتظم» لابن الجوزي (١٦/ ١٣٤-١٣٥)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١١٤٤-١١٤٥).

(٤) «الإمام المجدِّد» (ص٦٥).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٦٣).

(٦) «حياة الألباني» (ص٤١).

- كما شنّع على الإمام الألباني في مسألة الهجرة من فلسطين. وملخّص هذه المسألة: أنّ الشيخ الألباني : سُئِل عن أناسٍ يعيشون في بلادٍ لا يستطيعون إظهارَ شعائر دينهم فيها، فقال لهم الشيخ بوجوب الهجرة إلى بلاد يستطيعون فيها ذلك؛ استدلالًا بقول الله تعالى: ﴿ ` a b c d e f g ﴾[1]. وهذا تبكيتٌ من الملائكة لمن ظلّ بين الكفار أو العُصاة فأثّر ذلك في دينه فاحتجَّ على فعله بغيره.

ولمّا سُئِل الشيخ: هل هذا ينطبق على فلسطين؟ قال: على كلِّ بلاد الدُّنيا، ما الفرق بين فلسطين وغيرها؟! كما أنّ مكّة أعظمُ عند الله من فلسطين ومع هذا هاجرَ منها المُسلِمون، وعلى رأسهم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، ومِنَ الصحابة من هاجر إلى الحبشة وهي بلاد كُفر لمّا لم يكن يستطيع إظهارَ دينه.

طهَّر الله فلسطين من عُصبة يهود، ورَدَّ من أُخرِج من أهل فلسطين إليها ردًّا جميلًا، وأسكنَ الإمامين ابنَ بازٍ الألباني فردوسَه الأعلى... آمين.

---

(١) النساء: ٩٧.

وأما بنعمة ربك فحدّث

من أعظم العبادات وأرفعها قدرًا عند الله التعبُّد لله تعالى بشكره؛ فشكر العبد لربِّه ﷻ بصدقٍ وإخلاص يفتح على العبد أبواب الخير ويُغلق عنه أبواب الشرّ، ذلكم لأنّ نتيجة الشكر تتضمَّن خيري الدِّين والدنيا والبرزخ والآخرة.

وأمّا حقيقة الشكر فكما قال ابنُ القيِّم ـ رحمه الله تعالى ـ: «الشكرُ هو القيام له بطاعته والتقرُّب إليه بأنواع محابِّه ظاهرًا وباطنًا»[1].

ومن عظيم أمر الشكر أنّ اللهَ تعالى أمرَ العباد به، بل حضّهم عليه كما في قوله تعالى: ﴿ ! " # $ % & ') * + , - ، / 0 1 2 3 4 ﴾[2]، وقوله: ﴿ M N O P Q R S T U VW X Y Z ﴾[3]، وقوله: ﴿ J K L M N O P ﴾[4].

بعد هذا أقول:

ممّا لاحظتُه في أثناء قراءتي وتصفّحي لكثير من كتب الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ كثرة شكر الله تعالى والتحدّث بنعمه عليه كسائر العلماء، وقد انتقيتُ شيئًا من كلامه في هذا المبحث، فمن ذلك قوله:

---

(١) «الفوائد» (ص١٢٧).
(٢) لقمان: ١٢.
(٣) البقرة: ١٧٢.
(٤) العنكبوت: ١٧.

- «إنَّ نِعَمَ الله عليَّ كثيرةٌ لا أحصي لها عدًّا، ولعلّ من أهمِّها اثنتين: هجرةُ والدي إلى الشام، ثمَّ تعليمُه إيَّاي مهنتَه في إصلاح السَّاعات.

أمَّا الأولى: فقد يسَّرَت لي تعلّم العربية، ولو ظللنا في ألبانيا لما توقعتُ أن أتعلم منها حرفًا، ولا سبيلَ إلى كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ إلّا عن طريق العربية.

وأمَّا الثانية ـ وهي تعلّم مهنة السَّاعات ـ: فقد قيضت لي فراغًا من الوقت أملؤه بطلب العلم، وأتاحت لي فرص التردُّد على المكتبة الظاهرية وغيرها ساعاتٍ من كلِّ يوم، ولو أنِّي لزمتُ صناعة النّجارة ـ التي حاولتُ التدرّب عليها أولًا ـ لالْتَهَمَتْ وقتي كلّه، وبالتالي لسدّت بوجهي سُبُل العلم الذي لا بُدّ لطالبه من التفرُّغ»[١].

- وقال رحمه الله تعالى ـ تحت حديث: «**أعمار أمَّتي ما بين الستِّين إلى السبعين، وأقلّهم من يجوز ذلك**». قال ابن عرفة: وأنا من ذلك الأقل ـ فقال الشيخ الألباني : معلّقًا على قول ابن عرفة:

«وأنا أيضًا من ذلك الأقلّ؛ فقد جاوزتُ الرابعة والثمانين، سائلًا المولى سبحانه وتعالى أن أكون ممَّن طالَ عُمره وحسُن عمله، ومع ذلك فإنِّي أكاد أتمنّى الموت؛ لما أصاب المسلمين من الانحراف عن الدِّين، والذلّ الذي نزل بهم حتّى الأذلِّين، ولكن حاشا أن أتمنّى وحديث أنس ماثلٌ أمامي منذ نعومة أظفاري، فليس لي إلّا أن أقول كما أمرني نبيِّي ﷺ: «اللهمَّ أحيني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي». وداعيًا بما علّمنيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «اللهمَّ متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعلها الوارثَ منَّا».

وقد تفضّل سُبحانه فاستجاب ومتّعني بكلّ ذلك، فها أنا ذا لا أزال أبحث

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب (ص٢٨٢).

وأحقِّق، وأكتب بنشاط قلّ مثيلُه، وأصلِّي النوافل قائمًا، وأسوق السيَّارة بنفسي المسافات الشاسعة، وبسُرعة ينصحُني بعض الأحبَّة بتخفيفها، ولي في ذلك تفصيلٌ يعرفُه بعضُهم! أقول هذا من باب: ﴿ p q r s ﴾، راجيًا من المولى سبحانه وتعالى أن يزيدني من فضله، فيجعل ذلك كلّه الوارث منِّي، وأن يتوفّاني مسلمًا على السنّة التي نذرتُ لها حياتي دعوةً وكتابةً، ويلحقني بالشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا، إنه سميعٌ مجيب»[1].

- وقال رحمه الله تعالى: «وبهذه المناسبة يحقّ لي أن أقول بيانًا للتاريخ، وشُكرًا لوالِدِي رحمه الله تعالى: وكذلك في الحديث[2] بُشْرَى لنا آلَ الوالد الذي هاجر بأهله من بلده «أشقودرة» عاصمة «ألبانيا» يومئذ فرارًا بالدِّين من ثورة «أحمد زوغو» أزاغ قلبه، الذي بدأ يسير في المسلمين الألبان مسيرة سلفه «أتاتورك» في الأتراك، فنجيت ـ بفضل الله ورحمته ـ بسبب هجرته هذه إلى دمشق الشام ما لا أستطيع أن أقوم لربِّي بواجب شُكرِه ولو عشتُ عُمرَ نوح عليه الصَّلاة والسَّلام؛ فقد تعلمت فيها اللغة العربية السُّورية أولًا، ثمَّ اللغة العربية الفصحى ثانيًا، الأمر الذي مكّنني أن أعرف التوحيد الصحيح الذي يجهله أكثرُ العرب الذين كانوا من حولي، فضلًا عن أهلي وقومي إلّا قليلًا منهم، ثمَّ وفقني الله ـ بفضله وكرمه دون توجيه من أحَد منهم ـ إلى دراسة الحديث والسنّة أصولًا وفقهًا، بعد أن درستُ على والدِي وغيره من المشايخ شيئًا من الفقه الحنفي وما يُعرَف بعلوم الآلة، كالنحو والصرف والبلاغة، بعد التخرُّج من مدرسة «الإسعاف الخيري» الابتدائية، وبدأتُ أدعُو مَن حولي من إخوتي وأصحابي إلى تصحيح العقيدة، وترك التعصُّب المذهبي، وأُحَذِّرهم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأرغِّبهم في إحياء السُّنَن الصحيحة التي أماتَها الخاصَّة منهم».

---

(١) «صحيح موارد الظمآن» (٢/ ٤٦٤-٤٦٥) حاشية.

(٢) وهو حديث: «**ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم**». رواه أبو داود (٢٤٨٢).

خير في الحياة وبعد الممات

- حدّثني أخ كويتي قال: كان رجلٌ يعمل معنا في الوظيفة، رجلٌ على مذهبٍ خلافِ مذهب أهل السنّة، وكان حريصًا على السُّؤال عن مذهب أهل السنَّة والبحث في كُتبهم، وبخاصَّة كتُب المشايخ: ابن باز، والألباني، وابن عُثَيمين، وكان مُعظِّمًا لهم ولا يَذكُرُهم إلّا بلقب العلماء أو المشايخ، وتأثّر عندما رآنا يُعَزِّي بعضُنا بعضًا في الإمام الألباني، وعزّانا في الشيخ الألباني، وأخبرَنا أنه «تسنّن» ولكنّه يَكتُم ذلك، فلمَّا مات ابنُ عُثَيمين عزّانا فيه ثمَّ أشهر أنه على مذهب أهل السُّنّة، ودعَا إخوانه إلى مذهب أهل السُّنّة، وفّقهم الله تعالى إلى كل خير[1].
- قوله ـ رحمه الله تعالى ـ في وصيَّته: «... وأوصي بمكتبتي ـ كلها ـ سواء ما كان منها مطبوعًا أو تصويرًا أو مخطوطًا ـ بخطّي أو بخطّ غيري ـ لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنوَّرة؛ لأنّ لي فيها ذِكرَيَاتٍ حسنةً في الدَّعوة للكتاب والسُّنّة وعلى منهج السَّلَف الصالح يومَ كنتُ مُدَرِّسًا فيها، راجيًا مِنَ الله تعالى أن ينفع بها رُوَّادَها كما نفع بصاحبها ـ يومئذٍ ـ طلابها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم».
- جاء في وصيته أيضًا قوله رحمه الله تعالى: «... وأن يكون القبر في مقبرةٍ قديمةٍ يغلب على الظنّ أنها سوف لا تُنبَش...». قال تلميذُه الشيخ محمَّد إبراهيم

(١) نَشَرت بعضُ الصُّحُف أنّ قسّيسًا إيطاليًّا دخل الإسلام لمّا شاهدَ جنازةَ الملِك فهد رحمه الله تعالى؛ تأثُّرًا بطبيعة الجنازة بالنظر إلى شخصية المتوفّى، فرحمَ اللهُ أهلَ السُّنّة حُكّامًا وعلماء.

شقرة وفقه الله تعالى: «المقبرة التي دُفِن فيها مقبرةٌ مُغلَقة مُنِعَ الدفنُ فيها أو كانت البلدية تفكِّر في إزالتها، فحضر وكيل أمين العاصمة وشهد الدفن وأمَرَ أن يُدفَن الشيخ في المقبرة نفسِها رغم أنها مُغلَقة، ثمَّ أمروا بأن يقام سُورٌ حولها وألّا يكون هناكَ دفنٌ بعد الشيخ : ، فربما يكون آخِر مَن دُفِن في هذه المقبرة، ولعلّ الله ﷻ حَفِظَ بوُجُوده فيها الأموات الذين سبقوه أن تُنبَش قبورُهم».

قلت: **فائدة:** قال ابن المنكدر رحمه الله تعالى: «إنّ اللهَ ليحفظ بالرَّجُل الصالح وَلَدَه ووَلَدَ وَلَدِهِ وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حولَه، فما يزالون في حفظٍ من الله وستر»[1].

(١) «جامع العلوم والحكم» شرح الحديث التاسع عشر.

نص وصيته

وصيَّتي

بسم الله الرحمن الرحيم

أوصي زوجتي وأولادي وأصدقائي وكلَّ مُحبٍّ لي إذا بلغه وفاتي أن يدعُوا لي بالمغفرة والرَّحمة أولًا، وألّا يبكوا عليَّ نياحةً وبصوتٍ مرفوع.

وثانيًا: أن يُعجِّلوا بدفني، ولا يُخبروا من أقاربي وإخواني إلّا بقدر ما يحصل بهم واجبُ تجهيزي، وأن يتولّى غَسْلي «عزّت خضر أبو عبدالله» جاري وصديقي المُخلِص، ومن يختارُهُ هُو لإعانته على ذلك.

وثالثًا: أختارُ الدفن في أقرب مكان؛ لكي لا يضطرَّ من يحملُ جنازتي إلى وضعها في السيارة، وبالتالي يركب المشيِّعون سياراتهم، وأن يكون القبرُ في مقبرة قديمةٍ يغلب على الظنِّ أنها سوف لا تُنبش...

....

وعلى من كان في البلد الذي أموت فيه ألّا يُخبروا من كان خارجها من أولادي ـ فضلًا عن غيرهم ـ إلّا بعد تشييعي، حتّى لا تتغلّب العواطف وتعمل عملَها، فيكون ذلك سببًا لتأخير جنازتي.

سائلًا المولى أن ألقاهُ وقد غفر لي ذُنوبي ما قدّمتُ وما أخّرتُ...

....

وأوصي بمكتبتي كلّها ـ سواء ما كان منها مطبوعًا أو تصويرًا أو مخطوطًا بخطِّي أو بخطّ غيري ـ لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنوَّرة؛ لأنّ لي فيها

ذكريات حسنةً في الدعوة للكتاب والسنّة وعلى منهج السلف الصالح يومَ كنتُ مدرِّسًا فيها.

راجيًا من الله تعالى أن ينفع بها رُوَّادَها كما نفعَ بصاحبها يومئذٍ طُلّابَها، وأن ينفعني بهم بإخلاصهم ودعواتهم.

وكتب

الفقير إلى رحمة ربِّه

محمَّد ناصر الدِّين الألباني

٢٧ جمادى الأولى ١٤١٠هـ

﴿9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L M N O P Q﴾.

مرضه ووفاته رحمه الله تعالى

كان ـ رحمه الله تعالى ـ في الثلاث السنوات الأخيرة من عُمره يُعاني من عدّة أمراض، وكان مع كلّ ذلك صابرًا محتسبًا، وقد نحل جسمُه كثيرًا، وقد رأيتُ ذلك بنفسي قبل موته بشهر، ومن الأمراض التي كان يُعاني منها فقر الدم والكبد وإحدى كليتيه.

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل والدعوة والصبر... توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ آخر عصر يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٢٠هـ جعل الله تعالى الفردوس الأعلى مثواه.

وفي اليوم نفسه تمَّ تجهيز جنازته والإسراع بها حسب وصيَّته رحمه الله تعالى، فكان ذلك.

وقد حُملت جنازته على الأكتاف من بيته إلى المقبرة، وصلى عليه تلميذه الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة.

ومع سُرعة تجهيزه والصلاة عليه فقد قُدِّر الحضور الذين شهدوا جنازته بخمسة آلاف[١]، وهو عددٌ كبيرٌ جدًّا بالنسبة إلى سرعة تجهيز الجنازة.

رحم الله تعالى الإمام الألباني وجزاه الله تعالى خيرَ ما جزى عالمًا عن أمَّته.

---

(١) ينظر: «صفحات بيضاء» لعطية بن صدقي، و«محدِّث العصر» لسمير الزهيري.

من المبشرات في حياته وبعد مماته

قال ﷺ: «**لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات**». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**». أخرجه البخاري.

وأخرجه مسلمٌ بلفظ: «**لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبدُ الصالح أو تُرَى له**».

والرُّؤى في الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كثيرةٌ، سواء في حياته أو بعد مماته، ومن عجيب أمر الشيخ : وسموّ أخلاقه وتواضعه أنه كان حذِرًا من مداخل الشيطان وبخاصة إذا كان المقامُ مقامَ مدحٍ وثناء.

- رأى بعضُهم ـ فيما يَرى النائم ـ جمعًا من الناس قد تزاحموا أمام دَرَج يصعد به إلى شرفة أمامها باب، ولا أحَد يصعد هذا الدرج وإنما ينظرون إلى هذه الشرفة وإلى ذلك الباب، فقلت لهم: مَن تنتظرون؟ وإلى ما تنظرون؟ فقالوا: رسول الله ﷺ، فاخترقتُ صفوفهم وصعدتُ الدَّرَج حتى وصلت إلى المصطبة (الشرفة) قبالة الباب حتّى أحظى برؤية رسول الله ﷺ، والناس تحت الدرج ينظرون نحو الباب، وإذا بالباب يفتح فيظهر منه الشيخ الألباني : .
- رؤيا أخت جزائرية رأت أبا عبيدة عامر بن الجرَّاح ا الصحابي الجليل أمين هذه الأمَّة في المنام وقت السَّحَر وهو يقول لها: أقرِئي الشيخَ محمَّد ناصر الدِّين الألباني منِّي السَّلام، فاستيقظَتْ وهي تبكي فرحًا، وتقول: لستُ أهلًا لذلك! لست أهلًا لذلك![1].

---

(١) «الإمام المجدِّد» (ص٦٧-٦٨).

- سمع في شريط رقم (٥٠٠) أنّ امرأةً جزائريَّة اتّصلت بالشيخ هاتفيًّا فذكرت له أنها رأت النبيَّ ﷺ في الطريق، وجاء شيخٌ يَسأل عن النبيِّ ﷺ فدُلّ عليه، فقالت زميلتي التي كانت تحدِّثني من شرفة البيت: مَن هذا الشيخ الذي يمشي وراء النبيِّ ﷺ؟ فقلتُ لها: هذا الشيخ الألباني.

فلم يتحمَّل الشيخ الألباني : كلامَها، وأجهش بالبُكاء.

- وقال الشيخ الفاضل إحسان العتيبي: «وفي آخِر لقاء لي به : حدّثْتُه عن رؤيا بعض إخواننا، وهي: أنّ هذا الأخ رأى النبيَّ ﷺ فسأله: إذا أشكل عليه شيءٌ في الحديث مَن أسأل؟ فقال النبيُّ ﷺ: سَلْ محمَّد ناصر الدِّين الألباني، فما أن انتهيتُ من حديثي حتّى بَكَى بُكَاءً عظيمًا، وهو يقول: اللهُمَّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا ممّا يَظُنّون، واغفر لي ما لا يعلمون!»[1].

- وما أجمل قول القائل في الإمام الألباني:

«وكم رأى الصالحون الغُرَّ فيه رؤًى من عاجل البِشْر قـد جاءتهُ فاكتَرَبَا
أنْ قيل إنّك تقفُـو المصطفى وبكـى واستوكفَ العبراتِ الحُمْرَ وانتحبَا»[2]

- حدّثني الشيخ محمد إبراهيم شقرة ـ حفظه الله تعالى ـ قال: رأى أحدُ الصالحين عندنا في الشام رؤيا قبل وفاة الشيخ ابن باز بفترة يسيرة رأى كوكبين في السماء وقد اتّجها بقوّة نحو الأرض، أما أحدهما فوصل إلى الأرض، وبقي الآخَر قريبًا من الأرض. فأمّا الذي وصل إلى الأرض فأحدثَ دويًّا هائلًا جعل الناس يفزعون ويتساءلون ما الخبر؟!

ثمَّ استيقظ، فسأل أحدَ المعبِّرين عن تلك الرُّؤيا فقال المعبِّر: هذا أمرٌ يحدُث يهتزّ له المجتمع ويكون لذلك أثرٌ بليغ، ثم يعقُبه مثله وهو الكوكب الثاني.

---

(١) «صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدِّين الألباني» (ص٤٩).

(٢) «محدِّث العصر محمد ناصر الدِّين الألباني» لسمير بن أمين الزهيري (ص١٠١). والبيتان من قصيدة في رثاء العلّامة الألباني : بقلم أبي الفضل عادل بن المحجوب رفوش المغربي.

قال مُحدِّثي: فلم يمض أيامٌ حتى جاء الخبر بموت الشيخ ابن باز : ، ثم مات الشيخ الألباني : بعده بفترة يسيرة، وهو تأويل الكوكب الثاني الذي تأخّر عن اللحوق بالكوكب الأول.

ومن عاجل بشراهما في حياتها انتشار كتُبهما والقبول لها، رحمهما الله تعالى وجعل الفردوس الأعلى مستقرَّهما ومثواهما.

- وكتب إليَّ أبو محمد عبدالله بن رشيد العنزي(١) أنه رأى فيما يرى النائم أربعة طيور في السماء ناصعة البياض قادمةً من جهة الشمال ـ أي من جهة الشام ـ تحمل جنازة، فعندما وازت رؤوسنا تبيَّن لنا أنها جنازة الإمام الألباني : .

قال: «والذي لا إله غيره رأيتُه مُسجًّى وقد كُفِّن بكفن متواضع جدًّا أقرب ما يُشبّه بالشاش الذي تلفّ به الجروح، حتى أنّي رأيته من وراء الكفن وقد وضع يده اليمنى على اليسرى وهو رافعٌ سبّابته اليُمنى إلى السماء، فسارت به الطير نحو الأفق حتى توارت عن أعيُننا...».

قال: «وكانت هذه الرؤيا بعد صلاة الفجر... وبعد صلاة المغرب يتّصل بي أحَد الإخوة ويقول: أحسن الله عزاءكم بالشيخ الألباني! فقلت: إنا لله وإنّا إليه راجعون».

---

(١) إمام مسجد هشام بن العاص بمحافظة حفر الباطن، وقد كتب لي بذلك في رسالة أرسلها بالفاكس بتاريخ ١٨/ ١٤٢٨هـ.

مما قيل فيه من الشعر
في حياته وبعد موته :

هذه أبيات نظمها الشيخ محمد المجذوب : في مدح الشيخ الألباني : في حياته:

قالوا أَلَا كِلْمَةٌ في الشَّيخ تُنصِفُه — فقد طَغَى الجورُ حتَّى في الموازينِ
شُنَّت عليهِ حُروبٌ لَا يُسَوِّغُها — عَقلٌ يَرى الحقَّ في ظِلِّ البراهينِ
فقلتُ فَوقَ ثنائي ما يُبَلِّغُهُ — مُحدِّثُ الشام عن خيرِ النَّبيِّين
وَرْدَةُ الجيل للوحي الجليل يَدٌ — ما إن يُكابِرُ فيها غير مفتونِ
وحسبُهُ أنه هَزَّ العقولَ وقد — باتتْ من الحَجْرِ والتقليد في هُونِ
فأصبحَتْ ذاتَ وعي ليس يُعْجِزُهُ — التمييزُ ما بين مفرُوض ومسنونِ
والدِّينُ سِرٌّ من الرَّحمن بيَّنَهُ — رسولُه وسِواهُ مَحْضُ تخمينِ
والجامدون حيارَى ليس في يَدِهم — إلّا روايةُ مجروح لِمَوْهُونِ
فما عسى أن يقولَ الشِّعرُ في رجُل — يدْعُوه حتى عِداهُ ناصرَ الدِّين
وأيُّ خيرٍ إذا فردٌ تجاهلَهُ — وقد فشا فضلُهُ بين الملايينِ[1]

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب (١/٢٩٩-٣٠٠).

وممَّا قيل في الشيخ : بعد موته:

هوى نجمُ الحديث كما هوتْ من قبله قممُ
وكم رجُل تموت بموته الأجيال والأممُ
أناصر سنّة المختار دربك قصدُه أَممُ
رفعتَ لواء سُنّتنا ولم تقصر بك الهمم
قضيت العُمر في عمل به الأوقات تغتنمُ
خدمت حديث خير الناس لم تسأم كمن سئموا
حديث المصطفى شُرِحت به الآيات والحكم
فنحن بنور سُنّته إلى القرآن نحتكم
خدمت حديث خير الناس لم تنصت لمن وهموا
ولم تشغل بما نثروا من الأهواء أو نظموا
سلمتَ بعلمك الصافي من «البلوى» وما سلموا
غنمت بما اتجهتَ له ومن نشروا الهدى غنموا
ومن جعل العُلا هدفًا فلن يتنابه السأمُ
أناصر سنّة الهادي سقاك الهاطل العممُ
بَكَتْكَ الشام وَيْحَ الشام أخفت بدرَها الظلمُ
وخيَّم فوق «أردُنها» سحابٌ غيثه الألمُ
بكت «ألبانيا» لعبت بها أحقاد من ظلموا
وعشّش في مرابعها بغاث الطير والرخمُ
بكاك المسجد القدسي والمدني والحرَمُ
بكتكَ «سلاسل» الكتب الـتي كالدرّ تنتظمُ

فـ«سلسلة» الأحاديث» الـ ـــتي صحَّت لمن فهموا
و«سلسلة الأحاديث» الـ ـــتي ضعفت لمن وهموا
وتحقيق الأسانيد الـ ـــتي ثبتت لمن علموا
علوم كلّها شرفٌ تعزّ بعزّها القيم
أناصر سُنّة الهادي لنا من ديننا رحمُ
لقيتك دون أن ألقا ك تورق بيننا الشيمُ
لقيتك في ظلم العلـ ـم والأزهار تبتسمُ
تُجمّعُنا محبّة خير من سارت به قدمُ
خدمت جلال سُنّته فيا طوبى لمن خدموا
رحلتَ رحيل من أخذوا من الأمجاد واقتسموا
كأنك لم تدر قلمًا ولم يجر الحديثَ فمُ
حزنًا كيف لم نحزن وشريان القلوب دمُ
ولكنّا برغم الحزن لم يشطح بنا الكلمُ
ولولا أن أنفسنا بربِّ الكون تعتصمُ
لماجت بالأسى وغدت أمام الحزن تنهزمُ(١)

ومن ذلك أيضًا هذه المرثية:

ما لي أراك تباري الشمس إمعانا الموتُ يخفي وتزهو اليوم إعلانا
سواك يطمسُه موت وأنت به وُلدت مرتقبًا عرسًا وتيجانا

---

(١) «مقالات الألباني» (ص٢٣٩-٢٤٠). وهذه الأبيات من قصيدة بعنوان: «وقفة أمام عام الحزن»، شعر: عبدالرحمن بن صالح العشماوي.

كأنك الشمس أخفاها السحاب فما ... ينفكّ إشعاعُها ينداح ألوانا
كأنك النبع دفق الماء يفضحُه ... حتى وإن حجبته الغاب أغصانا
كأنك الصبح مهما الليل غالبه ... إلّا وأيقظ أبصارًا وآذانا
سواك ذِكراه في مالٍ وفي نسبٍ ... وصرتَ للسنّة الغرَّاء عُنوانا
وعيت منها جبالًا من مراجعها ... فكنتَ بحرًا وكانت فيك حيتانا
حررت رأيك من أغلال مذهبها ... وللأئمة تعلي قدرهم شانا
محصت كل صحيح من شوائبها ... كما تنقي من الشطآن ذهبانا
نخلتها فاستبانت في مواطنها ... حسنًا وسقمًا وتصحيحًا ونكرانا
فرقت للحقّ شمسًا في مطالعها ... حتى غدا كل شرق منك مزدانا
جددت للناس في نهل الحديث هوى ... أودى القلوب فهل أحصيت قتلانا
أشهدتنا مثلًا للعبقريّ طوى ... في كل عصر من الإبداع ميدانا
وجئت صدقًا بما لم يستطع علَمٌ ... من سابقيك وما آليت إتقانا
ونلت في حومة الأعلام مفتئدًا ... قد جاوز الدهر آفاقًا وشطآنا
قالوا وقالوا وما أعيتْ مقالتهم ... فما عليك إذا وفّيت إحسانا
وما على السيل إن طفّت جوانبه ... لكنه غادر المرباع ريّانا
أهل الحديث على الأعصار جنتها ... وكنت في عصرنا عدنًا ورضوانا
هذا هو الدِّين يُعلي شأن حامله ... كانوا من الرُّوم أو فرسًا وألبانا
يا ناصر الدِّين قد صدقت نصرته ... فما عليك إذا خلفت دنيانا
في واسع الأمل الفواح تنشدها ... في الخلد متشحًا رَوحًا وريحانا[1]

(١) «مقالات الألباني» (ص٢٤١-٢٤٣). والأبيات من قصيدة بعنوان: «يا عام عشرين» للشاعر عبدالرزاق الحمد.

وفي مرثية أخرى:

مَضى إلى الله واستوفَى الذي كُتِبا ... وما تلوَّنَ بالدنيا وما اضطربا
وما تلوَّث في أدرانها رَغَبا ... وما تردَّدَ في حقٍّ بها رهبا
بل كان حيثُ ثوى كالبدر مكتملًا ... يعلو سماءَ العُلا في عزَّةٍ وإبا
مضى إلى الله يا لَلحُزن من خبرٍ ... لو أنه كذِبٌ قد أمدحُ الكذِبَا
أو أنه من كرى الأضغاث صاعقةٌ ... لأَهجُرنّ فراش النوم والأُهُبا
وأعْطين بتكذيبٍ له مُهجًا ... وأبذلنّ عليه الوَرْقَ والذهبا
لكنه الصدقُ حمدًا للإله على ... ما أمسك الدهرَ من نُعمَى وما وهبا
صدقٌ يُبدِّدُ آمالًا ويبعثُ من ... أصدائهِ أخوفَ الآلام والشجبا
صدقٌ أحَرُّ من الرَّمضا على كبدي ... أبقَى الفؤادَ عليلًا هيِّنًا وَصِبا
ألوى بصبرِي حتى خفتُ من جزع ... وأسبلَ الدمعَ مُنهَلًا ومنسكبا
ولستُ وحدي أرثيه وأندُبه ... فلستُ إلّا فتًى في عالَمٍ ندَبا
تبكيه أعلامُ حقٍّ كان يحملُها ... شرقًا وغربًا بأيدٍ تقهرُ الأَلَبا
فما ترى بلدًا إلّا له أثَرٌ ... فيه ومُتَّخِذٌ في بعثه سببا
فسل دمشقَ وسلْ عمّانَ سل حرَمًا ... والهندَ والمغرب الأقصى وسل حَلَبا
تجدْ مراثي في الجُدران باكيةً ... كأنّ دمعتها قد فارقت صببا
تبكيهِ حُزنًا وإجماعًا تقول لنا ... أكرِمْ به علمًا وعالِمًا وأبا
سل عنهُ طُلّابهُ الأفذاذَ في دُولٍ ... شتَّى تجدْ عبراتٍ تسبِقُ الذّربا
وما لناظرةٍ كانت تقرُّ به ... إلّا أليَتُها[1] أن تهجُرَ الطَّربا

---

(١) أي: يمينها.

إيهٍ تحقّ لها الشكوى فقد فقدتْ بفقدِه العلمَ والإحسانَ والأدبا
فما رأتْ مثلَهُ في وُدِّه طرَبًا ولا رأتْ مثلَه في الحقِّ إن غضِبَا
وسلْ مُعاشِرَهُ عن خشيةٍ وتُقًى كمْ أرسلتْ دمعهُ في الليل منتصبا
يأبى المباحَ ويأبى المدحَ عن ورَعٍ ويستعيذُ بربِّ العرشِ مُرتقبا
وكم رأى الصالحونَ الغُرّ فيه رُؤًى من عاجل البِشْرِ قد جاءتهُ فاكتربا
أَن قيلَ إنّك تقفو المصطفى وبكى واستوكفَ العبراتِ الحُمرَ وانتحبا
سبعونَ عامًا مُحيَّاهُ يُنضَّرُ في سردِ الأحاديث والآثارِ مُحتسبا
ما كان يطمعُ أن يحظى بجائزةٍ لذلك لما أتتهُ أشرقتْ طربا
سبعونَ عامًا يَذُبُّ الرَّيْبَ عن سُنن إن يَبْدُ مُبتدعٌ أو ذو هوًى نعَبا
يُستنفَرُ الشيخُ منصورًا بحُجَّته حتى كأنّ له من ربِّه شُهُبا
فيُبطِلُ البدَعَ السَّودا ويُزهِقُها ولا تُصيبُ دمًا منه ولا سلَبا
يدعو إلى دعوة الحقِّ منتبذًا أوحالَ شركٍ إذا المطلوبُ قد طُلِبا
أعلى لأهل الحديث رايةً حُجبتْ دهرًا فكشّف عنها السِّتْرَ والحجُبا
أعلى به الله قولَ الحقِّ في زمنٍ يسطو بغُربةِ أهل السُّنّة الغُرَبا
دوَّى به سَلَفيُّ النهج مُتّبعًا هَدْيَ الرَّسول ومَن للمصطفى صَحِبا
صَفّى وربّى وقد أَبّتْ أبابتُهُ[1] على الوضوح فما اشرورى ولا انتقبا
وأيقظَ الأمّةَ السَّكرَى بأجوبةٍ مِن مُحكَم الذِّكر يُبدِي الفقهَ والأدبَا
وصارَ للسُّنَّة الغرَّاءِ مدرسةً قد جدَّدَت بالحديث العُجمَ والعربا
لله دَرُّكَ يا شيخَ الشيوخ ويا علّامةَ العصرِ يا نبراسَ مَن سربا

(١) أي: استقامت طريقتُه.

إلى أن قال:

سَلْ عنهُ مكتبةً بل مكتباتِ هُدًى تربَّعَ الشيخُ في أرجائها وربا
ما كان يسأمُ من عيشٍ بها أبدًا وكان يهجُرُ فيها الصحبَ والعِنَبا
ولا يُفارِقُها حرصًا على زمنٍ حتّى يُطالعَ منها الدِّقَّ والسَّهبا
فيفصمُ اللؤلؤ المكنونَ عن زَبَدٍ ويُطعِمُ العسَلَ المعسولَ والرُّطَبا
فأتحفَ الكونَ بـ«الإرواء» أرسلهُ كالجاريات بيُسرٍ تمحقُ الجدبا
ورصَّعَ الجِيدَ عن عطْل بـ«سلسلةٍ» كالتاليات لذِكر تدرأُ الكذِبا
وكم من الكُتب الغَرَّا أفادَ بها تَروي الصحيحَ وتنفي الزورَ والشغبا
وكم تحاكمَ أقوامٌ إليه فما نادَوْهُ إلّا وأنهى الرَّيْبَ والصَّخَبا
فسَلْ مُناظِرَهُ عن قَدْرِ هيبته هل يستطيعُ امتدادَ اللحظِ إن قَرُبا
وسل مُحاجِجَهُ عن حدِّ عارضةٍ هل يستطيعُ لها أن يُثبتَ الرُّكبا
جَمُّ التواضع لم يُفسد وِدادَ أخ بالخُلفِ في نظرٍ كلّا ولا أشبا
وإن تبدَّى له البُرهانُ من أحَدٍ أفضى إليه بفيضِ الشُّكر مُنْشَعِبا

إلى أن قال:

فاللهُ يجزيهِ خيرًا ثمَّ يُسكنُهُ فسيحَ جنَّاته مَثوًى ومُنقلَبا
واللهُ يجعلُ في الباقينَ تَعزيةً لكُلِّ ذي سُنَّةٍ من فَقدِهِ رُعِبا(١)

---

(١) «محدِّث العصر» لسمير الزهيري (ص٩٩-١٠٤). والأبيات من قصيدة في رثاء العلّامة الألباني: بقلم: أبي الفضل عادل بن المحجوب رفوش المغربي.

اقتراحـــــات

١- إفراد ما كُتِب عن سيرة الشيخ رحمه الله تعالى أيًّا كانت الكتابة: مقال، كتاب، محاضرة مسجَّلة، وإخراج ذلك في رسالة صغيرة أو ملحَق في مجلة، ونشر ذلك في موقع الشيخ؛ لتكون ترجمة الشيخ سهلةَ التناوُل لمن أراد القراءة أو الكتابة، وهذا أمرٌ مألوفٌ: جمع أسماء ما كُتِب في ترجمة إمام. انظر مثلا مبحث: «مَن ألف في مناقب الشافعي : » (ص٢٦٥) من كتاب «مناقب الإمام الشافعي» لابن كثير.

٢- استقراء وتتبُّع جميع ما كُتِب عن الشيخ وعن كتُبه من رسائل جامعية أو غيرها من كُتب و قصائد؛ طلّابه وغيرهم من محبِّيه، حتى ما كتبه المخالفون له؛ ليكون ذلك التتبُّع والاستقراء بعد طباعته أرشيفًا متكاملًا، ويحسُن أن يُوضَع في الحاشية تعريفٌ يسيرٌ بموضوع الرِّسالة أو الكتاب.

٣- إفراد ترجمة ـ بعناية خاصَّة ـ للشيخ وإرسالها إلى من عُرِف بالكتابة في التراجم من جهات رسمية أو غيرها؛ لتكون معتمدَةً؛ لأنّ الملاحَظ على بعض كُتّاب التراجم عدم الإنصاف في بعض مَن يكتبون عنه، بل وإلباس بعض المُترجَمين ثيابًا أوسع منهم مدحًا أو ذمًّا[1].

---

(١) قال القاضي ابن أبي يعلى : في ترجمة والده : : «.. ولولا أنّ الذين قد جمعوا التواريخ حملتهم عصبيتُهم وأهواؤهم على ترك فضائله ونشر مناقبه.. لما ذكرنا ما ذكرناه، فلمّا رأينا الذين قد رأوه وحفظوا ما سمعوه من فضائله من الشيوخ، وشاهدوا بعض ذلك ينقرضون، والمؤرِّخون الذين أرَّخوا قصَّروا في نشر فضائله؛ لأجل من يهوى هواهم من المخالفين، آثرنا ذِكر بعض ما انتهى إلينا من فضائله، فليعذرنا من وقف عليه ولا ينسبنا من الذين يتشبَّعون بما لم يُعطَوا، وليسأل من يثق به من =

٤- الأشرطة الصوتية المسجَّلة للشيخ رحمه الله تعالى، أكتفي هنا بمقولة شيخي الفقيه العلّامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل أثابه الله تعالى، قال ـ ختم الله له بالخير ـ في كتاب «فتح الجليل» (ص١٥٦) حاشية ما نصُّه: «على تلاميذه أن يتداركوها قبل أن تُنسَى أو تَدرُس أو يمضي عليها وقتٌ يقلّ الانتفاع بها».

٥- إفراد رسالة للتعريف بكتُب الشيخ تُسرَد فيها كتابات الشيخ مع تمييز التأليف عن التحقيق مع الوصف الموضوعي لتأليفاته.

٦- جمع النظائر، وهذا باب واسع؛ ومنه جمع آراء الشيخ في الرِّجال لتكون مُعجَمًا باسم الرُّواة الذين حكم عليهم الشيخ جرحًا أو تعديلًا، ومنه كلام الشيخ في المباحث العقدية، ومنه تنبيهاته التي وقف عليها خلال مسيرته العلمية البحثية الطويلة، والمراد بالتنبيهات: التصحيف، والتحريف، والنقل المغلوط، وما يتبع ذلك. ومنه كلام الشيخ ووصفه وأحكامه على الكتب والرَّسائل.

= أهل الثقة والمعرفة والخبرة بالقاضي الإمام رضي الله عنه، ولا يلتفت إلى قولِ مخالِف ومُبايِن بالبدعة، فيعلم أنّ الذي سطّرناه ما استعرنا منه ذلك، إذ كان فيه أضعاف ما ذكر من الفضل والعلم والزهد. فنسأل الله أن يُحيينا على الإسلام والسنّة، وأن يُميتَنا عليهما، ولا يجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا بمنّه وكرمه، إنه سميع الدعاء». «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٣٠).

ولّما سرد ابنُ أبي يعلى بعض فضائل والده قال:

«وهذا بعض مناقبه وفضائله، وما هو شائعٌ له بين الناس من زُهده وعلمه أكثر فأغنانا عن أن نسطِّره، ولولا أنّ أكثر من رآه وعاصره وحضر مجلسه وناظره قد درج وانقرض.. لما ذكرنا هذه الشذرات من مناقبه، إذ كانت تتضمَّن مدحَنا، والإنسانُ لا يمدحُ نفسه. ولعلّ ناظرًا في هذا الذي أوردناه وسطّرناه يقول: كيف استجاز مدح والده على لسانه؟ وهو الأصل، ومدح الأصل مدحٌ للفرع؟ فنقول: إنما حملَنا على ذلك كثرةُ قول المخالفين، وما يُلقُون إلى تابعيهم من الزُّور والبُهتان، ويتخرَّصون على هذا الإمام من التحريف والعُدوان، وكان لنافي ذلك رخصة قد سبق إليها الأنبياء والأولياء رضوان الله عليهم وسلامُه» «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٢٧).

٧- دفاعه عن كتب وأئمَّة السُّنَّة: فهرس شامل للفوائد المنثورة في كتُب الشيخ، وتكون بانتقاء الفوائد النفيسة خصوصًا.

ومما رأيتُه بعد ذلك كتاب «التقريب لعلوم الألباني» لأبي الحسن محمد حسن عبدالحميد الشيخ، بذل فيه جهدًا مشكورًا في تتبُّع كثير من كتب الشيخ وأحسن ترتيب مسائلها ترتيبًا موضوعيًّا؛ فقرَّب بعيدًا، وجمع متفرِّقًا، فجزاه الله تعالى خيرًا.

وسيكون هذا الكتاب ـ بعد توفيق الله تعالى ـ مفتاحًا لكثير من كلام الشيخ ناصر المنثور في كتبه.

الألباني كما عرفته

أَوَّل ما مرَّ ذِكرُه عَلَيَّ كنتُ خارجًا من الباب الشمالي لجامع الإمام تركي بن عبدالله عام ١٣٩٧هـ ـ أو قبله بيسير ـ بعد الاستماع إلى ندوة الجامع أو محاضرة للشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، فكان بعض أولئك الذين كنتُ معهم يتحدَّثون عن الشيخ ابن باز وعن سَعَة علمه، ثمَّ تطرَّق الحديث إلى عناية الشيخ بالحديث، ثمَّ تكلم أحدُهُم فقال: وكذلك الشيخ الألباني أيضًا مُحدِّث مشهور، فلمَّا سمعتُ اسمَه وأنه من أهل الشام سألتهم عنه فقالوا: بأنّ له كُتبًا بالحديث ويُعنَى بالصحيح، ويبيِّن الضعيف، ولمّا سافرتُ مع بعضهم للمدينة سمعتُ أنّ الألباني سيحضُر في بيت يُعرَف بـ«بيت الإخوان»، فذهبنا ـ الذين جئنا من الرِّياض ـ ودخلنا ذلك البيت، وإذا بجَمْعٍ محتشِد من الناس منهم مَن يلبس عِمامة ومنهم مَن يَلبَسُ غُترةً أو شِماغًا ومنهم من هو حَاسِرُ الرَّأس، وكان الاجتماعُ في سطح المنزل، ورأيتُ كرسيًّا منصوبًا في صدر المجلس، وقد احتفّ به ـ بل تزاحم عليه ـ القريبون منه، وكنتُ أترقّب دخولَ الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، وبينما كنتُ جالسًا في الصفوف قبل الأخيرة أطلّ علينا رجلٌ تعلوهُ مَهَابةٌ ووقارٌ، تزداد تلك الهيبة عند نظره إليك، يَمشي بسكينة بين الجمع، وقد أفسحوا له طريقَه حتى وصل إلى الكرسي فجلس، وكان يرتدي ثوبًا واسعًا يميل لونُه إلى اللون البُنِّي الفاتح، وعلى رأسه طاقية خليجية (شبك)، فلمَّا بدأ حديثَه رأيتُ إصغاءً تامًّا من الحاضرين وقد أمسك كثيرٌ منهم ـ وبخاصة مَن حوله ـ بأقلامهم وكانوا يُقيِّدون بعض كلامه رحمه الله تعالى.

انتهى الشيخُ من كلامه، ثمَّ بدأت الأسئلة من الحضور والشيخ يجيب، إلى أن استسمح الحاضرين ـ فيما أظنّ ـ ثمَّ استأذن للمغادرة، فلمَّا قام لاثَ به بعضُهم

وبدؤوا يمشون معه ويسألونه، وأنا أمشي خَلفَهُم، فلمَّا وصل ـ أو كاد يصل ـ إلى سيَّارته تمكنتُ من أن أُكلِّمَه، فسألته عن حديث قرأتُه في كتاب «تحفة الذاكرين»، والحديث يتضمَّن دعاءً يقال بعد الأكل، فقال لي الشيخ بالحرف الواحد: «لا أستصحُّه يا بُنيّ»، ثمَّ ودَّعتُه ورجعتُ، وقد وقع حبُّه ومكانتُه في قلبي.

قابلتُه في منى حجَّ عام ١٣٩٨هـ، وأذكر أنّ أحَدَهم سأله بصوت مرتفع فقال: يا شيخ، إذا قرأتُ حديثًا في أحَد كُتب السُّنّة، ثمَّ وجدتُ في إسناده رجلًا ضعيفًا فهل أقول: هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله ﷺ؟ فكان جواب الشيخ ما معناه: قد يكون نفيُك هذا باطلًا، فما يُدرِيك لعلّ الحديث قد صحَّ من طريق آخَر، فالأولى أن تُقيِّد ضعف الحديث بذلك الإسناد، فتقول: هذا الحديث ضعيف عند ابن ماجه مثلًا.

قابلتُ الشيخَ بعد ذلك أيضًا في الحجِّ، وكان مُقيمًا في مخيَّم السَّكن الخاص للقائمين على مستشفى الحرس الوطني في منى، زُرته في خَيمته بصُحبة الشيخ عبدالكريم المنيف، ولم يكن أحَدٌ عنده سِوَى ولدِه ـ أظنّه عبدالمصوِّر ـ، فلمَّا انتهت الزيارة وقمنا من عنده وأردنا الخروج رجعتُ إليه فقلتُ: يا شيخ جَرَى كلامٌ فيك مع بعض المحبِّين لك في مكّة وقلتُ له كلمةً ليست قدحًا في شخصك معاذَ الله لكنِّي نَدِمتُ على قولها، وأنا أريد مسامحتَك. فلم يسألني ـ رحمه الله تعالى ـ عنها، بل قال لي كلامًا أذكرُه إن شاء الله بحروفه، قال لي: «أَحَلَّكَ اللهُ فيما قلتَ وفيما ستقول وفيما لم تقل». فقبَّلتُ رأسَهُ وودَّعتُه.

جاءَ الشيخُ إلى الرِّياض فدعوتُه للإفطار في بيتي، وكان ذلك بعدَ فجر الخميس ١٤١٠/٧/٦هـ، فحضر وحضر جمعٌ من الأفاضل على رأسهم فضيلة الشيخ عبدالله بن قعود رحمه الله تعالى.

في مجلس الشيخ الألباني ـ وقد حضرتُ له بضعَ مجالس ـ تشعُر بتعظيم السُّنَّة، ناهيكَ عن تشنيف الآذان بسماع أسماءِ رُوَاة الحديث ومصنِّفيه وذِكر بعض

المصنَّفات من كُتب السُّنَّة المشهورة، وكذا بعض أسماء كتب الرِّجال والعلل، وأمثال هذه المجالس لم أرها ولم أشعُر بها ـ خلال معرفتي ـ إلّا في مجالس الشيخ ابن باز.

وممَّا أتذكّرُه في مجالس الشيخ الألباني طَرْقُه دائمًا على واقع المسلمين، وأنّ سببَ تفرِّقهم وكثرةِ اختلافهم هو ابتعادُهم عن منهج السَّلف الصالح، وأنّ دُعاة الإصلاح يتحمَّلون عِبْئًا كبيرًا بسبب إهمالهم العناية بإصلاح ما يستطيعون إصلاحَه من عقائد كثيرٍ من أقوامهم التي تلوَّثت بالقوادح العقدية القولية والعملية.

وسمعتُه مباشرةً ـ كما سمعت ذلك في غير مناسبة في التسجيل الصوتي ـ يتأسَّف ويتحسَّر على أناس نصَّبهم الناس دُعَاةً للخير وكانوا ـ أولئك الدعاة ـ ممَّن يَصبغ بعض البدع بصبغةٍ شرعية إمَّا لجهل بالعلم أو محاكاةً لمن يقلدهم.

وللشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قُدرَةٌ عجيبة في امتصاص وتهدئة الانفعال والاندفاع الحماسي، يأتي أحَدُهم متحمِّسًا لفكرة مَّا قد قدَّم لها بمقدّمة ضمَّنها شواهدَ قرآنية ونبوية، فما أن يَفْرَغَ من كلامه حتّى يُفَاجِئُه الشيخُ بسؤال ثمَّ يُتبع السؤالَ بإيرادات متعلقة بالسؤال نفسه، كلّ ذلك بهدوء وسكينة، ثمَّ يبدأ مع السَّائل في أخذٍ وردّ، فما هي إلّا سويعة فإذا تلك الحماسة قد تلاشت، والشاهد الذي أريده هنا: أثرُ العلم في علاج تلك الانفعالات والعواطف الجيَّاشة، وكيف كان لسماع العالم من أصحاب العواطف، ورحابة صدره في استماعه لأولئك حتى يُفرِغوا شُحنات نفوسهم، ثمَّ علاج تلك العواطف المتهيِّجة برفق وتُؤَدَة.

فلولا فضل الله تعالى ثمَّ حِلم الشيخ ورفقه في الجواب لانقلبت تلك العواطف المتهيِّجة إلى عواصف هوجاء.

ممَّا لاحظتُه على الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ طولُ نَفَسِه في أثناء المناقشة مع رَحَابة صدره، يتخلل ذلك أحيانًا دُعَابةٌ، وغالبًا ما تأتي عند إلزام الشيخ

لمناقشهِ بلازم، فإذا بدأ المناقِشُ يتلعثم في الإجابة على الإلزام رَمَى عليه الشيخ جُملةً دعابيةً أو مثلًا شاميًّا يُناسِب المقام، فيَسُودُ الجميعَ جوٌّ من المودَّة والانبساط.

وممَّا يُناسِب ذِكرُه في هذا المقام: أنني قرأتُ وَصْفًا ليوسف ابن الإمام ابن الجوزي حالَ المناظرة، ورأيتُ أنّ أحقّ العلماء الذين قابلتُهم بهذا الوصف هو الشيخ الألباني، والخبر المشار إليه رأيتُه في كتاب «ذيل طبقات الحنابلة»[(١)]، وخلاصتُه: أنّ يوسف ابن الإمام ابن الجوزي، كان يُناظِر ولا يحرِّك جَارِحَةً.

ووصفٌ آخَرُ أيضًا للشيخ الألباني حظ منه جاء؛ فإنّ في المرجع السابق[(٢)]: أنّ عبدالله ابن أحمد بن محمد ابن قدامة كان لا يُناظِرُ أحَدًا إلّا وهو يَبتسم، حتى قال بعضُ الناس: هذا الشيخ يَقتُل خصمَه بالتبسُّم.

زُرتُه[(٣)] قبل موته بشهر في عَمَّان في منزله في حيِّ هملان شارع شهرزاد، وكان قد ضعُفَ جِسمُه من أثر المرض، فقلت له ـ وأنا مُصَافحٌ له بيدي ـ: يا شيخ، أبشر فأنتَ على خيرٍ، المُحِبُّون لكَ كثيرٌ، والداعونَ لك كثيرٌ، وكُتبك قد نفع الله تعالى بها وانتشرت في أقطار الأرض. فتحامَلَ على نفسه ورَفَعَ كفّه اليُسْرَى ثمَّ وضع كفِّي بين كفيه وضَغَطَ على كفِّي قليلًا وأثَر الضعفِ عليه واضح، وقال بصوت ضعيف: «جزاك الله خيرًا». وخرجتُ بعدها من عنده.

لّما كنت في عَمَّان حدّثني الشيخ محمَّد إبراهيم شقرة في منزله: «أنّ أحَدَهم رأى فيما يرى النائم أن كوكبين انقضّا من السَّماء فسقط أحدُهُما على الأرض فأحدث دَوِيًّا هائلًا، وأمَّا الآخَر فوصل أو كاد إلى الأرض لكنّه توقّف». وقد عبَّرتُ لهم بموت رجلين عظيمين.

---

(١) (٢/٢٦٠).
(٢) (٢/١٣٧).
(٣) بصُحبة الإخوة: سليمان الهديب، وسلمان القريني، وفيصل القحيز، ومحمد الشهراني، وكان الشيخ علي بن حسن هو الذي رتّب لنا موعد الزِّيارة، فجزاه الله تعالى خيرًا.

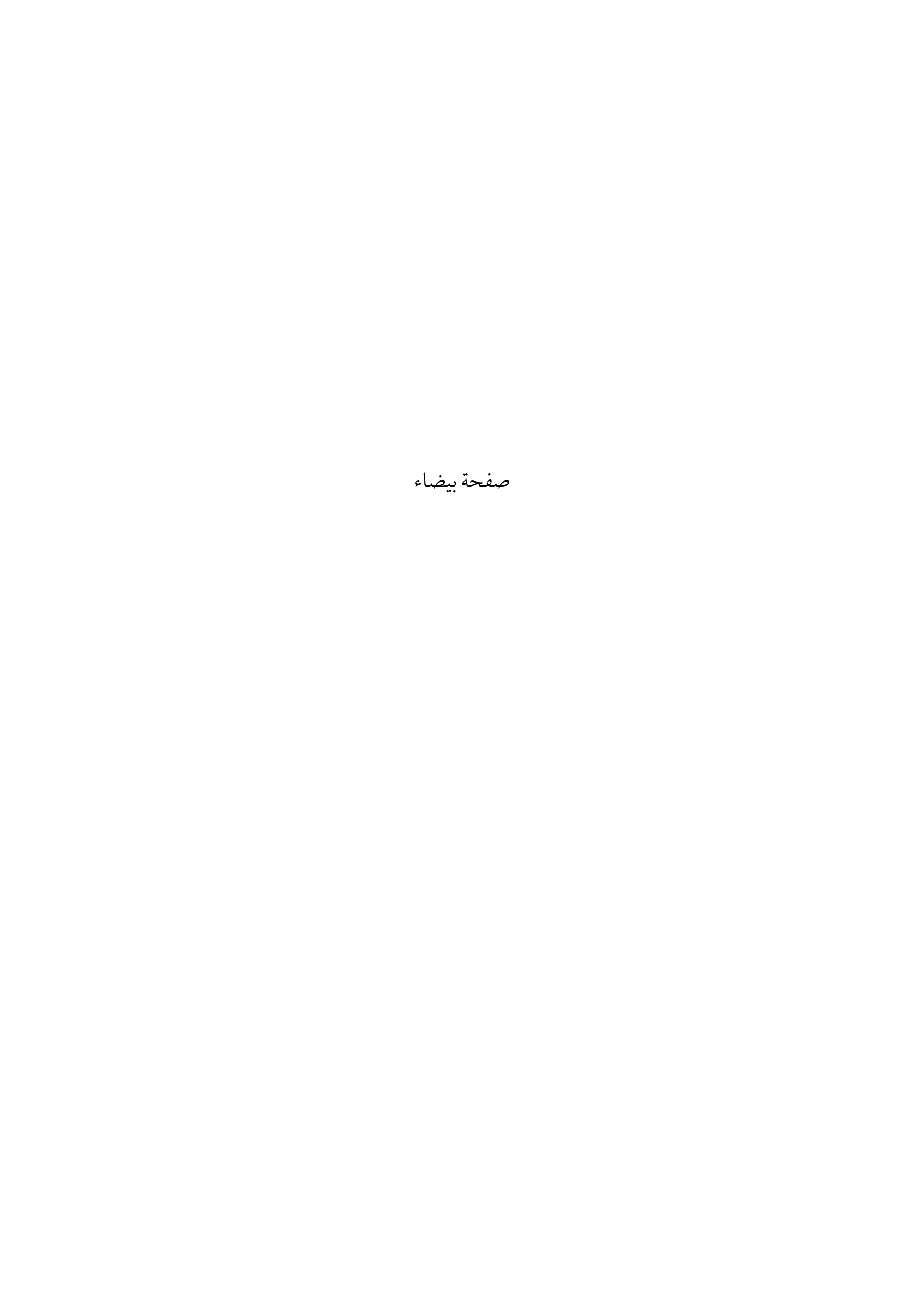
قال الشيخ محمد شقرة: بعد الرُّؤيا بفترة جاءَنَا خبرُ موت الشيخ ابن باز، قلتُ: وقد فهمتُ من كلام بعض محبِّي الشيخ أنه يتوقّع أن يكون الألباني هو الكوكب الثاني.

قلت: وليس ذلك ببعيد، فقد تُوُفِّي الشيخ الألباني بعد الشيخ ابن باز ببضعة أشهر؛ كانت وفاةُ الشيخ ابن باز فجر الخميس ١٤٢٠/١/٢٥هـ، ووفاة الشيخ الألباني عصر السَّبت ١٤٢٠/٦/٢٣هـ.

رحم الله تعالى الإمامين، وجمعنا وإيَّاهما في الفردوس الأعلى... آمين.

ملحق

فيه صور لبعض المقالات القديمة
للشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - في بعض المجلات
ونموذج من خطه لوصيته وغيرها بيده



صفحة بيضاء

فهرس

الموضوع	الصفحة


تم بحمد الله

- قد يستفيد الصغير من مجالسة الكبير فينهل من حسن خلقه وسديد قوله ونصحه، فيكون ذلك من التتلمذ عليه حتى ولو لم يحضر له درسًا أو يقرأ عليه كتابًا...

- فالاستفادة من أهل العلم ليست مقصورة على علمهم فحسب، بل يتعدى ذلك إلى شريف مناقبهم وجميل آدابهم وما يتبع ذلك...

- قال أبو بكر بن المطوعي: «اختلفت إلى أبي عبد الله ـ يعني الإمام أحمد ابن حنبل ـ ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ «المسند» على أولاده، فما كتبت عنه حديثًا واحدًا، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه». «سير أعلام النبلاء» (١١/٣١٦).

- وذكر الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ «أن مجلس الإمام أحمد: كان يحضره خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون والباقون يستمدّون من سمته وخلقه وأدبه».

«سير أعلام النبلاء» (١١/٣١٦).

- فرحم الله الشيخ الألباني... فكم والله استفدتُ من طيب مجالسه ومجالسته ـ مع أنها لا تتجاوز عشرة مجالس أحدُها في منزلي ـ وحُسن أخلاقه وصادق نُصحه ودعواته، وهدوئه في نقاشه، وحُسن استماعه لمحدِّثه... مع طول نفَس وسَعة بال، فضلاً عمَّا استفدتُ ممَّا قرأته من كتُبه وسمعته من أشرطته وحُدِّثت به من أخباره...